

TIGHT BINDING BOOK

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190285

UNIVERSAL
LIBRARY

أَيَّازُ الْعَرَبِ فِي الْهَلِيَّةِ

شَيْخُ الْإِسْلَامِ

محمد نعمان الجارم

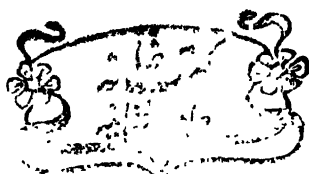
القاضي بالمحاكم الشرعية

♦♦♦♦♦

﴿ الطبعة الاولى ﴾

١٣٤١ هـ - ١٩٢٣ م

﴿ حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ﴾



بمطبعة النفاذه بجوار حائطه

أهداء الكتاب

الى خدن الشباب ومن أراه
ومن لدر المحامد سابغات
ومن يولى الصديق الود صفوا
لمن يخشى الأله ويتقيه
الى خير الصحاب ولست اغلو
الى الخلل الوفى الى (الودينى)
لمن تزهى بمدحته القوافى
أحب الى من عهد الشباب
وحل من الفضيلة فى اللباب
كأن نميره ماء السحاب
ويرجو عنده حسن الثواب
اذا سميته خير الصحاب
سديد القول ذى الراى الصواب
(لاجمدا عارف) اهدى كتابى
محمد نعمان الجارم



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تقدست ذاته وتمالت اسماءه وصفاته والشكر له عز فضله وتوالت
آلاؤه استوجب سبحانه وتعالى الحمد الجزيل الجميل ذاته واستحق جل جلاله
عظيم الثناء اسنى صفاته وجب أن تذل الجباه لذاته لانه مصدر الموجودات
وحق أن آمنوا الوجوه اليه وتخصه بالعبادة لانه فاطر الأرض والسموات لا
معبود بحق سواه قل لو كان فيهما آلهة الا الله ارسل رسلاً بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله فبين مناهجه ووضح طرائقه ووضع له
الصوى (١) والأعلام حتى لا تمشى أمته من بعده في ظلام فعليها أفضل الصلاة
وازكى السلام وعلى آله واصحابه منار الاسلام (وبعد) فهذا كتاب اسبغت
فيه القول على أديان العرب قبل الاسلام وبينت فيه ما ابتدعوا من جهالة
وأوهام حتى تغير دين الهدى وطمس الطريق اليه وخفى الحق وعز الطالب
له ونشأ بعد المختلقين قبيل عاشوا في ظلمات بعضها فوق بعض فلم يدر كوا نور
الهدى ولم يشوقهم مشوق اليه ثم طمست ظلمة الضلالة عقولهم فأعرضوا عن
الحق حتى مع وجود الدال عليه اللهم الا بعض أفراد لحوا نور الاهتداء ولم
يقيد فكرهم تعليم الأمهات ولا تقليد الآباء فتركوا للفكر العنان حتى ظهر
لهم الحق بالدليل والبرهان وتجلت لهم الحقيقة تجلى الشمس في وسط النهار
فاختل صرح الكفر لديهم وانهار وهذا الكتاب هو جزء من أجزاء كتابي
(العرب في الجاهلية) يرشدك الى معتقدات العرب في الجاهلية وأوهامها التي
هدمها الاسلام والله أسأل أن يجعله مقبولا لديه فان الامر كله منه واليه انه
اكرم مسئول وبيده القبول

(١) الصوة بالضم حجر يكون علامة في الطريق جمعة صوى

مقدمة

الانسان يمتاز عن سائر الحيوان بالنفس الناطقة وبقوة التفكير فيها تستدل بالآثر على وجود المؤثر ثم ينتهى بها البحث الى أن المؤثر فى الأ كوان لابد أن يكون واجب الوجود لذاته تلك فطرة فى الانسان ولذلك ذهب الأمام الأعظم أبو حنيفة المعمران ومن ناب عنه على ما هو الصحيح الموافق لظاهر الرواية الى أن التكليف منوط اما ببلوغ دعوة الرسل واما بمضى مدة يتمكن العاقل فيها أن يستدل بالمصنوعات على وجود صانعها وذلك لأن الدين من خواص النفس الناطقة كما تقدم -- وذهب علماء الأخلاق الى أن الدين ليس من لوازم النفس الناطقة لأن بعض الأمم والقبائل لا تدين بدين

هذا والدين قديم وجد مع الانسان أما عند اهل الأديان السماوية فلا أن آدم أبا البشر كان نبياً واما عند غيرهم فلا أن الناس فى أطوارهم الأولى كانوا يعتقدون باليوم الآخر وان للانسان نفساً خالدة فكانوا يدفنون مع الميت أمتعته ومقتنياته ليقتفع بها فى العالم الآخر وهذا من المبادئ الدينية وجميع الأمم والقبائل الآن تعتقد بعالم الأرواح والمتوحشون منهم يسببون الموت والمرض للروح وهذه عندهم كالنفس الا أن الروح أقوى واكثر دخلا فى أحوال الناس ومصلحتهم فيسببون اليها الموت والمرض والحن والخطوب لذلك ترى المتوحشين يحرسون على دفع غضب الأرواح الشريرة باسترصاء الأرواح الصالحة التى هى غالباً نفوس السلف الصالح من آباءهم وأجدادهم الذين لهم فى القبيلة أثر محمود ومقام مشكور لانهم يرون أن نفوسهم أقوى وأقدر على جلب المصالح ودفع المصاير فعظموهم لذلك بعد الموت وصبوا لهم التماثيل ولجئوا اليها يستعينون بهم عند نزول الخطوب وهذا أصل عبادة الأجداد .

هذا وان الدين من غير نظر الى الوحي ابتداءً باعتقاد الانسان ان له موجدأ

أوجده وغيره من الممكنات وان له نفساً أو روحاً خالدة تصير بعد الموت في عالم آخر ذلك مبدأ اعتقاده بالروح والروحانيات ثم توسع في عالم الروح فاعتقد أن لكل كائن من الكائنات روحاً تدبره حيواناً كان ذلك الكائن أو مجاداً وهذه الروح تكون قوية اذا كان الكائن المتصلة به من عظيم المخلوقات وما زال يرتقى في الوهم حتى تخيل بعض الارواح آلهة فعبدها لعبادة المادة المنعاقية بها ومن ذلك عبادة الهنود أنهر الكنج والمصريين القدماء أنهر الديل والمجوس للنار والصابئين للكواكب وعبادة أهل الهند وافريقية الغربية للأفاعى وما عبادة الشمس وغيرها مما عبد من دون الله الا من هذا القبيل

والأديان تنقسم قسمين — أديان الهية وهي ما أنزله الله سبحانه وإعالي على رسله الكرام . وأديان وصعية وهي ما ليس كذلك كدين المجوس عباد النار والبراهمة والبودين واشباههم — والأديان السماوية كثيرة وهي من حيث ذاتها قبل افسادها بالتحريف والتبديل تتضمن توحيد الله حل ثناؤه ووصفه باوصاف الكمال وتزنيه عن مشاهة الحوادث وتحت على مكافئ الأخلاق والآداب والفصائل ونص على الأحكام التي تكفل نظام المجتمع وتناسب الزمان الذي أنزلت فيه والذي يليه الى أن تنسخ بشرع رسول آخر فيصبح الناسح الذي جاء به الرسول المتأخر هو الحق الذي يجب اتباعه ويصبح ما تقدمه من الدين منسوخاً وذلك سر ما يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب حينما رأى بعضهم يقرأ ورقة من التوراه وقال لو كان موسى حياً ما سمعه الا اتباعى وقوله تعالى ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين . والذي يوحى اليه من الله تعالى نبي أو رسول ويطلق النبي عرفاً على رحل سليم من مفر معصوم عن كل رذيلة اكمل معاصريه غير الرسل اصطفاه الله من بين عباده وأوحى اليه بشنع سواء أمره بتبليغه أم لا ولو أمر بتبليغه فرسول سواء كان له ككتاب أم لا نسخ بعض شرع من قبله أو لم ينسخ ولا جزم في عدد الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم قال أبو البقاء في الكلبيات « وأول رسول ارسله الله الى أهل الارض

نوح عليه السلام أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله تعالى كان الناس أمة واحدة انه قال ذكر لما انه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الهدى وعلى شريعة من الحق ثم اختلفوا بعد ذلك فبعث الله نوحاً . لكن الاكثرون على عد آدم من المرسلين

والادبان السماوية كثيرة ولم يبق منها الآن سوى اليهودية المبعوث بها سيدنا موسى الكليم عليه السلام ويعتقها ثمانية ملايين ونصف من الانفس والمصرية المبعوث بها سيدنا عيسى عليه السلام ويدين بها نحو اربعمائة وثلاثة وسمعين مليوناً من الانفس والاسلام المبعوث به سيدنا محمد حاتم الانبياء والمرسلين ويعتقه نحو مائتي مليون من الانفس تقريباً

واكثر ديانات العالم اتباعاً الديانة البوذية وهي مدسوبة الى بوذا رجل ٩٠ كان في سنة ستمائة واثنين وعشرين قبل المسيح قصد بها في الاصل اصلاح الديانة البراهمية (١) وتهذيب آعاليمها ولكس لشأت بين معتققي الديانة البراهمية والبوذية منافسات ومناظرات انتهت اخيراً بفوز الديانة البوذية وانتشارها على الديانة البراهمية واكبر انتشارها في الصين واليابان وكوريا ومشوريا وتبت ومنغوليا ويعتقها نحو خمسمائة مليون من الانفس ولقد كانت العرب في جاهليتها تدين بأديان شتى كما ستره مفصلاً في هذا الكتاب فمنهم عباد الاصنام والشمس والكواكب وغير ذلك ومنهم الموحدون الذين كانوا يستضيئون بهدى الانبياء الذين أرسلهم الله لهم أو لغيرهم من الأمم

واتقد بعث الله في العرب قديماً انبياء وبعث هوداً (٢) عليه السلام لعاد وكانت ديارهم بالدوة والذهناء وعالج ووبرين ووبر الى عمان والى حضرموت بين اليمن وعمان وبعث صالحاً عليه السلام لثمود وكانوا يسكنون بالحجر ووادي القرى بين الحجاز والشام وبعث شعيباً لمدين وكانت منازلهم تجاور

(١) نسبة الى براهمة كبير آلهة الهند

(٢) علماء الانساب يسمون هوداً عابراً أو عبيراً على وزن جعفر

ارض معان من أطراف الشام مما يلي الحجاز فكان من العرب من يدين بدين هؤلاء النبيين واكثر العرب كانوا على دين أبيهم ابراهيم عليه السلام وسبب كثرة الاديان عندهم مجاورتهم لكثير من الأمم المتدينة فتيسر لهم بالرحلة والتجارة معرفة اديان مجاوريهم وناهيك ببلاد الشام وهي الارض التي بورك فيها لكثرة من أرسل لها من النبيين وقلوا بعالم هذه الديانات الى بلادهم واعتقدوا منهم . وكان التوحيد دين اكثر العرب ثم غلبت الوثنية عليه حتى طمست معالمه وراجت عبادة الاوثان فارسل الله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم بالتوحيد وما رال يغالب الكفر ويهزم حيشه ويفصل شعائر الدين ويدعو الخلق لعبادة الله وحده ويحضر علي كرم الاحلاق ويبين الاحكام المتكفلة بسعادة الدنيا والآخرة حتى ردت حيوس التوحيد كتاب الكفر والزيف مهزومة واصبحت أطلال الصلال والاحاد صرعى مكسومة ولم ينزل به الموت حتى اكمل الله للناس دينه وأتم عليهم نعمته ورضى لهم الاسلام ديناً وحتم به الانبياء والمرسلين فمن ادعى بعد محمد صلى الله عليه وسلم انه يوحى اليه من الله تعالى بشرع فهو صال كافر

ابراهيم الخليل واسماعيل عليهما السلام

نسب القول في تاريخهما لان اكثر العرب تدين بدينهما فقول . ولد ابراهيم عليه السلام بارض بابل بالعراق ونشأ بها في دولة حمورابي الدولة البابلية الأولى التي هي من سنة الفين واربعمئة وستين قبل الميلاد الى سنة الفين وواحد وثمانين قبل الميلاد وكانوا يعبدون الاصنام ولم يكن بينه وبين نوح نبي الالهود وصالح فدعا قومه لعبادة الله وحده فلم يؤمنوا فطفق يسفه أحلام قومه ويطعن على آلهتهم ثم انتهر فرصة خروجهم في يوم عيد لهم ولم يخرج وخالف الى اصنامهم فكسرها فلما رأوا منه ذلك أمر نمرود حاكمهم بأحرقه والتي في النار فجعلها الله برداً وسلاماً فلما نجاه الله أجمع امره والذين اتبعوه على فراق قومهم ومعهم لوط عليه السلام ابن أخيه فنزل

ابراهيم بالسبع من ارض فلسطين ونزل لوط بالموتفة وبينهما مسيرة يوم وليلة ثم ولد لابراهيم من هاجر اسماعيل عليه السلام . وروى أبو هريرة خبر وصول هاجر لابراهيم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم عليه السلام قط الا ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وواحدة في شأن سارة فانه قدم ارض جبار ومعه سارة وكانت أحسن الناس فقال لها ان هذا الجبار ان يعلم انك امرأتى يغلبنى عليك فان سألك فاخبريه انك أختى فانك أختى فى الاسلام فانى لا أعلم فى الأرض مساماً غيرى وغيرك (١) فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار فأتاه فقال لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها ان تكون الا لك فارسل اليها فأتى بها وقام ابراهيم الى الصلاة فلما دخلت عليه لم يتمالك ان بسط يده اليها فقبضت يده قبضة شديدة فقال لها ادعى الله ان يطلق يدى ولا أضرك ففعلت فماد فقبضت يده أشد من القبضة الاولى فقال لها مثل ذلك فماد وقبض يده أشد من القمصين الأولين فقال ادعى الله أن يطلق يدى ولا أضرك ففعلت فاطاقت يده وودعا الذى جاء بها فقال له انك انما جئتني بشيطان ولم تأتى بانسان فأخرجها من أرضى وأعطاها هاجر قال فاقبلت تمشى فلما رآها ابراهيم انصرف فقال مهيم (٢) فقالت خيراً كفى الله يد الفاجر وأخدم حادما قال أبو هريرة فتلک أمکم يا بى ماء السماء « (٣) وانما كانت هاجر أم العرب لأن سارة ملكتها لأبراهيم فولدت له اسماعيل أبا العرب ولم يكن لسارة من ابراهيم ولد فأنها ولدت اسحاق بعد ولادة اسماعيل فيما رووا بأربع عشرة سنة . قال ابن أبى ريد فى نوادره وهاجر أول امرأة ثقت أذناها وخفضت من النساء وأول من جرت ذيلها وذلك أن

(١) أى فى الارض التى يحكمها ذاك الجبار والا فقد آمن به ابن أخيه لوط وآمن به جماعة من فومه (٢) كلمة استفهام بلفظة أهل اليمن أى ما حالك وما شأنك أو ما وراءك (٣) يقال للعرب بنو ماء السماء لكثرة ملازمتهم للفلوات التى بها مواقع المطر

سارة غضبت (١) خلعت أن تقطع ثلاثة أعضاء من أعضائها فأمرها إبراهيم أن تبرقسمها بثقب أذنيها وخفاضها فصارت سنة في العرب وأوحى الله لإبراهيم أن احمل اسماعيل وأمه الى مكة . وكان من أمرهما رواه البخارى في صحيحه بسنده عن ابن عباس قال أول ما اتخذت النساء المنطق (٢) من قبل أم اسماعيل اتخذت منطقاً لتعفى أثرها على سارة ثم جاء بها إبراهيم وبابنها اسماعيل وهي ترضعة حتى وضعهما عند البيت عند دوحه (٣) فوق زمزم في أعلى المسجد (٤) وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء (٥) فيه ماء ثم قفى إبراهيم مطلقاً (٦) فتبعته أم اسماعيل فقالت يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا في هذا الوادى الذى ليس فيه ائيس ولا شئ فقالت له ذلك مراراً وجمال لا يلتفت اليها فقالت له آله اسرك بهذا قال نعم قالت اذاً لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى اذا كان عند الثنية (٧) حيث لا يروونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال (ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذي ررع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفذ ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها فجعلت تنظر اليه يتلوى او قال يتلبط (٨) فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحداً فلم تر أحداً فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ثم سعت سعى

- (١) روى انها أخرجت هاجر غيرة منها لا غضبا (٢) المنطق بكسر فسكون ففتح ازار له حجرة (٣) الدوحة الشجرة الكبيرة (٤) أى مكان المسجد لانه لم يكن بنى (٥) السقاء بكسر اوله (٦) قربة صغيرة (٧) الثنية الجبل (٨) يتلبط يتمرغ ويضرب بنفسه الأرض

الإنسان المجهود (١) حتى جاوزت الوادى ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحداً فلم تر أحداً ففعلت ذلك سبع مرات . قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم فذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً وقالت ص (٢) تريد نفسها ثم نسمنت فسمعت أيضاً فقالت قد أسمعت ان كان عندك غوان (٣) فاذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بمحاحه (٤) حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه (٥) وتقول بيدها هكذا (٦) وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعد ما تغرف . قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف من الماء (٧) لسكنت زمزم عينا معينا (٨) قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة (٩) فانها ما ببت الله يمينه هذا العلام وأنوه وان الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالراية تأبى السيول وتأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم (١٠) مقللين من طريق كداء فنزلوا فى أسفل مكة فرأوا طائراً عائفاً (١١) فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء

(١) المجهود هو الذى أصابه الجهد بفنح الجيم وتضم المشقة (٢) نفتح المبهلة وسكون الهاء وبكسرهما مونة كأنها خاطبت نفسها فقالت لها اسكتي (٣) نفتح أوله للأكثر وتخفيف الواو وليس فى الأصوات فعال بفنح أوله غيره — وجزاء الشرط محذوف تقديره فاغثنى (٤) شك من الراوى (٥) بجاء مبهلة وضاد معجمة وتشديد أى تجعله مثل الحوض

(٦) هو حكاية فعلها وهذا من إطلاق القول على الفعل (٧) شك من الراوى (٨) عينا معينا أى ظاهراً جاريماً (٩) الصيعة بفتح الصاد أى الهلاك (١٠) جرهم هو ابن قحطان . وفى رواية عطاء بن السائب وكانت جرهم يومئذ بواد قريب من مكة (١١) العائف هو الذى يحوم على الماء ويتردد ولا يمضى عنه

فارسوا حريا أو جريين (١) فاذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم فأقبلوا
قال وأم اسماعيل عند الماء فقالوا اتأذنين لنا أن نرل عندك قالت نعم ولكن
لاحق لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم
فالف (٢) ذلك أم اسماعيل وهي تحب الانس (٣) فزروا وارسلوا الى أهليهم
فزروا معهم حتى اذا كان بها أهل أليات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم
وأنتسهم (٤) واعجبهم حين شب فلما أدرك زوجته اسرأة منهم (٥) وماتت
ام اسماعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسماعيل يطالع تركته (٦) فلم يجد
اسماعيل فسأل امرأته عما فقالت خرج يبغي لنا (٧) ثم سألهما عن عيشهم
وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن في ضيق وشدة فشكت اليه قال فاذا جاء روجك
أقرني عليه السلام رقولى له يغير عتبة بابي (٨) فلما جاء اسماعيل كأنه آنس
شيئا فقال هل جاءكم من أحد قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عما
فاخبرته وسألني كيف عيشنا فاخبرته أنا في جهد وشدة قال فهل أوصاك بشيء
قالت نعم أمرني ان أقرأ عليك السلام ويقول غير عتبة بابك قال ذاك أي
وقد أمرني أن أمارقك الحقى باهلك فطلقها وتزوج منهم امرأة أخرى (٩)

(١) بفتح الجيم وفتح الراء ولشديد الياء أى رسولا وقد يطلق على
الوكيل وعلى الأخير قيل سمي به لانه يجرى مجرى مرسله أو موكله
(٢) الفى أى وحد (٣) الأأس بصم الهمزة ضد الوحشة
(٤) أنفسهم بفتح الفاء بلفظ افعل التفضيل من النفاسة أى كثرت
رغبتهم فيه (٥) روى ان اسمها عمارة بنت سعد بن اسامة وحكى
السهيلي ان اسمها جدى بنت سعد (٦) بكسر الراء أى يتفقد حال
ما تركه (٧) يبتغى لنا أى يطلب لنا الرزق (٨) عتبة بابي كناية
عن المرأة - وقد كانت العرب ترى طلاق النساء كأبيهم ابراهيم
(٩) ذكر الواقدي ان اسمها سامة بنت مهلهل بن سعد وذكر الدارقطني
ان اسمها السيدة بنت مضاض

فلبت عنهم ابراهيم ماشاء ثم أتاهم بعد فلم يجدوه فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت خرج يبتغي لنا قال كيف أنتم وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة وأثنت على الله عز وجل فقال ما طعامكم قالت اللحم قال فما شرابكم قالت الماء قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء قال النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم دعا لهم فيه قال فهما لا يخلو (١) عليهما أحد بغير مكة الا لم يوافقاه قال فاذا جاء زوجك فاقريه عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه فلما جاء اسماعيل قال هل أتاكم من أحد قالت نعم أنا شبيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فدالتى عنك فاخبرته فدالتى كيف عيشنا فاخبرته أنا بخير قال فاوصاك بشيء قالت نعم هو يقرأ عليك السلام ويأمرك ان تثبت عتبة بابك قال ذاك أبى وأنت العتبة أمرنى أن أمسك ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك واسماعيل يرى نبلا (٢) تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه فصمعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد (٣) ثم قال يا اسماعيل ان الله أمرنى بامر قال فاصنع ما أمرك ربك قال وتعينى قال أعيمك قال فان الله أمرنى أن أبني هاهنا بيتا وأشار الى أكمة مرتفعة على ما حولها قال فعند ذلك رفعوا القواعد من البيت فجعل اسماعيل يأتى بالحجارة وابراهيم يبني حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر (٤) فوضعه له فقام عليه وهو يبني واسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم قال فجعل ابنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك (٥) ومن ذريتنا (٦) أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا (٧) وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ربنا (١) خلوت بالشئ واحتليت اذا لم أخلط به غيره ويقال أخلى الرجل الابن اذا لم يشرب غيره (٢) « النبل » السهم قبل أن يركب فيه نصله وريشه وهو السهم العربى (٣) يعنى من الاعتناق والمصافحة وتقبيل اليد ونحو ذلك (٤) بهذا الحجر يعنى مقام ابراهيم (٥) مسلمين أى خاضعين (٦) يعنى واجعل من ذريتنا (٧) أرنا مناسكنا أى عرفنا متمبداتنا فى

وابعث فيهم رسولا (١) منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة (٢) ويذكهم (٣) انك أنت العزيز الحكيم . ولما فرغا من بناء البيت أمر الله ابراهيم ان يؤذن في الناس بالحج فاجاب دعاء ربه ونادى أيها الناس كتب الله عليكم الحج الى البيت العتيق ثم حج ابراهيم واسماعيل ومن معهما من المسلمين . وقد أمر الله ابراهيم بذبح ولده فامتثل أمر ربه ولما هم بذبحه فداه الله بذبح عظيم . ولقد اختلف في أى ولديه الذبيح أهو اسماعيل أم اسحق وقد قال بكل من القولين جماعة من المسلمين قال أبو البقاء في الكليات واتفقت الأحاديث الصحيحة وتضافرت نصوص العلماء على ان العرب من عهد ابراهيم عليه السلام على دينه لم يكفر أحد منهم قط ولم يعبد صنما الى عهد عمرو بن لحي الخزاعي فانه أول من غير دين ابراهيم عليه السلام وعبد الاصنام وسيب السوائب - وذكر السهيلي (٤) ان اسماعيل نبي مرسل أرسله الله الى اخواله من جرهم والى العماليق الذين كانوا بارض الحجاز فآمن بعض وكفر بعض - وحكى الحلبي في سيرته ان اسماعيل ارسل الى جرهم والى العماليق والى قبائل اليمن في زمن أبيه ابراهيم وكذا بعث أخوه اسحق الى أهل الشام وبعث ولده يعقوب الى الكنعانيين في حياة ابراهيم فكانوا أنبياء على عهد ابراهيم عليه السلام وتوفى اسماعيل عليه السلام بمكة ودفن بالحجر عند قبر أمه هاجر . أما الشرع الذي بعث به اسماعيل فهو شرع أبيه ابراهيم

✽ المختلف في نبوتهم من العرب ✽

لقد أوحى الله دينه لمن ارتضى من خلقه فان لم يأمرهم ببليغ فهم الانبياء وان أمرهم به فهم المرسلون ومن الانبياء المختلف في نبوته وعدمهم أبو البقاء

الحج أو بصرنا بها (١) منهم أى من انفسهم وقد استجيب دعاؤه فلذلك قال رسول الله انا دعوة أبى ابراهيم (٢) الحكمة الشريعة وبيان الاحكام (٣) يذكهم يطهرهم من الشرك وسائر الانجاس . (٤) مانتقله عن السهيلي في كتابه الروض الأثيف

في كلياته فقال (والمختلف في بيوهم ينف وعشرون لقمان وذو القرنين والخضر وذو الكفل وسام وطالوت وعزير وتبع وكالب وخالد بن سنان وحنظلة بن صفوان والاسباط وهم أحد عشر وحواء ومريم وأم موسى وسارة وهاجر وآسية - ولم يشتهر عن مجتهد غير الشيخ أبي الحسن الأشعري القول ببوة امرأة الواحد لا يخرق الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة بدليل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا) ولنتكلم على العرب منهم وهم تبع وخالد بن سنان وحنظلة بن صفوان فنقول

اما تبع فهو لقب ملك اليمن لا يلقب به حتى ملك اليمن والشجر وحصر موت ولا أدري أى التبابعة المختلف في نبوته أهو الرائي وهو تبع الأول أو ابو كرب تبان اسعد (١) وهو تبع الآخر أو غيرهما . وتبع الآخر هو الذى عمر الديت الحرام وكساه وجعل طريقه حين أقبل من المشرق على المدينة فربها ولم يهج اهلها وخلف بين أظهرهم ابه فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع على خرابها واستئصال اهلها وقطع نخلها فقال له أحد احبار اليهود من أهلها . الملك أحل من أن يطير به نزع أو يستخفه غضب وأمره اعظم من أن يصيق عا حامه أو نحر صفعه مع أن هذا البلد مباحر نى يبعث بدين ابراهيم فاعنقد صدقه وتهود وادخل اليهودية بلاد اليمن وكان دينهم الوثنية

وأما خالد بن سنان بن غيث العبسى فذهب بعضهم الى انه كان مؤمناً ولم يكن نبياً والكثيرون على نبوته قال الحلبي في سيرته قال بعضهم لم يكن فى بى اسماعيل نبى غير خالد بن سنان قبل محمد الا انه لم يبعث بشريعة مستقلة بل بتقرير شريعة عيسى وكان بينه وبين عيسى ثلاثمائة سنة وخالد هذا هو الذى اطفأ النار التى خرجت بالبادية بين مكة والمدينة كادت العرب لعبدها كالجوس كان يرى ضوءها من مسافة ثمان ليال وربما كان يخرج منها العنق فيذهب فى الارض فلا يجد شيئاً الا أكله فأمر الله تعالى خالد بن سنان باطفائها

(١) تبان اسعد اسمان جعلتا اسما واحدا فان شئت أضفت كما تضيف

معدى كرب وان شئت جعلت الاعراب فى الاسم الآخر

وكانت تخرج من بئر ثم تنتشر فلما خرجت وانتشرت أخذ خالد يضربها ويقول بدا بدا بدا (١) كل هدى (٢) وهى تتأخر حتى نزلت الى البئر وهو خلفها فوجد كلاباً تحمها فضربها وضرب النار حتى اطفأها وقيل انه كان السبب فى خروجها . فانه لما دعا قومه كذبوه وقالوا له انما نخوفنا بالنار فان نسل علينا هذه الحرة ناراً اتبعناك فتوضأ ثم قال اللهم ان قومى كذبونى ولم يؤمنوا بى الا أن تسيل عليهم هذه الحرة ناراً فأرسلها عليهم ناراً فخرجت فقالوا يا خالد ارددها فأنا مؤمنون بك فرددها قيل وكان خالد بن سنان اذا استسقى يدخل رأسه فى حبيه فيجئ المطر ولا يقلع الا أن يرفع رأسه روى ان ابنته قدمت وهى عجوز على النبی فأكرمها وبسط لها رداءه وقال مرحباً بابنة احدى مرحبا بابنة بى ضيعه قومه فأسمت (٣) وهذا الحديث مرسل رجاله ثقات وفى البخارى أنا اولى الناس بابن مريم فى الدنيا والآخرة وليس بدى وبيمه نبى (٤) قال بعضهم وبه يرد على من قال كان بينهما خالد بن سنان . وقد يقال مراده صلى الله عليه وسلم بالنبى الرسول الذى يأتى بشريعة مستقلة وحينئذ لا يشكل هذا لما علمت انه لم يأت بشريعة مستقلة

وأما حنظلة بن صفوان فحكى الحلبي ان الله ارسله لاصحاب الرس بعد خالد بن سنان بمائة سنة والرس كما فى القاموس وشرحه البئر المطوية بالحجارة وقيل القديمة سواء طويت أم لا ومه ما فى الاساس وقع فى الرس أى بئر لم تطو سمو بذلك لانهم فعلوا حنظلة ودسوه فيها فغار ماؤها وعطشوا بعد ريههم ويديست اشجارهم وانقطعت ثمارهم بعد ان كان ماؤها يرويههم ويكفى أرضهم جميعاً وتبدلوا بعد الأانس الوحشة وبعد الاجتماع الفرقة

(١) روى ابن عباس ان العرب سمت هذه النار بداً (٢) فى تاريخ ابن الاثير ان خالداً توسط النار وضربها بعصاه ففرقها وهو يقول بداً بداً بداً كل هاد مؤد الى الله الأعلى لادخنها وهى تلظى ولا يخرج منها وثيابى تندى (٣) يروى بعضهم ان البنت التى جاءت الرسول ليست بنته الصليبية بل كانت من ذريته ونسله (٤) قيل كان خالد نبياً قبل عيسى

✽ الحرم ومكانته عند العرب ✽

الحرم مكة وما حوالها مما يحرم صيده وقطع شجره وحشيشه وغير ذلك وحدود الحرم من مكة تختلف قرناً وبعداً فيحد من جهة المدينة بثلاثة أميال ومن جهة اليمن والعراق والطائف بسبعة أميال ومن جهة جدة بعشرة أميال ومن جهة الجعرة بتسعة أميال وللحرم علامات منصوبة * حكى في الروض المعطار عن الزبير ان أول من وضع علامات الحرم ونصب العمدة عليه عدنان ابن أد خوفاً من أن تندرس معالم الحرم أو تتغير . ومقتضاه انها موضوعة قبل ذلك وهو الحق فانها من صنع ابراهيم الخليل ومن ذكر ذلك السيوطي في كتابه الفلك المشحون حيث قال « وأول من نصب انصاب الحرم ابراهيم الخليل وكان جبريل يريه مواضعها ثم لم تحرك حتى كان قصي يجدها ثم لم تحرك حتى كان رسول الله فبعث عام الفتح تميم بن أسيد الخزاعي يجدها ثم لم تحرك حتى كان عمر بن الخطاب فبعث اربعة من قريش كانوا ينتدرون في نواحيها فجددوا انصابه وهم مخزومة بن نوفل وأبو هود سعيد بن ربوع المخزومي وحويطب ابن عبد العزى وأزهر بن عوف الزهري حتى كلف عثمان بن عفان فبعث على الحجبيج عبد الرحمن بن عوف وأمره أن يجدد انصاب الحرم فبعث عبد الرحمن نقرأ من قريش منهم حويطب بن عبد العزى وعبد الرحمن ابن أزهر وكان سعيد بن ربوع قد ذهب بصره في خلافة عمر وذهب بصر مخزومة بن نوفل في خلافة عثمان فكانوا يجددون انصاب الحرم في كل سنة فلما ولي معاوية كتب الى مكة فأمر بتجديدها ثم لما حج عبد الملك بن مروان أرسل الى أكبر شيخ يعامه من خزاعة وشيخ من قريش وشيخ من بني بكر وأمرهم بتجديد انصاب الحرم » وقال النووي في شرح المذهب ان تلك الانصاب لا تزال الآن ثابتة في جميع جوانبه الا من جهة جدة وجهة الجمرانة فليس فيهما انصاب

وقد جعل الله مكة وما حوالها حراماً آمناً يتخطف الناس من حوله

واختلف في حرمتها على قولين (الاول) انها صارت حراماً بسؤال ابراهيم (رب اجعل هذا بلداً آمناً) يعنى مكة وماحواليها فأجاب الله سؤاله ويماضه رواية أبي هريرة عن رسول الله انه قال ان ابراهيم كان عبد الله وخليله وانى عبد الله ورسوله وان ابراهيم حرم مكة وانى حرمت المدينة ما بين لابتيها اعضاها وصيدها ولا يحمل بها سلاح لقتال ولا يقطع بها شجر الا لعلف بعير « والقول الثانى » انها كانت منذ وجدت حراماً آمناً من الجبارة والمتسلطين ومن الخسف والزلازل وانما سأل ابراهيم ربه أن يجعل حرمه آمناً من الجذب والقحط وأن يرزق اهله من الثمرات ويؤيده ماروى عن أبى شريح الخراعى أن النبى لما افتتح مكة قام خطيباً فقال أيها الناس ان الله سمع بحجانه حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهى حرام الى يوم القيامة لا يحل لامرى يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمأ أو يعصد (١) بها شجراً وانها لا تحل لأحد بعدى ولم تحل لى الا هذه الساعة غصباً على أهائها ألا وهى قد رجعت على حالها بالأمس الا ليلبلغ الشاهد الغائب فمن قال رسول الله قبل بها فقولوا ان الله تعالى قد أحلها لرسوله ولم يحلها لك

وكانت العرب على ديس أبيهم ابراهيم فى ذلك فكانوا لا ينفرون صيد الحرم ولا يؤذونه قال عمرو بن الحارث بن مصاض

فسحت دموع العين تبكى لبلدة بها حرم أمن وفيها المشاعر
وتبكى لبنت ليس يؤذى حمامه تظل به أمنا وفيه العصافر (٢)
وفيه وحوش لا تزال أنيسة اذا خرجت منه فليست تغادر
وقال النابغة الذبياني

والمؤمن المائذات الطير تسمحها ركبنا مكة بين الغيل والسعد (٣)

(١) العضد القطع (٢) تظل به أمنا أى ذات أمن ويجوز أن يكون أمنا جمع آمن مثل ركب جمع راكب وأراد العصافير وحذف الياء ضرورة ورفعها على المعنى أى وتأمين فيه العصافير (٣) اقسم بالله الذى أمن (المائذات)

ماقلت من سيئ مما أتيت به اذا فلارفعت سوطى الى يدى
وكانوا يؤمنون ساكن الحرم محسناً أو مسيئاً ولذلك قال الزبيدى فى العاص
ابن وائل لما اغتصمه ماله يستحث الناس على انصافه منه وتخويله وان كان
مقيماً فى الحرم

ان الحرم لمن تمت كرامته ولا حرام لثوب العاجر الغدر
ويرون مكة بلداً لقاحاً لا تؤدى اناوة ولا تدین للملوك وهى كذلك ولذلك
سمى بيت الله بالبيت العتيق لانه لم يزل حراً ولم يملكه أحد

قال الزبرقان بن بدر لرجل من بنى عوف هجا أبا جهل وتناول قريشا
أندرى من هجوت أبا حبيب جليل خضارم سكنوا البطاحا (١)
وزاد الركب تذكر ام هشاما وبيت الله والبلد اللقاحا (٢)
روى الزبير أن عثمان بن الحويرث قدم على قيصر فى الجاهلية فتوجه
وولاه أمر مكة فلما جاءهم بذلك أنفوا من أن يدينوا للملك وصاح الاسود
ابن أسد بن عبد العزى الا أن مكة حى لقاح لاتدين ملك فلم يتم له مراده
وكانوا يجرمون غزو الحرم والقتال فيه وشاهده قول حرب بن أمية لأبى
مطر الحضرمى يدعوه الى حلفه وزول مكة
أبا مطر هلم الى صلاح فتسكنف كالمداى من قريش (٣)

وهى الحديثة النتاج من الحيوانات جمع طائفة و (تمسحها ركبان مكة) أى
تمسح عليها ولا تهيجها بأخذ و (الغيل) بكسر الغين و (السعد) أجمتان كانتا
منافع ما بين مكة ومنى (١) الخضارم جمع خضرم وهو الحواد المعطاء
و (البطاح) جمع أبطح وهو مسبل واسع فيه دفاق الحصى
(٢) و (أزواد الركب) مسافر بن أبى عمرو وزمعة بن الاسود وأبو أمية
ابن المغيرة لانه لم يكن يتزود معهم أحد فى سفر يطعمونه ويكفونه الزاد
و (هشام) هو ابن المغيرة اعظمته قريش حتى أرخوا بموته
(٣) صلاح اسم من اسماء مكة و (تسكنف) أى تصير فى حرز

وتأمن وسطهم وتعيش فيهم أبا مطر هديت لخير عيش
ونسكن بلدة عزت قديما وتأمن أن يزورك رب جيش
وقول خدش بن زهير في يوم من أيام الفجار لما اقتتلوا فمتر قريش
الى الحرم وقد دخل الليل

ياشدة ماشددنا غير كاذبة على سخينة لولا الليل والحرم (٢)
وكانوا يكرهون الظلم في الحرم وشاهده قول رجل من جرهم ينهى عمرو
ابن لحي لما ظلم بمكة

يا عمرو لا تظلم بمكة ايها بلد حرام
وقول سبيعة بنت الأجب (٣) بن زينة تنهى ابها خالد بن عبد مناف
عن الظلم في الحرم وتعلم حرمة مكة

ابى لا تظلم بمكة لا الكبير ولا الصغير
واحفظ محارمها ولا يفررك بالله الغرور
ابى من يظلم بمكة يلق أطراف الشرور
ابى يضرب وجهه ويلج بخديه السعير
ابى فد جربتها فوجدت ظالمها يبور
والله أمنها وما بنيت بعرضتها قصور
والله أمن طيرها والعصم تأمن في نبر

وقد بلغ احترامهم للحرم انهم كانوا يزلونه نهارا ولا يبيتون فيه ليلا
واذا نزل أحدكم نهارا وأراد قضاء حاجة الا ان حرج الى الحل تنزهها له
ولا يسمون فيه بماء ولقد مر عليك قول سبيعة بنت الاجب
والله أمنها وما بديت بعرضها قصور

(٢) سخينة لقب نعيم به قريش لاتخاذها اياها وهي طعام رقيق يتخذ
من دقيق (٣) قال سيبويه الأحب بالحاء المهملة يقوله أهل النسب
وأبو عبيدة يقوله بالميم

وانما كانوا اذا نزلوا في الحرم ينزلون في العرش وكانت العمالة وجرحهم حين ولايتهم الحرم ينتجعون جبال مكة وأوديتها ينزلون بها وكانت خزاعة حين ولايتها على الحرم تنزل بطن مرة فلما كانت ولاية الحرم لقريش في قصي ابن كلاب بنى دار الندوة وهي أول دار بنيت بمكة وجعل بابها جهة البيت وأمر قريشاً أن يبنوا بيوتهم في الحرم حول الكعبة لتهابهم العرب ولا تستحل قتلهم فبنوا حول البيت وجعلوا أبواب بيوتهم جهته لكل بطن منهم باب يسب اليه كباب بنى شيبه وباب بنى سهم وباب بنى مخزوم وباب بنى جمح وتركوا قدر الطواف قال المبرد في الكامل ثم عزت قريش بعد ذلك بهذا الجوارحني كان يقال يكفيك من قريش انها أقرب الناس من بدت الله بيتا وكان يقال لدار أسد بن عبد العزى رضيع الكعبة لانها كانت تقي عليها الكعبة صباحاً وتقي على الكعبة عشياً وان الرجل من ولد أسد ليطوف بالبيت فينقطع شسع نعله فيرمى به في منزله فيصلح له فاذا عاد في الطواف رمى بها اليه وفي ذلك يقول الشاعر

لهاشم وزهير وضل مكرمة بحيث حلت نجوم الكعبش والاسد
محاور البيت ذى الاركان بينهما مادونهما في جوار البيت من أحد
فالوا وقد سميت بمكة لانهما لا تقرر طلعا ولا بغيا ولا يبنى فيها أحد الا
مكته وأخرجته وقد روى الاصمعي قول الرازي في تلميته

يا مكة الفاجر مكى ولا تمكى مذحجا وعكا
وكانت اسمى أبصا بالباسة لانهما نفس من ألحد فيها أى نظرده ونفقيه
وبالباسة لانهما تبس من ألحد فيها أى تحطمه ونهاكه ومنه قوله تعالى وبست
الجبال بساً

ولقد كان اجتناب الظلم في الحرم شريعة عامه وديناً متبعاً وان حصل
اعتداء على النفس أو المال فنادر كما أذى كفار قريش زبد بن عمرو بن نفيل
في مكة لما اطرحت عبادة الاصنام كراهة أن يفسد عليهم دينهم فقال وهو يعظم
حرمة على من استحل منه ما استحل من قومه

لا هم انى محرم لاحله (١) وان بيتى أوسط المحلة (٢)

عند الصفا ليس بذى مضله

ومن ذلك أيضا ما روى أن قيس بن شبة السلمي باع مناعا من أنى بن
خلف فلواه بحقه فاستجار برجل من بنى جح فلم يقيم بجواره فقال
يال قصى كيف هذا فى الحرم وحرمة البيت واعلاق الكرم
أظل لا يمنع منى من ظلم

فبلغ الخبر العباس بن مرداس السلمي فقال

ان كان جارك لم تنفعك ذمته وقد شربت بكأس الغل أنفاسا (٣)
فأت البيوت وكن من اهلها صددا لا يلق ناديهم خشا ولا باسا (٤)
وتم كن بفناء البيت معصما تاق ابن حرب وتلق المرء عباسا
قرى قریش وحلا فى ذؤابها بالمجد والحرم ما حازا وماساسا (٥)
ساقى الحجاج وهذا يأسر فليج والمجد يورث أخماسا وأسداسا
وما رال تقع بالحرم مظالم بين حبن وآخر سببها أما الطيش والخافة واما
الاعتماد على القوة

(حلف الفصول)

لقد أدرك بعض العقلاء ان ما كان يقع من المظالم فى الحرم لولم ينف
الحق فى سبيلها وتزد الحقوق لأصحابها لسقطت هيبة الحرم من نهوس العرب
واعتدى على سكان البلد الحرام فتكلموا فى ذلك ثم تخالفوا على بصره المظلوم
على الظالم وسموه حلف الفصول . فكان فى الحفيضة حلما سياسياً اجتماعياً
عادت فائدتها على قریش خاصة وعلى العرب عامة ودفعهم لعقده أيضاً الدين
مخافة ان يعاقبهم الله على البغى فى الحرم

(١) محرم ساكن فى الحرم (٢) المحلة المنزل (٣) الدمة بالكسر العهد
والغل الحقد (٤) كن صدد البيوت أى قبالنها وقربها (والفحش) عدوان
الجواب و (البأس) العذاب (٥) (القرم) السيد (والدؤابة) من العز
والشرف وكل سىء أعلاه

أما العدوان الذي كان سبباً مباشراً لهذا الحلف فهو ما روى أن رجلاً من
بني ربيد قدم مكة معتمراً في الجاهلية ومعه تجارة له فاشترها منه العاص بن
وائل السلمي وكان ذا قدر بمكة وشرف فحبس عنه حقه ثم تعيب فابتغى الزبيدي
متاعه فلم يقدر عليه فجاء إلى بني سهم يستعديهم عليه فعرف أن لا سبيل إلى
ماله فطوف في قبائل قريش يستعين بهم فتخاذلت القبائل عنه وانتهره الإخلاف
عبد الدار ومخزوم وجمح وسهم وعدى وكعب . فلما رأى الزبيدي الشر أوفى
على أبي قيس عند طلوع الشمس وقد أخذت فريش مجالسها حول الكعبة
وصاح بأعلى صوته

يا آل فهر لمظلوم بضاعه يبطن مكة نأى الدار والهر
ومحرم اشعث لم يقض عمرته يا آل فهر وبين الحجر والحجر
أفأثم من بني سهم بذمتهم أم ذاهب في ضلال مال معتمر
إن الحرام لمن تمت كرامته ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب وحلف ليعقدن حلفاً بينه وبين بطون
من قريش سمعون القوى من ظلم الضعيف والقاطن من ظلم الغريب وقال
حلفت لنعقدن حلفاً عليهم وإن كنا جميعاً أهل دار
نسميه الفصول إذا عقدنا يعز به الغريب لدى الجوار
ويعلم من حوالى البيت أنا أباة الصيم نمنع كل عار
ثم قال الزبير ما لهذا مترك يا قوم أنى والله لا حشى أن يصينا ما أصاب
الأمم السانقة من ساكنى مكة ومشى إلى عبد الله بن جدعان التيمي وهو
يومئذ شيخ قريش وأجبره بظلم بني سهم وقد كان أصاب بني سهم أمور
ظنوها للبغي . أحدهما احتراق المقاييس منهم . وهم قيس ومقيس وعبد قيس
لصاعقة . وثانيهما أن ركبا منهم أقبلوا من الشام فزلوا بماء يقال له
القطيمة فصبوا فضلة حمر لهم في أناء فشربوا ثم ناموا وقد بقيت منهم
بقية ففكر ع مهاجرة أسود ثم تقيأ في الأناء فهب القوم فشربوا منه
فاتوا عن آخرهم فأذكره الزبير هذا ومثله واجتمعت كلمة بني هاشم وبني أسد

ابن عبد العزى (١) وبني زهرة وبني تيم بن مرة في دار عبد الله بن جدعان فصنع لهم طعاما وتحالفوا وكانت حرب الفجار في شعبان وحلف الفضول بعدها في ذى القعدة قبل مبعث رسول الله بعشرين سنة (٢) فتحالفوا في شهر حرام قياماً يتماسحون بأ كفهم وتماهدوا بالله ليكونن يدا واحدة على ألا يظلم بمكة غريب ولا قريب ولا حر ولا عبد حتى يأخذوا له بحقه ويكونوا جميعا مع المظلوم على الظالم حتى يؤدوا اليه مطلته ممن ظلمه شريفاً أو وضيعا منهم أو من غيرهم أو يبلغوا في ذلك عذرا وعلى ألا يتركوا لأحد عند أحد فضلا الا أخذوه وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما بل بحر صوفة ومارسى حراء وثبير مكانهما وعلى التأسى في المعاش والنساهم بالمال ثم عمدوا الى ماء زمزم فجعلوه في جفنة وبعثوا به الى البيت ففسدت به أركانه ثم أتوا به فشر به ثم انطلقوا الى العاص بن وائل فقالوا والله لا نفارقك حتى تؤدى اليه حقه فاعطى الرجل حقه فكثروا كذلك لا يظلم أحد بمكة الا أخذوا له حقه . ولم يكن لعبد شمس فيه نصيب حتى قال عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس لو ان رجلا وحده خرج من قومه لخرح من عبد شمس حتى أدخل في حلف الفضول ولقد شهد رسول الله فعن عائشة انها سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلف الفضول أما لو دعيت اليه اليوم لأجبت . وما أحب ان لي به حمر النعم واني نقضته وفيه نقول الزبير بن عبد المطلب

ان الفضول تحالفوا ولما قدوا الا يقيم بطن مكة ظالم (٣)
أمر عليه تماهدوا وتواتقوا فالجار والمعتز فيهم سالم (٤)

(١) تابعنا ابن أبي الحديد في شرحه لهج البلاغة وروى الاغانى عن محمد بن فضالة عن أبيه قال لم يكن بنو أسد بن عبد العزى في حلف الفضول (٢) في رواية انه صلى الله عليه وسلم يومئذ كان ابن خمس وعشرين سنة (٣) الفضول هم القبائل التي عقدت هذا الحلف (٤) المعتز الفقير والمتعرض للمعروف من غير ان يسأل

وسبب تسميته بذلك ان قريشا لما تكلموا في عقده قال المطيبون والله
لئن تكلمنا في هذا ليفضبن الاحلاف وقال الاحلاف والله لئن تكلمنا في
هذا ليفضبن المطيبون . وقال ناس من قريش تعالوا فليكن حلفا فضولا دون
المطيبين ودون الاحلاف وقيل انما سمي بذلك لأن قريشا قالوا والله لقد دخل
هؤلاء في فصل من الامور ونقل السهيل سبب هذه التسمية عن ابن قتيبة فقال
كان قد سبق قريشا الى مثل هذا الحلف جرهم في الزمن الأول فتحالف منهم
ثلاثة ومن بعدهم أحدهم الفضل بن فضالة والثاني الفضل بن وداعة والثالث
وهبيل بن الحارث وهذا قول القتيبي . وقال الزبير الفضيل بن شراعة والفضل
ابن وداعة والفضل بن قيساعة فلما أشبهه حلف قريش الآخر فعل هؤلاء
الجرهميين سمي حلف الفضول والاصول جمع فصل وهي أسماء أولئك الذين
نقدم ذكرهم وهذا الذي قاله ابن قتيبة حسن ولكن في الحديب ما هو
أقوى منه وأولى وهو ما رواه الحميدى عن سفيان عن عبد الله عن محمد
وعبد الرحمن بن أبي بكر قال قال رسول الله صلى عليه وسلم لقد شهدت
في دار عبد الله ابن جدعان حلفا لو دعيت به في الاسلام لأجبت . تحالفوا
ان زدد الفضول على أهاها والا يمر ظالم مطلوما فتد بين هذا الحديث لم سمي
حلف الفضول

وكان هذا الحلف أكرم حلف في العرب وأشرفه لوفرة منافعه جاهلية
واسلاما . فقد رد العدل الى نصابه في كثير من الحوادث .

في أثار نفعه في الجاهلية ما ذكره قاسم بن ثابت في غريب الحديث ان
رحلا من خثعم قدم مكة معنمرا أوحاجا ومعه بنت له يقال لها القتل من أوضأ
نساء النملين فاعتصبها منه نبيه بن الحجاج وغيبها عنه فقال الخثعمي من يمدني
على هذا الرجل فليل له عليك بحلف الفضول فوقف عند الكعبة ونادى
يا حلف الفضول فاذا هم يعنقون اليه من كل جانب وقد انتضوا اسياهم
يقولون جاءك الغوث فما لك فقال ان نبيها ظلمني في ابنتي وانزعها مني قسراً
فساروا معه حتى وقفوا على باب الدار فخرج اليهم فقالوا أخرج الجارية

ويحك فقد علمت من نحن وما تعاقدا عليه فأخرجها إليهم
ومن ذلك ما في الاغانى أن رجلا من ثمالة قدم مكة فباع سلعة له من
أبي بن خلف الجهمى فظلمه وكان يسمى الخالطة فأتى الثمالي الى أهل حلف
الفضول فأخبرهم فقالوا له اذهب فأخبره انك أتيتنا فان اعطاك حقك والا
فارجع | الينا فأتاه فأخبره بما قال له أهل حلف الفضول فأخرج له ماله واعطاه
اياه بعينه وقال الثمالي فى ذلك

اياخذنى فى بطن مكة ظالما أبى ولا قومى لى ولا صحبى
وناديت قومى صارخا لتجيبنى وكم دون قومى من فياف ومن سهب
ويا أبى لكم حلف الفضول ظلامتى بنى جمع والحق يؤخذ بالنصب
ولقد قطع الاسلام ما كان فى الجاهلية من قولهم يا فلان عند التحزب
حتى لقد سمع رسول الله يوم المريسيع رجلا يقول يا للمهاجرين وآخر يقول
يا للانصار . فقال دعوها فانها منتنة لأن الله جعل المؤمنين أخوة فلا يقال
الا يا لله ويا للمسلمين وجاز يالحلف الفضول خصوصية له لقوله عليه السلام
ولو دعيت به اليوم لأجبت يريد لو قال مظلوم ذلك لأجبت وذلك لان
الاسلام انما جاء باقامة الحق ونصرة المظلوم فلم يزد به هذا الحلف الا قوة
وليس المراد بقوله عليه السلام وما كان من حلف فى الجاهلية فلن يزيده
الاسلام الا شدة أن يقول الحليف يا فلان لحلفائه فيجيبوه بل الشدة فى
الحديث ترجع لمعنى التعاطف والتواصل

ولقد هم الحسين بن على بن أبى طالب بان يهتف به فلقد روى انه كان
بينه وبين الوليد بن عتبة بن أبى سفيان أمير المدينة من قبل معاوية منازعة
فى مال كان بينهما بذى المروة فتحامل الوليد على الحسين فى حقه لسلطانه
فقال له الحسين احلف بالله لتنصفنى من حقى أو لا آخذن سببى ثم لأقومن
فى مسجد رسول الله ثم لأدعون بحلف الفضول وكان عبد الله بن الزبير عند
الوليد حينئذ فقال . وأنا احلف بالله لئن دعا به لا آخذن سببى ثم لأقومن
معه حتى ينصف من حقه أو نموت جميعا . وبلغت المسور بن عخرمة بن نوفل

الزهرى وعبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي فقالا مثل ذلك . فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضى . ومن ذلك ما فى الاغانى أن الحسين بن على كان بينه وبين معاوية كلام فى ارض له فخرج مغضبا من عنده فلقى عبد الله بن الزبير فذكر له الحسين أن معاوية ظلمه حقه . وقال أخيره فى ثلاث خصال والرابعة الصيلم (١) أن يجعلك أو ابن عمر بينى وبينه . أو يقر بحقنى ثم يسألنى فأهبه له أو يشتريه منى . فان لم يفعل فوالذى نفسى بيده لا هتفن بحلف الفضول . قال ابن الزبير : والذى نفسى بيده لئن هتفت به وأنا قاعد لأقوم أو قائم لأمشين أو ماش لاشتدن حتى يفنى روحى مع روحك أو ينصفك . قال ثم ذهب ابن الزبير الى معاوية فقال لقينى الحسين نخيرك فى ثلاث خصال والرابعة الصيلم قال معاوية . لا حاجة لنا بالصيلم انك لفيتته مغضبا فهات الثلاث . قال تجعلى أو ابن عمر بينك وبينه قال . قد جعلتك بينى وبينه أو ابن عمر أو جعلتكما قال . أو تقر له بحقه وتسأله اياه قال أنا أقر له بحقه واسأله اياه . قال أو نشتره منه قال . وأنا اشتره منه قال فلما انتهى الى الرابعة قال لمعاوية كما قال للحسين لودعانى الى حلف الفضول لأجبتة . فقال معاوية لا حاجة لنا بهذا

بناء الكعبة وكسوتها

أول من بنى الكعبة ابراهيم عليه السلام ذكر صاحب الروض المعطار ان ابراهيم بناها ولم يجعل لها سقفا ثم انهدمت فبنتها العمالة ثم انهدمت فبنتها جرهم (٢) ثم انهدمت فبناها قصى بن كلاب وسقفها بخشب الدوم وجرى النخل وجعل ارتفاعها خمسا وعشرين ذراعاً . وفى بناء جرهم وقصى لها يقول اعشى قيس

(١) الصيلم الامر الشديد والداهية (٢) قال السهيلي . وقد قيل انه بنى فى أيام جرهم مرة أو مرتين لان السيل كان قد صدع حائطه . ولم يكن ذلك بنيانا انما كان اصلاحاً لما وهى منه وجدارا بنى بينه وبين السيل بناء عامر الجارود

حلقت بثوبى راهب الشام والتي بناها قصى وحده وابن جرهم
ثم بنتها قريش وشهد رسول الله بناءها وعمره خمس وعشرون سنة .
وكان بابها فى الارض فقال أبو حذيفة بن المغيرة . يا قوم ارفعوا الباب حتى
لا يدخل الا بإسْم فانه لا يدخلها حينئذ الا من أردتم فان جاء أحد من
تكرهون رميتم به فيسقط فكان نكالا لمن رآه ففعلت قريش ذلك . ولما
أجمعت قريش أمرها على هدمها وبنائها قال أبو وهب بن عمرو بن عائذ
المخزومى يا معشر قريش لا تدخلوا فى بنائها من كسبكم الا طيبا لا يدخل فيه
مهر نفى ولا بيع ربا ولا مظلة أحد من الناس (١)

وهدموها حتى انتهى بهم الهدم الى أساس ابراهيم ورأوا ان ما أخرجوا
من النفقة لا يكفى للبناء فاجمعوا أمرهم على ان يبنوا من البيت على أساس
ابراهيم بقدر ما أخرجوا من النفقة ويتركوا بقيته فى الحجر عليه جدار مدار
يطوفون من ورائه فتركوا من شمال البيت ست أذرع وشبرا وبنوا أساسا
فى بطن الكعبة يبنون عليه وشرعت القبائل فى بنائها حتى اذا بلغ البنيان
موضع الركن وهو الحجر الأسود اختصموا كل قبيلة تريد أن تضعه موضعه
حتى نحالفوا وأعدوا للقتال عدته ثم اتفقوا على ان يحكموا أول من يدخل
من باب المسجد فكان رسول الله فلما رأوه قالوا هذا الأمين رضينا هذا
محمد وأحبروه خبرهم فدعا عليه السلام بثوب فأثى به ثم قال لتأخذ كل قبيلة
بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه أخذته
بيده الشريفة فوضعه موضعه (٢) ثم بنى عليه ولم تزل على بنائها الى أن
تولى عبد الله بن الزبير أمر مكة فى زمن يزيد بن معاوية فأرسل يزيد
اليه الحصين بن نمير فى عسكر كثيف من أهل الشام فالتجأ ابن الزبير
للمسجد فرماه الحصين بالمنجنيق فأصاب مقدوفه الكعبة فهدمها وحرق

(١) فيه دليل على حرمة الزنا والربا والظلم عليهم يعلمون ذلك ببقية من
بقايا شرع ابراهيم (٢) حكى الزبير بن أبى بكر ان الذى وضع الركن فى بناء
عبد الله بن الزبير ابنه حمزة اغتتم فرصة شغل الناس بالصلاة خلف أبيه فى

كسوتها وبعض خشبها ثم مات يزيد وانصرف جنده فهدمها عبد الله بن الزبير وبناها على قواعد ابراهيم وكسا بابها بصفائح الذهب وجعل مفاتيحها من الذهب وأدخل الحجر فيها وجعل لها بابين ملصوقين بالارض شرقيا وغربيا يدخل من واحد ويخرج من الآخر وذلك لما حدثته به عائشة أم المؤمنين عن رسول الله انه قال « الم ترى قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد ابراهيم حين عجزت بهم النفقة . ثم قال عايه السلام لولا حدثان عهد قومك بالجاهلية لهدمتها وجعلت لها خلفاً (١) والصقت بابها بالارض وأدخلت فيها الحجر » وكان فراغه من بنائها في السابع عشر من شهر رجب سنة أربع وستين

فلما تولى عبد الملك بن مروان أرسل لابن الزبير جيشاً وعلى رأسه الحجاج ابن يوسف حاصره في مكة حتى استشهد سنة ثلاث وسبعين فدخل الحجاج مكة وكتب لعبد الملك بما صنعه ابن الزبير في الكعبة فقال لسا من تخليط أبي خبيب (٢) بشيء وأمره ان يعيدها الى ما كانت عليه زمن رسول الله فهدم من جانبها الشامي الشمالي ست أذرع وشبرا وبني على أساس قريش ورفع الباب الشرقي وسد الغربي ولم يغير من باقية شيئاً فلما فرغ من بنائها قدم على عبد الملك الحارث بن أبي ربيعة المعروف بالقباع وهو أخو عمر ابن أبي ربيعة ومعه رجل آخر لحدثاه حديث عائشة المتقدم فندم وجعل ينكث الارض بمخصرة في يده ويقول « وددت اني تركت أبا خبيب وما تحمل في ذلك »

فلما تولى أبو جعفر المنصور أراد أن يبنيها على ما بناها ابن الزبير وشاور في ذلك . فقال له مالك بن أنس . أنشدك الله يا أمير المؤمنين ألا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك بعدك لا يشأ أحد منهم أن يغيره الا غيره فتذهب المسجد فوضعه حين أحس منهم التنافس في ذلك وخاف الخلاف فأقره أبوه (١) خلفاً أي باباً آخر من خلفها (٢) أبو خبيب كنية عبد الله بن الزبير تكنى باسم ولده خبيب

هيئته من قلوب الناس فصرفه عن ذلك فالكعبة الى اليوم حائطها الشمالى من بناء الحجاج وباقي حوائطها من بناء ابن الزبير

أما كسوتها فقد كسيت فى الجاهلية من زمن قديم اعظاماً لها وأول من كساها تبع الآخر وهو تبارك أسعد المتقدم ذكره عند الكلام على المختلف فى نبوتهم من العرب روى انه قدم مكة فطاف بالبيت ونحر عنده وحلق رأسه وأقام بها ستة أيام ينحر للناس ويطعم اهلها ويسقيهم العسل المصفى وأرى فى المنام أن يكسو البيت فكساه الخصف (١) ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه الثياب المعافيه (٢) . ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه الملاء والوصلات (٣) قال ابن هشام (واوصى بالبيت ولأئمة من جرم وأمرهم بتطهيره والى يقربوه دماً ولا ميتة ولا مثالة وهى المحائض (٤) وجعل له باباً ومفتاحاً) وقال فى كسوته

وكسونا البيت الذى حرم الله ملاء معضدا وبرودا (٤)
فأقننا به من الشهر عشرا وجعلنا لبابه أقليدا (٥)
ونحرننا بالشعب ستة آلا فترى الناس نحوهن ورودا
ثم سرنا عنه نؤم سهيلا فرفعنا لوأنا معقودا
وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تسبوا أسعد الحميرى فانه أول من كسا الكعبة

وقالت سبيعة بنت الاحب من قصيدة

(١) جمع خصفة وهى ثوب غليظ أو شئ ينسج من الخوص والاياف
(٢) نسبة الى معافر بفتح الميم بلد أو ابو حي من همدان (٣) الوصائل ثياب حبرة من عصب الجن سميت بذلك لأنها كانت يوصل بعضها ببعض واحدها وصيلة (٤) قال السهيلي لم يرد النساء الحيض لان حائضاً لا يجمع على محائض وانما هى جمع محيضة وهى خرقة الحيض (٥) المعضد كمعظم ثوب له علم فى موضع المضد (٦) الاقليد المفتاح .

ولقد غزاها تبع وكسا بنيتها الحبير (١)
 وأذل ربى ملكه فيها فأوفى بالنذور
 يمشي اليها حافيا بفنائها الفا بهير
 ويظل يطعم أهلها لحم المهارى والجزور
 يسقيهم العسل المصفى والرحيض من الشعير (٢)

ثم كستها العرب بأنواع كثيرة روى عن ابن مليكة انه قال بلغنى أن الكعبة كانت تكسى فى الجاهلية كسى شتى وكانت البدن تجال الحبر والبرود والأكسية وغير ذلك من عصب اليمين . وكان يهدى للكعبة هدايا من كسى شتى سوى جلال البدن حبر وخز وأنماط فتكسى منه الكعبة ويجعل مابقى فى خزانة الكعبة فاذا بلى منها شئ أخلف عليها مكانه ثوب آخر ولا ينزع منها شئ وعنه أيضا انه قال :

كانت قريش فى الجاهلية ترافد فى كسوة الكعبة فيضربون ذلك على القبائل بقدر احتمالها من عهد قصى بن كلاب حتى نشأ أبو ربيعة بن المغيرة بن عبد الله ابن عمرو بن مخزوم . وكان يختلف الى اليمن يتجر فيها فأثرى فى المال فقال لقريش انا أ كسو الكعبة وحدى سنة وجميع قريش سنة فكان يفعل ذلك حتى مات يأتى بالحبر الجندية من الجند وهى بلدة باليمن فيكسو الكعبة فسمته قريش العِدْل (٣) لانه عدل بفعله فعل قريش . وعن ابن جريج أن الكعبة فيها مضى انما كانت تكسى يوم عاشوراء اذا ذهب آخر الحاج حتى كان بنو هاشم . فكانوا يعلقون القميص يوم الترويه (٤) من الديباج (٥) ليراهم الناس فى بهاء وجمال فاذا كان يوم عاشوراء علقوا عليها الأزار .

(١) غزاها طلبها وقصدها وتريد بالحبير الحبرات (٢) الرحيض من الشعير أى المنقى والمصفى منه (٣) فى الاغانى أن العدل هو عبد الله بن أبى ربيعة وقد قيل أن العدل هو الوليد بن المغيرة (٤) هو اليوم الثامن من ذى الحجة (٥) اختلف فى اول من كساها الديباج فقال الزبير النسابة انه عبد الله بن الزبير وحكى ابن اسحاق انه الحجاج لكن روى الدارقطنى أن تتيلا أم

وعن عمر بن الحكم . قال . نذرت أمي بدنة تنجرها عند البيت وجللتها شقتين من شعر ووبر فنحرت البدنة وسيرت للكعبة بالشقتين والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة لم يهاجر فنظرت الى البيت يومئذ وعليه كسي شتى من وصائل وأنطاع وكرار وخز ونمارق عراقية كل ذلك رأيت عليه .
وذكر ثياب البيت أبو طالب عمه عليه السلام في قصيدته اللامية المشهورة فقال

واحضرت عند البيت رهطى وأخوتى وأمسكت من أثوابه بالوصائل
وأقر الاسلام ما كانوا عليه من كسوته فكساه النى عليه السلام الثياب
اليمانية ثم كساه عمر وعثمان ومعاوية والأُمويون وكان العباسيون يكسونها
الحرير الأسود وينسجون كسوتها بتميس احدى مدن مصر التي عفت ولما ضعفت
شوكتهم صارت ترسل كسوتها من ملوك اليمن حيناً وحيناً من ملوك مصر
ثم وقف على كسوتها الملك الصالح بن قلاوون قريتي بسوس وسنديس
بمديرية القلوية واستمرت مصر ترسلها من يومئذ الى الان في كل عام

وكانوا في الجاهلية لا ينزعون من ثيابها شيئاً فعن ابن أبي مليكة انه
قال . كانت على الكعبة كسي كثيرة من كسوة أهل الجاهلية من الأنطاع
والأكسية والكرار والأنماط فكانت ركاما بعضها فوق بعض فلما كسيت
في الاسلام من بيت المال كان يخفف عنها الشيء بعد الشيء الى أن كانت أيام
معاوية فكتب اليه شعبة بن عثمان الحجبي يرغب اليه في تخفيفها من كسي
الجاهلية حتى لا يكون عليها شيء مما مسته أيديهم فكتب اليه معاوية أن
يجردها وبعث اليه بكسوة من ديباج وقباطى وحبرة فجردها شعبة حتى لم
يبق عليها شيء وكساها الكسوة التي بعث بها معاوية وقسم الثياب التي
كانت عليها بين أهل مكة وكان ابن عباس حاضرا في المسجد فلم ينكر
عليه ذلك ولا كرهه وانكرت عائشة قسمتها بين أهل مكة وقالت لشعبة
العباس بن عبد المطلب كانت قد أضلت العباس صغيرا فنذرت ان هي وجدته
أن تكسو الكعبة الديباج ففعلت ذلك حين وجدته

بمها واجعل ثمنها في سبيل الله

ثم لم تكن تجرد في كل عام حتى حج الخليفة المهدي العباسي سنة مائة وستين من الهجرة فشكا اليه سدة الكعبة كثرة الكساوى التى عليها فأمر بها فانزلت وأمر الا يعلق عليها الاكسوة واحدة فلم تزل كذلك الى الآن

تعظيم المعجم والعرب للكعبة

قد عظمت المعجم والعرب الكعبة فن تعظيم المعجم لها أن قدماء المصريين كانوا يسمون بلاد الحجاز بالبلاد المقدسة لمكان البيت منها . وكان الهنود يعتقدون أن روح شبيه أحد آلهتهم وهو الأ قنوم الثالث من تمثال بوذا قد تقمصت في الحجر الاسود حين زيارته بلاد الحجاز . وكان الفرس يعتقدون أن روح هرمز حلت في الكعبة . وذكر بعضهم أن اسلاف الفرس كانوا يحجون البيت الحرام ويطوفون به تعظيما لجدهم ابراهيم وتمسكا بهديه وحفظا لانسابهم لا اعتقادهم انهم من نسل ابراهيم . قال المسمودى سميت زمزم لان الفرس كانت تحج اليها في الزمن الاول فزمزت عليها - والززمة صوت تخرجه من خياشيمها . وقال غيره . وكان آخر من حج منهم ساسان بن بابك فأتى البيت وطاف به وزمزم على البرء وفي ذلك يقول الشاعر في القديم من الزمان

زمزمت الفرس على زمزم وذاك من سالفها الاقدم

والززمة كلام المجوس وقراءتهم على صلاتهم وطعامهم . وقد افتخر بعض

شعراء الفرس في الاسلام فقال

وما زلنا نحج البيت قدما ونلنى بالاباطح آميننا

وساسان بن بابك سار حتى أتى البيت العتيق باصيدينا

وطاف به وزمزم عند برء لاسماعيل تروى الشاريننا

وقد خصها العرب بأنواع من الاحترام لانها بيت الله الحرام وبناء أيهم ابراهيم واسماعيل . فنها انهم كانوا لا يبنون عندها بيوتا حتى صارت ولاية الحرم لقصى بن كلاب فبنى دار الندوة وأمر قريشا أن تبنى بيوتها حوله

لتهابهم العرب لمكان البيت فامثلوا أمره . و (كانوا) لا يرفعون بناءهم فوق بنائها تعظيماً لها . و (كانوا) يتحامون الترييع في البناء كيلا يشبهها وأول من بنى بيتاً ربما حميد بن زهير أحد بنى أسد بن عبدالمزى كما في الحيوان للجاحظ لكن في صبح الاعشى ان أول من فعل ذلك هو بديل بن ورقاء الخزاعي و (كانوا) يخلعون نعالمهم عند دخولها . وفي صبح الاعشى ان أول من خلع نعليه عند دخولها الوليد بن المغيرة . و (كانوا) يخلفون بها والشواهد على ذلك كثيرة منها قول زهير بن أبى سلمى

فاقسمت بالبيت الذى طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرحهم
و (كانوا) يضمخون البيت في الجاهلية بلحوم الأبل ودماؤها فلما جاء الاسلام قال أصحاب رسول الله فنحن أحق ان يضمخ فانزل الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى مكم

ولقد اشرك اليهود والنصارى والمشركون في احترامها واتخذوها معبداً كل يعبد ربه فيه كما أمره دينه حتى صوروا بها المسيح والعدراء وصوروا بها ابراهيم واسماعيل وفي أيديهما الأزام ووضعت كل قبيلة صنمها الذى تعبد به عليها حتى اجتمع على سطحها ثلاثمائة وخمسة وستون صنماً وما زالت كذلك حتى بعث رسول الله فتحا الصور وكسر الأصنام وحلصها لعبادة الله وحده

ولعظيم مكانة الكعبة والحرم لدى العرب اعترفوا لسكان الحرم ومجاورى البيت الحرام بالبراءة . وهذا ما دعا بعضهم لبناء بيت واتخاذ حرم ليضاهى به حرم الله وبيته فلم يتم له ما أراد كبناء (بس) وكنيسة (القليس)

اما بس — فحكى الاغانى خبره وهو أن بى بغيض بن غطفان لما استشعروا من أنفسهم القوة عند ما انتصروا على صداة — وهى قبيلة من مذحج — قالوا والله لنتخذن حرماً مثل حرم مكة لا يقتل صيده ولا يعصد شجره ولا يهاج عائذه فاتخذوه عند ماء لهم يقال له بس وكان القائم على أمر الحرم وبناء حائطه رياح بن ظالم (١) فلما بلغ فعالمهم هذا زهير بن جناب وهو (١) فى القاموس بس بيت لغطفان بناء ظالم بن أسعد لما رأى قريشا

يومئذ سيدكلب . قال والله لا يكون هذا أبدا وأنا حي فسار في قومه حتى غرا غطفان فظفر بهم وأسر فارساً في حرمهم فقال لأحد أصحابه اضرب رقبته فقال انه بسل فقال زهير وأبيك ما بسل على بحرام . ثم قام اليه وعطل ذلك الحرم وكانت الولاية على هذا الحرم لبني مرة بن عوف

واما كنييسة القليس (١) فقد بناها أبرهة الاشرم ملك اليمن من قبل النجاشي بصنعاء الى جنب غمدان لما دانت له قبائل العرب وملك قيادها ولما تم له بناؤها كتب الى النجاشي اني قد بيت لك بصنعاء بينا لم تبين العرب والمعجم مثله ولن أنتهي حتى اصرف حاج العرب اليه ويتركوا الحج الى بيتهم فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذاك الى النجاشي غضب رجل من النساء أحد بني فقيم ابن عدى بن عامر فخرج حتى أتى القليس فأحدث فيها ثم خرج فليحق بقومه فلما أخبر بذلك أبرهة سأل عمه صمعه فقبل له صنعه رجل من العرب من أهل هذا البيت الذي بمكة لما سمع قولك أصرف اليها حج العرب . فغضب أبرهة وحلف لبسيرن الى البات حتى يهدمه . ثم سار بجيشه ومعه الفيل . فلما نزل بالمغمس وهو مكان قريب من مكة أرسل الى قريش فاجبرهم ان لا يرد الا هدم البيت فان لم يتعرضوا لقتاله لا يقاتلهم وعامت قريش انها لا طاقة لها بحربه فأخذ عبد المطلب بمحلة باب الكعبة وقام ومعه نفر من قريش يدعون الله ويستصرونه على أبرهة وجنده وقال

لا هم ان العبد يئد مع رحله فامنع حلالاك (٢)

يطوفون بالكعبة ويسعون بين الصفا والمروة فذرع البيت وأخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة فرجع الى قومه فبنى بيتا على قدر البيت ووضع الحجرين فقال هذان الصفا والمروة واجتروا به عن الحج فاغار زهير بن جناب السكبي فقتل ذالما وهدم بناءه (١) قال السهيلي سميت هذه الكنييسة القليس لارتفاع بنائها وعلوها ومنه القلائس لأنها في أعلى الرؤوس (٢) العرب تحذف الألف واللام من اللهم وتكتفى بما بقي .

و (الحلال) القوم الحلول في المكان

والنصر على آل الصليبي وعابديه اليوم آلا
لا يفلبن صليبيهم ومجاهلهم أبدا محالك (١)
ان كنت تاراهم وقب لمتنا فأمر ما بدا لك

ثم خرج مع قریش من مكة وتحرزوا في شمع الجبال والشعاب تخوفا
عليهم من معرة الحبش وأخذوا ينتظرون ما أبرهة فاعل مكة اذا دخلها ولما
أصبح أبرهة تهباً لدخول مكة وهياً فيله وعبي جده . فلما ووجهوا الفيل الى
جهة الكعبة برك فضر بوا رأسه بالقأس ليقوم فأبى فادخلوا لهم محاجن في
مرافقه حتى أدموه ليقوم فأبى فوجهوه الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى
الشام فقام يهرول ووجهوه الى المشرق فقام يهرول ووجهوه الى مكة وبرك
وجعل الله كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من
سجيل (٢) لا تصيب .هم أحدا الا هلك نخرجوا يتساقطون بكل طريق
ويهلكون بكل مهلك ومعهم أبرهة مصاب في جسمه يسقط أنملة أنملة حتى
قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فامات حتى انصدع صدره عن فابه
فلما رأت العرب ما حل باصحاب الفيل أعظموا قریشاً . وقالوا أهل الله قاتل
عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم

ولقد استندل أبرهة أهل اليمن في بقاء القليس وبنائها بحجارة قصر بلقيس
صاحبة سليمان عليه السلام . وكان مبنياً موضع من هذه الكنيسة على فراسخ
وبه بقايا من آثار ملكها فاستعان بذلك على ما أراد من بهجتها وحسنها
فوضع أبرهة الرجال نسقا يناول بعضهم بعضا الحجارة والخشب فنقل اليها منه
العدد من الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب حتى نقل ما كان في قصر
بلقيس مما احتاج اليه ولقد وصفها ابن العربي (٣) نقلا عن ابن اسحاق فقال :

(١) و (المحال) بكسر الميم الكيد أو التدبير أو المكر أو القدرة أو

القوة والشدة (٢) الابابيل الجماعات و (السجيل) الشديد الصلب

(٣) هو يحيى الدين ابن العربي وجميع ما نسب له فمن كتابه محاضرة

الابرار ومسامرة الاخيار في الادبيات والنوادر والاخبار

وكان عرض حائط القليس ست اذرع . وكان له باب من نحاس عشر اذرع
طولا في اربع اذرع عرضا . وكان المدخل منه الى بيت في جوفه طوله ثمانون
ذراعا في اربعين ذراعا محلى بالساج المنقوش . ومساميره الفضة والذهب . ثم
يدخل من البيت الى ايوان طوله اربعون ذراعا عن يمينه وعن يساره عقد
مضروبة بالفسيفساء مشجرة بينها كواكب الذهب ظاهرة ثم يدخل من الايوان
الى قبة ثلاثون ذراعا في مثلها بالذراع القصير فيها صلب منقوشة بالذهب والفضة
وفيه رخامة مما يلي مطلع الشمس من اليلق مربعة عشر اذرع في مثلها تعشى
عين من نظر اليها من بطن القبة تؤدي ضوء الشمس والقمر الى داخل القبة
وكان تحت الرخامة منبر من خشب الآبنوس مفصل بالعاج الابيض ودرج
المنبر من خشب الساج ملبسة ذهباً وفضة . وفي القبة سلاسل فضة . وكان في
القبة وفي البيت خشبة من ساج منقوشة طولها ستون ذراعا يقال لها كعيب
وخشبة من ساج نحوها في الطول يقال لها امرأة كعيب كانوا يتبركون بهما في
الجاهلية . وكان يقال لكعيب الآحورى . وهو في لسانهم الحر ، روى انه
لما هلك أبرهة ومرقت الحبشة كل ممزق واقفر ما حول هذه الكنيسة فلم
يعمرها أحد وكثرت حولها السباع والحيات اتفق أن بعضهم أخذ منها شيئا
فأصيب بأذى فنسب رطاع اليمن ما اصابه الى الصنمين كعيب وامراته فتحاماها
الداس فبقيت بما فيها من الخشب المرصع بالذهب والآلات المفضضة التي
تساوى قناطر من المال الى رمن أبي جعفر المنصور فكتب لعامله على اليمن
العباس بن الربيع بن عبيد الله الحارثي يأمره بهدمها فهدمها وأصاب العباس
مالا كثيرا بما باعه من رحامها ودعا بالسلاسل فعلقها في كعيب والخشبة
التي معه فلم يقربهما أحد مخافة مما كان أهل اليمن يقولون فيهما فعلق السلاسل
في العجل ثم جذبهما الثيران حتى أبرزا من السور . فلما لم ير الناس شيئا
مما كانوا يخافون من مضرتهما اشترى رجل عراقى الخشبة وقطعها لدار
له . واتفق أن العراقي أصيب بجذام فافتن بذلك رعاى اليمن وطغامهم وقالوا
أصابه كعيب

قال أبو المنذر (١) وكان رجل من جهة يقال له عبد الدار بن حُديب قال لقومه هلم بنبي بيتنا نضاهي به الكعبة ونعظمه حتى نستميل به كثيرا من العرب فأعظموا ذلك وأبوا عليه فقال في ذلك

ولقد أردت بأن تقام بنية ليست بحوب أو تطيف بمأثم
فأبى الذين إذا دعوا لعظيمة راغوا ولاذوا في جوانب قودم
يلحون أن لا يأسروا فإذا دعوا ولوا واعرض بعضهم كالأبكم

الاربعة الاشهر الحرم - والبسل

كما كانوا على دين ابراهيم في تحريم الحرم وتكريم الكعبة كذلك كانوا على دينه في تحريم ذى القعدة وذى الحجة والحرم ورجب . ففكانوا يرفعون فيها الاسنة عن الرماح ويقعدون عن شن الغارات وطلب الثارات ويأمن الخائف فيها عدوه حتى يلتقى الرجل فيها قاتل ابيه أو اخيه فلا يتعرض له . ولم تكن العرب كلها تحرم الاشهر الحرم فقد كانت طيء كلها وخثعم كلها وكثير من أحياء قصاعة ويشكر وبنى الحارث بن كعب على ما حكاها الجاحظ في الحيوان محلين لا يرون للحرم ولا للشهر الحرام حرمة وكانوا لا يحجون ولا يعتمرون وبين السهيلي سر مشروعتها فقال

« ان تحريم القتال في الاشهر الحرم كان حكما معمولاً به من عهد ابراهيم واسماعيل وكان من حرمان الله ومما جعله مصلحة لاهل مكة . قال الله تعالى « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام » وذلك لما دعا ابراهيم لذريته بمكة اذ كانوا بواد غير ذى زرع أن يجعل افئدة من الناس تهوى اليهم ففرض الله على الناس حج البيت قواما لمصلحتهم ومعاشهم . ثم جعل الاشهر الحرم اربعة ثلاثة سردا وواحدا فردا وهو رجب أما الثلاثة فليأمن الحجاج على انفسهم واهليهم واردين الى مكة وصادرين عنها شهرا قبل شهر الحج وشهرا بعده قدر ما يصل الراكب من أقصى بلاد العرب ثم يرجع حكمة

(١) هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي المشهور بابن الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ هجرية ومانعزوه اليه بكنية أبي المنذر فما ذكره في كتاب الاصنام

من الله . وأما رجب فللعلماء رأياً منون فيه مقبلين وراجمين نصف الشهر للاقبال ونصفه للأياب اذ لا تكون العمرة من أقاصى بلاد العرب كما يكون الحج وأقصى منازل المعتمرين بين مسيرة خمسة عشر يوماً فكانت الأقوات تأتي أهل مكة فى المواسم وفى سائر العام تنقطع عنهم ذؤبان العرب وقطاع السبل مصلحة لأهلها ونظرا من الله لهم دبره وابقاه من ملة ابراهيم »

ولا عتيادهم الاعتمار فى رجب سموه من منصل الأل (١) لانهم كانوا يصلون الأ سنة عن الرماح حتى يخرج الشهر . قال الاعشى

تداركه فى منصل الأل بعد ما مضى غير دأداء وقد كاد يعطب (٢)
وكانوا يدعونه الاصم لانهم كانوا لا يتغازون فيه ولا يتنادون فيه بالقلان وبالقفلان ولا تؤخذ فيه الثارات وكانت مضر تعظم رجبا اكثر من سائر العرب وتذبح فيه قرباناً تسميه الرجبية حتى أضيف اليها ف قيل رجب مضر وكانوا يرون رجبا أسرع الاوقات لاجابة الدعاء فكانوا يؤخرون الدعاء على الظالم حتى اذا دخل رجب دعوا عليه فيه * روى ابن عباس أن عمر بن الخطاب رأى رجلاً مبتلى فقال ما رأيت افطع مظراً منه . فقيل له أما تعرفه يا أمير المؤمنين قال لا . قيل هذا ابن ضبعان السامى الذى دعا عليه عياض . فقال لعياض اخبرنى خبرك فقال يا أمير المؤمنين كان بنو ضبعان عشرة وأنا ابن عم لهم فكنت مستجيراً بهم وجاراً لهم فظلمونى وأخذوا مالى عدواناً فذكرتهم بالله والرحم والجوار فلم ينفذ فأمهلتهم الى دخول رجب فرفعت يدي الى السماء وقلت

لاهم ادعوك دعاء جاهدا تقتل بى ضبعان الا واحدا

ثم اضرب الرجل فذره قاعدا اعمى اذا ما قيد أعياء القائدا

وكان ذلك فى الجاهلية فتتابع منهم تسعة ماتوا فى عام واحد وبقي منهم هذا اعمى رماه الله فى رجليه بما ترى . فقال عمر سبحان الله ان هذا لأمر

(١) الأل الاسنة - والألة الحربة - يقال أله يؤله إذا طعنه

(٢) الدأداء ثلاث ليال من آخر الشهر

عجيب . وكانوا قبيل دخول الاشهر الحرم وعند انسلاخها حريصين على الاخذ
 بالثأر أو انتهاز اغتيال يدعوا اليه الحق والفساد . فقد روى ابن أبي الحديد
 عن شيخه أبي علي ان الرياشي ذكر أن العرب تسمى آخر يوم من شوال فلتة من
 حيث أن كل من لم يدرك ثأره فيه فاته ثم قال والذي رواه عن أهل اللغة قول
 لا نعرفه والذي نعرفه انهم يسمون الليلة التي ينقضى بها آخر الاشهر الحرم
 ويتم فلتة . وهي آخر ليلة من ليالى الشهر لانه ربما رأى الهلال قوم لتسع
 وعشرين ولم يبصره الباكون فيغير هؤلاء على أولئك وهم غافلون . فلهذا
 سميت تلك فلتة (١)

فمن مسارعهم بأخذ الثأر قبيل دخول الشهر الحرام ما كان من عاصم بن
 المفشعر السبي فانه لما علم أن الخنفس الضبي قتل أخاه بيده في آخر يوم من
 جمادى الآخرة نهض عاصم قبل دخول رجب وانطلق حتى اذا كان بغناء
 خباء الخنفس ناداه مستنجدا فلما خرج اليه الخنفس وسار معه داباه عاصم
 حتى قاربه ثم قمعه بالسيف فأطار رأسه وقال (العجب كل العجب بين جمادى
 ورجب) فسارت كلمته مثلاً

فاذا انسلاخت الاشهر الحرم كانوا بين حروب أوقدت نارها الاحقاد
 وغارات أثارها طلب الثأر أو السلب أو الميل للفساد وشاهده قول طفيل
 الغنوى وهو شاعر جاهلي

ظلمائن أبرقن الخريف وشمنه وخفن الهمام ان تقاد قنابله (٢)

يعنى دخلت شهور الحل خفن ان يغير الهمام عليهن فتكبن ناحيته
 وتواعدن عنه . وقد توعد تأبط شرا العوص بقتالهم عند انسلاخ الأشهر
 الحرم وذلك انه خرج يوماً وصاحبان له حتى أغاروا على العوص من بحيلة

(١) فى القاموس الفلتة آخر ليلة من كل شهر أو آخر اليوم من الشهر
 الذى بعده الشهر الحرام (٢) أبرقن الخريف رأين برق الخريف - وقال
 بمضهم دخلن فى برق الخريف و (شمنه) أبصرنه - والشميم النظر الى البرق
 خاصة و (القنابل) جمع قنبله وهى الجماعة من الخيل

فأخذوا نعماء لهم واتبعهم العوس فادركوهم وقد كانوا استأجروا لهم رجالا كثيرة : فلما رأى تأبط شرا ان لا طاقة لهم بهم عدا وتركهما فقتل صاحباه فقال يرثيهما ويتوعد .

لنعم فتى نلتم كأنت رداه على سرحة من سرح دومة شائق (١)
فعدوا شهور الحرم ثم تعرفوا قتيل أناس أو فتاة تصانق (٢)
ومع هذا فقد قتل بعضهم بعضا في الشهر الحرام بل وفي الحرم نفسه
لسبب الغضب الذي يملك على العقل زمامه أو الاستهانة بأمر الدين . كما كان من
الشفغرى فانه لما قدم منى وبها حرام بن جابر فقتله له هذا قاتل أبيك فقتله
ثم سبق الناس على رجله وقال

قلت حراما مهديا بلميد بيطن منى وسط الحجيج المصوت (٣)

وقد أغار معبد بن زرارة على بنى عامر بن مالك في شهر رجب الحرام
وكذلك قتل ضبة بن اد بن طابخة في الشهر الحرام الحارث بن كعب .
وكان من خبره ما روى ان الحارث لقي سميد بن ضبة وهو غلام قد خرج
في ابل لأبيه قد ضلت وكان عليه بردان فلقى الحارث فسأله برديه فأبى عليه
فقتله ومكث ضبة ماشاء الله ان يمكث . ثم حج فوافى عكاظ فلقى بها الحارث
ابن كعب وعليه بردا ابه سميد فمرفهما . فقال له هل أنت مخبرى عن هذين
البردين . قال بلى لقيت غلاما وهما عليه فسألته اياهما فأبى على فقتلته واخذتهما
فقال ضبة بسيفك هذا قال نعم . قال : فاعطنيه أنظر اليه فاني أظنه صارمأ
فاعطاه الحارث سيفه فلما أخذه من يده هزه . وقال : الحديث ذو شجون
ثم ضربه به حتى قتله . فقتل ياضبة أفى الشهر الحرام فقال : سبق السيف
العذل قال الفرزدق .

لا تأمنن الحرب ان استعارها كضبة اذ قال الحديث شجون
ومن ذلك قتل البراص بن قيس الكنانى عروة الرحال الهوازنى في

(١) شائق مشدود (٢) تعرف طلب المعرفة حتى عرف

(٣) المهدي سئق الهدى وهو ما أهدى الى الحرم

حديث روه وهو ان البراض كان سكيراً فاسقا خلعه قومه وتبرءوا منه فلحق
 بالنعمان بن المنذر بالحيرة وكان النعمان يبعث الى سوق عكاظ بلطيمة (١) لتناع
 فيه ويشتري له بشمها آدم من آدم الطائف . وكان يرسلها في جوار رجل
 من أشرف العرب . فلما جهز اللطيمة قال من يحيرها فقال البراض أنا أجيرها
 على بنى كنانة فقال له النعمان انما أريد رجلا يحيرها على أهل نجد وتهامه وكان
 عروة الرحال حاضراً فقال أنا أجيرها لك أبيت اللعن . فقال البراض أتجيرها
 على كنانة فقال نعم وعلى الناس جميعاً أفكذب خايع يحيرها يخرج فيها عروة
 الرحال ويخرج البراض يطلب غفلته حتى اذا كان بالعالية غفل عروة فوثب
 عليه البراض فقتله في الشهر الحرام فكان ذلك سبب حرب الفجار الثاني (٢)
 جاز البراض وایامه يوم نخلة ثم يوم شحطة ثم يوم العبلاء ثم يوم عكاظ ثم يوم
 الحررة (٣) وهي حرة الى حنب عكاظ كما في الاغانى . وكانت حرب الفجار في
 الاشهر الحرم في القاموس (ايام الفجار بالكسر أربعة أفجرة في الاشهر
 الحرم (٤)) كانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان وكانت
 الدبرة على قيس فلما قاتلوا فالوا فجزنا حضرها النبي صلى الله عليه وسلم
 وهو ابن عشرين وفي الحديث كنت أنبل (٥) على عمومتي يوم الفجار
 ورميت فيه بأسهم وما أحب اني لم أكن فعلت) . وقد أخرجه أعمامه
 معهم وقيل لم يقاتل في فجار البراض أى لم يرم فيه بأسهم .

وفي الاغانى ان النبي شهد أيام حرب الفجار الا يوم نخلة وكان يناول

(١) اللطيمة العير التي تحمل الطيب والبز للتجارة (٢) الفجار الاول كانت
 الحروب فيه ثلاثة أيام ولم تسم باسم شهر بها (٣) الحريرة كهيرة . وقد جعل
 السهيلي أيام الفجار خمسة أفجرة فزاد فيه يوم الشرب قال وهو أعظمها يوماً
 وفيه قيد حرب وسفيان وأبو سفيان أبناء أمية أنفسهم كي لا يفروا فسموا
 العنابس (٤) استظهر الحلبي في سيرته ان حرب الفجار لم تكن في الشهر
 الحرام بل كانت في شوال وقيل في شعبان (٥) أنبل على عمومتي أى أرد
 عليهم نبل عدوهم اذا رموهم بها

عمره وأهله النبل وعمره يومئذ عشرون سنة وطمعن عليه السلام أبا براء ملاعب الأُسنة وسئل عن مشهده يومئذ فقال (ما سرتني أني لم أشهده انهم تمدوا على قومي عرضوا عليهم ان يدفعوا اليهم البراض صاحبهم فأبوا)

ولقد رد الجاحظ في الحيوان على من يعترض كون النبي شهد هذه الحرب بقوله (ولا يزال الطاعن يقول قد علمنا ان العرب لم يسموا حروب ايام الفجار بالفجور وقريشا خاصة الا ان القتال في البلد الحرام كان عندهم فجورا وتلك حروب قد شهدها النبي صلى الله عليه وسلم وآله وهو ابن أربع عشرة سنة وابن أربع عشرة سنة يكون بالغاً . وقال شهدت الفجار فكنت أنبل على عمومتى " (وحوابنا في ذلك) ان بى عامر بن صعصعة طالبوا أهل الحرم من قريش وكنانة بجزيرة البراض بن قيس في قتله عروة الرحال . وقد علموا انهم يطالبون من لم يجن ومن لم يعاون وان البراض بن قيس كان قبل ذلك خليعاً مطروداً فأثوهم الى حرمهم يلزمونهم ذنب غيرهم فدافعوا عن أنفسهم وعن أموالهم وعن ذرائعهم والفاجر لا يكون المسعى عليه . ولذلك أشهد الله تبارك وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام ذلك الموقف وبه نصرنا كما نصرت العرب على فارس يوم ذى قاربه عليه الصلاة والسلام وبمخرجه)

وخالف السهيلي الجاحظ فانكر قتال النبي فيها بقوله « وانما لم يقاتل رسول الله مع أممائه وكان يذمل عليهم وقد كان بلغ سن القتال لأنها كانت حرب فجار وكانوا أيضاً كلهم كفاراً ولم يأذن الله تعالى لمؤمن ان يقاتل الا لتسكون كلمة الله هي العليا » وانى لأعجب من السهيلي في قصره المقاتلة على الرمي بالسهم أو الطعن بالرمح مع ان من كان يذمل على المقاتلة مشترك في القتال ومعين عليه ودعواه ان الله لم يأذن لمؤمن في القتال الا لاعلاء كلمته مردودة لأن القتال كما يكون لذلك يكون لدفع الظلم والفساد

وكون الأشهر الحرم أربعة كما قدمنا مذهب أكثر العرب ومنهم قوم لم يقفوا عند شريعة ابراهيم فتجاوزوا حدود الله وزادوا في الدين فجعلوا الأشهر الحرم ثمانية وهو (البَسَل) قال في القاموس البسل ثمانية أشهر حرم

كانت تقوم من غطفان وقيس . وذكر ابن اسحاق بنى مرة بن عوف وهم قوم دخلوا في نسب غطفان فقال وفيهم كان البسل فيما يرعمون يسيعهم ثمانية أشهر حرم لهم من كل سنة من بين العرب . قد عرفت ذلك لهم العرب لا ينكرونه ولا يدفعونه يسرون به الى أى بلاد العرب شاءوا لا يخافون منهم شيئا :
النسب

ولما كانت العرب تدين بدين ابراهيم من تحريم القتل في الاراعة الأشهر الحرم ذى القعدة وذى الحجة والحرم وشهر رجب وكانوا يحاولون لشن الغارات ومطلب الثارات كرهوا توالي ثلاثة أشهر لا يغزون فيها وأحدنوا النساء وكانوا يسألونهم تأخير حرمة الحرم الى صفر قاله أبو على القالى في أماليه (١) وقال أبو عبيد أنهم اذا احتاجوا للحرب في الحرم أحرأوا تحرمة الى صفر ثم يؤخرون صفر في سنة أخرى . وكانت النساء من بنى فقيهم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كمانه بن خزيمة قال الشاعر .

أزعم انى من فقيم بن مالك لعمري لقد غيرت ما كنت اعلم
لهم ناسى يمشون تحت لوائه يحل اذا شاء الشهور ويحرم
أما مكان النسب فذكر انه كان جرة العقبة فكان يقف عندها الناس
اذا صدر الحاج من منى فيقول اللهم انى ناسى الشهور وواضعها ولا أعاب
فى أمرى ولا يردلى قضاء اللهم انى قد أحللت دماء المحلين من طيى وخنعم (١)
فاقتلهم حيث تقفتموهم — فيسألونه أن يدسهم شهرا فان قال ان آلهتكم قد
(١) عبارته تقتضى ان النسب لا يكون فى رجب لانه فرد وخالفه
الفيروز بادى فى القاموس لقوله (القلمس رجل كنانى من سأة الشهور
كان يقف عند جرة العقبة ويقول اللهم انى ناسى الشهور وواضعها مواضعها
ولا أعاب ولا أجاب اللهم انى قد أحللت أحد الصفرين وحرمت صفر المؤخر
وكذلك فى الرجبين يعنى رجبا وشعبان اتفروا على اسم الله)
(٢) أحل دماءهم لأنهم كانوا محلين يعدون على الناس فى الشهر الحرام

أحلت لكم المحرم فأحلوه عقدوا الاوتار وركبوا الازجة واغاروا وان قال ان الهتكم قد حرمت عليكم المحرم حرموه حلوا الاوتار ونزعوا الاسم
 وذكر المقرئى أن الناسى كان يقوم على باب الكعبة اذا فرغت العرب من حجها فيقول لهم : ان آلهتكم العزى قد انسأت صفرا الاول وكان يحله عاما ويحرمه عاما وكان اتباعهم على ذلك غطفان وهوازن وسليم وتميم تلك عبارته فلعل الناسى كان ينسئ مرتين مرة عند جرة العقبة وأخرى على باب الكعبة وحصر الداسئين ابن هشام فقال وكان أول من نسأ الشهور على العرب فأحلت منها ما أحل وحرمت منها ما حرم القلمس وهو حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدى بن عامر ثم قام بعده على ذلك ابنه عباد بن حذيفة ثم قام بعد عباد قلع (١) بن عباد ثم قام بعد قلع أمية بن قلع ثم قام بعد أمية عوف بن أمية ثم قام بعد عوف أبو ثمامة جنادة بن عوف وكان آخرهم . وعليه قام الاسلام . فجعلهم ستا يقوم الولد بالامر بعد والده

وذهب المقرئى الى أن أول ناسى سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك ابن كنانة ثم من بعده ابن أخيه القلمس وهو عدى بن عامر بن ثعلبة ثم صار النسيء في ولده الى آخرهم أبو ثمامة جنادة بن عوف . وذكر أبو بكر الإنبارى ان من النساء نعيم بن ثعلمة وآمقه السهيلي بان هذا ليس معروف وفى صبح الاعشى ان أول من نسأ النسيء عمرو بن لحي وهو أبو خزاعة (٢) ولقد أكثر الشعراء من بنى كنانة الافتخار بالنسأة من ذلك قول بعضهم — ومنا ناسىء الشهر القلمس — وقال غيره

نسأوا الشهور بها وكانوا أهلها من قبلكم والعلم يتحول
 وقال عمير بن قيس جذل الطعان الكنانى

(١) نقل السهيلي عن ابن الكلبي انه قال ففسأ قلع بن عباد سبع سنين ونسأ بعده أمية بن قلع احدى وعشرين سنة ثم نسأ من بعده جنادة وهو القلمس أربعون سنة (٢) جميع من ذكر النسيء بهذا المعنى جعل النسأة من بنى كنانة فلعل عمرو بن لحي مبتدع النسيء بمعنى تأخير الحج عن وقته

لقد علمت معدان قومي كرام الناس ان لهم كراما (١)
 فأى الناس فاتونا بوتر وأى الناس لم نملك الجاما (٢)
 أسنا الناسئين على معد شهر الحل نجعلها حراما

وهناك نوع ثان من النسيء وهو تأخير الحج عن وقته تحريا منهم للسنة الشمسية لأن وقت الحج في دين ابراهيم في شهر ذى الحجة . وهو شهر هلالى يدور في كل فصل من فصول السنة . فأرادوا وقوع حجهم حين يعتدل الزمان وتذكر الفاكة والغلال ليأدوا مناسكهم ويتجروا ببضائعهم

فقد كانت تقام في أشهر الحج ثلاث أسواق كبرى بمكة بالطهران وعكاظ بين نخلة والطائف تقوم هلال ذى القعدة وتسمر عشرين يوما وذو الحجاز بالجانب الايسر من عرفة على فرسخ منها وتنقضى اليوم الثامن من ذى الحجة فأحروا الحج في كل سنة احد عشر يوما لموافقة السنة الشمسية فدرسوا المحرم الى صفر وصفرا الى ربيع الاول وهكذا وقع الحج في السنة الثانية في عاشر المحرم وصار في اعتبارهم ذا الحجة وآخر شهور السنة وصار في السنة محرمان نانينهما للنسيء وصارت عدة الشهور ثلاثة عشر ثم بعد مرور سنتين أو ثلاث نقلوا الحج للشهر الذى يليه . فكانوا يدبرون النسيء على جميع شهور السنة فيكون لهم في سنة صفران وفي أخرى ربيعان وهكذا وهذا مصداق قول مجاهد كاب الجاهلية يحجون في كل شهر من شهور السنة

وفي الملل للشهرستانى ، كانوا يكبسون في كل عامين شهرا وفي كل ثلاثة أعوام شهرا وكانوا اذا حجوا في شهر من هذه السنة جعلوا يوم النوبة (٣) ويوم عرفة ويوم النحر كهيئة ذلك في شهر ذى الحجة فيكون يوم النحر عاشر ذلك الشهر

وانكر المرحوم محمود باشا المالكى معرفة العرب للنسيء بهذا المعنى وقد

(١) أى ان لهم آباء كراما و اخلافا كراما (٢) نقول اعلمت الفرس لجاءه اذا رددته عن تزرعه فوضع الاجام كالملك من نشاطه يعنى أى الناس لم نكفهم كما تكف الفرس بالاجام (٣) هو اليوم الثامن من ذى الحجة

نقصت دليله عند الكلام على علم الفلك من كتابي (علوم العرب في الجاهلية) ومن لطيف الاشارات في الرد عليه ما نقله السهيلي عن شيخه أبي بكر في قوله تعالى (يسئلونك عن الأهلة قل هي موافقت للناس والحج) قال «وخص الحج بالذكر دون غيره من العبادات الموقته بالاوقات نأكيذا لاعتباره بالأهلة دون حساب الاعاجم من أحل ما كانوا أحدثوا في الحج من الاعتبار بالشهور العجمية». وقد حرم الله نوعي النسئ لقوله عليه السلام في خطبه حجة الوداع «ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا - منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم . ورجب مصر (١) الذي بين جمادى وشعبان ثم تلا قوله اما الى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا (٢) في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظنوا فيهن أنفسكم . وقالوا المشركين كافة كما يقابلوكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين انما النسئ زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما (٣) ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله (٤) زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين والمعنى لقد عاد الحج في ذي القعدة وبطل النسئ بنوعيه لما في أحدهما من كون السنة ثلاثة عشر شهرا ولما في الثاني من عدم توالى الثلاثة الأشهر الحرم

(١) قال النووي قالوا كان بين بي مصر وبين ربيعة اختلاف في رجب وكانت مصر تجعل رجبا ما بين جمادى وشعبان وكانت ربيعة تجعله رمضان فلهذا أضافه النبي الى مصر وقال السهيلي انما قال رجب مصر لان ربيعة كانت تحرم في رمضان وتسميه رجبا من رجب الرجل ورجبته اذا عظمت (٢) أى لا ثلاثة عشر شهرا كما كانوا يفعلون لموافقة السنة الشمسية (٣) أى يحلون الشهر من الأشهر الحرم عاما ويحرمونه عاما - وهذا يصدق على النسئ بنوعيه (٤) يواطئوا أى يوافقوا والمعنى ليوافقوا المدة التي هي الاربعة وقائمهم التخصيص الذي هو أحد الواجبين

الحج - أحكام الاحرام به الخمس

فرض حج البيت في دين ابراهيم وأمر بتبليغه فنادى أيها الناس ان الله قد كتب عليكم الحج الى البيت العتيق ثم حج ومعه اسماعيل حجة كحجة الاسلام وقد ذكر ان الأثر في الكامل كيفية حجه فقال . ثم خرج ابراهيم باسماعيل معه الى التروية فزل به منى . ومن معه من المسلمين فصلى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة . ثم بات حتى أصبح فصلى بهم الفجر ثم سار الى عرفة فقام بهم هناك حتى اذا مالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والعصر . ثم راح بهم الى الموقف من عرفة الذي يقف عليه الامام فوقف به على الأراك (٢) فلما غربت الشمس دفع به ومن معه حتى أتى المزدلفة فجمع بها الصلاتين المغرب والعشاء الآخرة ثم بات بها ومن معه حتى اذا طلع الفجر صلى الغداة ثم وقف على قزح حتى اذا أسفر دفع به ومن معه يريه ويعلمه كيف يصنع حتى رمى الجمرة وأراه المبحر ثم نحر وحلق وأراه كيف يطوف ثم عاد به الى منى ليريه كف يرمى الجمار حتى فرغ من الحج . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل هو الذي أرى ابراهيم كيف يحج

تلك عبارة ابن الأثير ومقتضاها أن الصلوات الخمس شرعت في دين ابراهيم ولم أر غيره نقل ذلك الا أن الموصوف ذكر في شرح مسلم أن المزدلفة سميت يجمع لانه يجمع فيها بين المغرب والعشاء ومقتضاه أنهم كانوا يصلونها لأن علة التسمية تسبقها وقد سميت بذلك في الجاهلية . وقد كانت العرب نحج بيت الله الحرام مشاة أو ركباناً ومنهم من كان يندر حجه لقول أبو طالب

ومن حج بيت الله من كل راكب ومن كل ذي نذر ومن كل راجل (٣)

(١) الاحرام بالحج الدخول في اعماله لان الحاج يحرم على نفسه أشياء من الحلق وتقليم الاظفار ومباشرة النساء وقتل الصيد وغير ذلك ويقابله الاحلال (٢) الأراك كسحاب موضع بعرفة قرب نمرة (٣) روى السيوطي في اسباب النزول عن مجاهد قال . كانوا لا يركبون ورخص لهم فيه بقوله تعالى « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق »

ومنهم من كان لا يتكلم في الحج تفرباً لله تعالى روى البخارى في صحيحه بسنده عن فيس بن أبى حازم قال دخل أبو بكر على امرأة من أمّس يقال لها زينب فرآها لا تكلم فقال ما لها لا تكلم قالوا حجت مصمتة . قال لها تكلمي فان هذا لا يميل هذا من عمل الجاهلية فتكلمت وهم يتسمون بالنسبة لأعمال الحج ثلاثة أقسام

القسم الاول : من كانوا على دين ابراهيم لم يبدلوا فيه وحج هؤلاء مواوي لما كان عليه أسلافهم الى زمن ابراهيم

القسم الثانى من بدلوا دين ابراهيم فأدخلوا عليه تعظيم الاصنام وهؤلاء حلطوا أعمال الحج المنسروعة في دين ابراهيم بالنزّرب للاوثان من الالهال بالحج عندها أو المحليل لديها أو غير ذلك

القسم الثالث : من ميروا أنفسهم عن سواهم فلم يتركوا مع غيرهم في كل أعمال الحج كما فعلت قرائش ومن تبعهم في رأيهم وامتاروا بأموار ابتدعوها فسموا حمسا (١) وغيرهم الحله فسموا العرب بفعالهم الى حلة وحس . وبين ان اسجافى مادعا قريشا لا ينداع النحس فقال

وقد كانت قريش لا أدري قبل الليل أو بعده (٢) ابتدعت رأى الحس رأيا رأوه وأداروه فقاوا نحن ابو ابراهيم وأهل الحرمة وولادة الببت وفطان مكة وساكنوها . فلبس لأحد من العرب مثل حقما ولا مثل منزلتنا . ولا تعرف له العرب مثل ما نعرف لنا . فلا تعظموا شيئا من الحل كما تعظمون الحرم ما كنتم ان فعام ذاك اسخف العرب بحرمتمكم . وقالوا قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم فتركوا الوقوف على عرفة والاماضة منها وهم يعرفون ويفرون منها من المشاعر والحج ودين ابراهيم ويرون لسائر العرب

(١) في القاموس الحس لفب قريش وكنانة وجذيلة ومن تابعهم في الجاهلية لنحسهم في دينهم أى تشددهم أو لالتجائهم بالحساء وهى الكعبة لان حجيرها ابيض الى السواد (٢) ذهب ابن الاثير الى ان قريشا ابتدعوا رأى الحس بعد الفيل

أن يقفوا عليها وأن يفيضوا منها . الا انهم قالوا نحن أهل الحرم فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرم ولا نعظم غيرها كما نعظمها نحن المحسن - والمحسن أهل الحرم - ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكن الحل والحرم مثل الذى لهم بولادتهم اياهم يحل لهم ما يحل لهم ويحرم عليهم ما يحرم عليهم . وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم فى ذلك »

ومن المحسن أيضا جديلة قيس كما حكاه النووى . وقال أبو عبيدة النخوى أن بنى عامر بن صعصعة تبعوا قريشاً فى رأى المحسن . وذكر ابن العربى أن منصور بن عكرمة تزوج حفصة بنت سلمى بنت ضبيعة بن على بن يعمر بن قيس بن عيلان فولدت له هوازن فرض مرضاً شديداً فنذرت سلمى أن يرى لتحمسنه فلما برئ حمسته وعليه هوازن من المحسن أيضا

وروا أن الرجل من أهل الجاهلية اذا أحرم تقلد قلادة من شعر فلا يتعرض له أحد . فاذا حج وقضى حجه تقلد قلادة من اذخر . وقيل كان الرجل يقلد بغيره أو نفسه قلادة من لحاء شجر الحرم فلا يخاف من أحد ولا يتعرض له أحد بسوء

وعن قتادة فى قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد قال جعلها حواجز وأبقاها الله بين الناس فى الجاهلية فكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يتناول ولم يقرب وكان الرجل لو لى قاتل أبيه فى الشهر الحرام لم يتعرض له ولم يقربه وكان الرجل اذا أراد البيت تقلد قلادة من شعر فأحمته (١) ومنعته من الناس وكان اذا نذر تقلد قلادة من الاذخر أو من لحاء الشجر فمنعته من الناس حتى يأتى أهله حواجز أبقاها الله بين الناس فى الجاهلية

قال ابن عباس رضى الله عنه وكان ذو المجاز وعكاظ متجراً للناس فى الجاهلية فلما جاء الاسلام كأنهم كرهوا ذلك ظناً منهم انها تخل باخلاص العمل حتى نزل قوله تعالى « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم »

(١) أحمته جعلته حى لا يقرب

ومنهم قوم أستحبوا الحج بلا زاد وقالوا نحن المتوكلون وكانوا يضيفون على الناس (١) حتى نزل قوله تعالى « وتزودوا فإن خير الزاد التقوى »
وابتدعت الحس في الحج من باب التزهّد والتأله أشياء حكّاها ابن العربي من حديث ابن اسحاق بسنده عن ابن عباس قال فلم تكن نساء الحس ينسجن ولا ينزلن الشعر ولا يسلأن السمن (٢) اذا أحرمن . وكان الحس اذا أحرموا لا يأقطن الأقط ولا يأكلون السمن ولا يسلثونه ولا يمحضون اللبن ولا يأكلون الزبد ولا يلبسون الوبر ولا الشعر ولا يستظلون به ماداموا محرمين ولا ينزلون الشعر ولا الوبر ولا ينسجون وانما يستظلون بالأدم . ولا يأكلون شيئاً من نبات الحرم وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ولا يخفرون فيها بذمة ويطوفون بالبيت وعليهم ثيابهم . وكانوا اذا أحرم الرجل منهم في الجاهلية وأول الاسلام فان كان من أهل المدر يعنى من أهل البيوت والقرى تقب نقباً في ظهر بيته فنه يخرج ولا يدخل من بابه وكانت الحس اذا أحرمت وأرادت دخول بيتها تسورت من ظهور البيوت وأدبارها ويمحرمون الدخول من أبوابها حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فاحرم عام الحديبية ودخل بيته من بابه . وكان معه رجل من الانصار فوقف بالباب فقال له ألا تدخل فقال الانصارى أنا أحس يارسول الله فقال رسول الله وأنا أحس دينى ودينك سواء فدخل الانصارى مع رسول الله لما رآه دخل بابه . فأنزل الله (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها) وخالف التبريزى في شرح حماسة أبى تمام . فقال (وكان الرجل اذا أحرم قبل الحج فان كان من أهل المدر اتخذ نقباً في ظهر بيته فنه يدخل ويخرج ولا يدخل من باب بيته ولا يخرج منه ويتخذ ساءاً يصعد فيه وينعدر - وان كان من أهل الوبر دخل من خلف البيت الا أن يكون من الحس فدخل رسول الله وهو محرم من باب بنى بنيانا واتبعه رجل من أهل الاسلام يقال له قطبة بن طامر أحد بنى سلمة ولم يكن من الحس فدخل

(١) ضففته أضيفه نزلت عليه ضيفاً (٢) سلاء السمن طبعه وعلاجه

معه فأنكر ذلك عليه وقال اجتنبني فانك محرم وقد دخلت من الباب فقال
 يا رسول الله وأنت محرم فقال له اني أحس فقال الرجل ان كنت أحسباني
 أحسبى رضىت بهديك وسنتك ودينك فنزل وليس البر بأن تأتوا البيوت من
 ظهورها الآية)

فأنت ترى ان بين عبارتهما اختلافا ظاهرا فقد ذهب ابن العربي الى ان
 الحس لا يدخلون البيوت ولا يخرجون منها من أبوابها وناقضه التبريزى فأجازه
 للحس كما اختلفا فى سبب نزول الآية فجعل التبريزى النبى منكرا على الرجل
 متابعتة فى دخول البيت من بابه لانه أحس والرجل ليس بأحس وجعله ابن
 العربي أمرا له بأن يتابعه فى الدخول . وبالرجوع لتفسير ابن جرير الطبرى ترى
 الروايات مختلفة هذا الخلاف أيضا . ونحن اذا رجحنا رواية ابن العربي بأن
 قريشا أولى بتحريم دخول البيوت من أبوابها لانهم اخترعوا التحمس فى
 الدين وهو التشدد وفى هذا من التشدد ما فيه وجدنا رواية التبريزى يرجحها
 أن قريشا كانت ترى نفسها معروضة الجانب عند الله لا يحول بينها وبين الرحمات
 التى تنزل من السماء سقف ولا غيره حتى سموا أنفسهم آل الله ولا كذلك غيرهم
 ويناسب هذا انها لا تحرم كغيرها دخول البيوت من أبوابها فى حج ولا عمرة
 لمكانها من الله ويعززه رواية الزهرى ان ناسا من الانصار اذا أهلوا بالعمرة
 لم يحل بينهم وبين السماء شئ يجر جرن من ذاك فلا يدخل أحدهم من باب
 الحجرة من أجل سقف الباب أن يحول بينه وبين السماء وكانت الحس لا يبالون
 ذلك . وحسبنا فى الكلام على أديان العرب ونحلهم ان هذا مذهب قوم من
 العرب فى حجهم وعمرتهم . ولل كلام على الحس بقية تذكر عند الكلام على
 الطواف بالبيت والوقوف بعرفة

قال الجاحظ فى الحيوان : وكانوا فى الاحرام يابدون شعورهم - والتلبيد
 أن يأخذ شيئا من خطمى وآس وسرو وشيئا من صمغ فيجعله فى أصول
 شعره وعلى رأسه كى يتلبد شعره ولا يفرق ويدخله الغبار ويختم فيقمل
 قال شاعرهم

يارب رب الرافصات عشية بالقوم بين منى وبين ثبير (١)
وحف الرواح تراقصت تمشى بهم يحملن كل ملبد مأجور (٢)
وكانوا في الاحرام يكرهون تسريح الشعر وقتل القمل . قال عبد الله بن
العجلان النهدي

انى وما مار بالفريق وما فرقر بالجلهتين من شرب (٣)
من شعر كالليل ينبذ بالقم ل وما مار من دم سرب (٤)
وقال أمية بن أبى الصلت
ساجى أياطلهم لم ينزعوا تفثا ولم يسلاوا لهم قلا وصئبانا (٥)
التلبية - الطواف بالبيت - السعى - الوقوف بعرفة

كانوا يهللون ويلبون في الحج وشاهد التهليل قول نذية بن الحجاج
اننى والذى يحج له شم ط اباد وهللوا تهليلا (٦)
ومبيتا بذى المجاز ثلاثا ومتى كان حجننا تحليلا (٧)

وشاهد التلبية قول ابى المنذر « وكانت نزار تقول اذا ما أهلت لبيك اللهم
لبيك لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك . فيوحدونه
بالتلبية ويدخلون معه آلهتهم ويجعلون مأكلا بيده . قال تعالى (وما يؤمن

(١) الرافصات الابل تسير الخبب و(ثبير) جبل بجوار مكة (٢) وحف
الرواح الوحف الاسراع و(الرواح) العشى أو من الزوال الى الليل اى مسرعة
ذلك الوقت (٣) مار الشعر تحرك و(الفريق) الطائفة من الناس أكثر من
الفرقة ويريد جماعة الحاج و(مافرقر) أى وبغير هدر و(جلها الوادى) حانبا
و(من شرب) أى من عطش وفعله شرب كفرح (٤) مار الدم جرى
و(سرب) جار (٥) ساجى فعله سجا سجا سجا سكن ودام و(أياطل) جمع
أياطل والاياطل الخاصرة و(التفث) فى المناسك الشعث وما كان من نحو قص
الانفجار والشارب وتنف الابط وغير ذلك و(الصئبان) بيض القمل مفردة
الصؤابة كغرابة (٦) هلل قال لا اله الا الله (٧) التحليل يستعمل فى كل

أكثرهم بالله الا وهم مشركون) اى ما يوحدونى بمعرفة حتى الا جعلوا معى شريكا من خلقى . وكانت تلبيةك اذا خرجوا حججا قدموا أمامهم غلامين أسودين من غلمانهم فكانا امام ركبهم . فيقولان — نحن غرابا بك (١) — فتقول بك من بعدهما

بك اليك عانيه عبادك اليمانيه

كيا نخرج الثانيه

وكانت ربيعة اذا حجت فقضت المناسك ووقفت فى المواقف تقرأ فى النفر الأول ولم تقم الى آخر التشريق . « وروى مسلم ان ابن عباس قال (كان المشركون يقولون لبيك لا شريك لك قال فيقول رسول الله . ويلكم قد قد (٢) فيقولون الا شريكا هوك تملكه وما ملك يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت ولما جاء الاسلام عدل المسلمون عما يدل على الشرك الى غيره حتى هداهم الدين لما يقولون قال عمرو بن معديكرب : الحمد لله لقد رأيتنا من قريب ونحن اذا حججنا نقول :

لبيك تعظيما اليك عمرا نغدوا بها مضمرات شزرا (٣)

قد تركوا الاوطان خلوا صفرا

ونحن نقول اليوم كما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . وكان لا يشرك فى تليته مع الله أحدا من كان على دينه السماوى وجانب الاوثان . مل زيد بن عمرو بن نفيل فلقد كان يستقبل الكعبة ويقول :

لبيك حقا حقا تعبدا ورقا

عذت بما عاذ به ابراهيم مسنة قبل القبلة وهو قائم اذ قال

شئ لم يبالغ فيه (١) أغربة العرب سودانهم (٢) قد . تكون اسما بمعنى حسب أو اسم فعل بمعنى يكفى أو كفى (٣) العمر بالفتح وبالضم وبضمين الحياة أى طول الحياة (الضمير) بالضم وبضمين الهزال و (الشذر) النظر عن يمين وشمال وشزرد جمع شزراء

أنفى لك اللهم عان راغم مهما تجشمنى فاني جاشم (١)
 البر ابني لا الخال ليس مهجر كمن قال (٢)
 وكانوا في الجاهلية يطوفون في الحج بالبيت الحرام (٣) قال مضاض بن
 عمرو بن الحارث الجرهمي

ونحن ولينا البيت من بعد نابت نطوف بذاك البيت والخير حاضر (٤)
 ويجعلون طوافهم سبعا قال حسان بن تبع
 ثم طافنا بالبيت سبعا وسبعا وسجدنا عند المقام سجودا
 وفي قول حسان وسجدنا عند المقام سجودا دليل على احترامهم مقام ابراهيم
 وتقديسه وقد اقسم به ابو طالب في قوله
 وموطئ ابراهيم بالصخر رطبة على قدميه حافيا غير ناعل
 ولم تكن عبادة الطواف بالبيت عندهم مقصورة على فريضة الحج .
 وكانوا يتمسحون بالحجر الاسود وشاهده قول ابى طالب
 وبالحجر الاسود اذ يمسحونه اذا اكتنفوه بالضحى والاصائل (٥)

(١) رغم أنفه ذل و (تجشمنى) تكلفنى على مشقة (٢) في رواية : البر أبى
 و (الخال) الخيلا والكبر و (هجر) مشى في الهجرة اى ليس من هجر
 وتكيس كمن أثر القائلة والنوم (٣) قال صاحب كتاب حجة الله البالغة في
 سر احترام البيت « واما الكعبة فكان الناس في زمن ابراهيم عليه السلام
 توغلوا في بناء المعابد والكنائس باسم روحانية الشمس وغيرها من الكواكب
 وصار عندهم التوحيد الى مجرد غير المحسوس بدون هيكل يبنى باسمه يكون
 الحلول فيه والتلبس به تقربا منه امرا محالا تدفعه عقولهم بادى الرأى
 فاستوجب أهل ذلك الزمان أن تظهر رحمة الله بهم في صورة بيت يطوفون
 به ويتقربون به الى الله فدعوا الى البيت وتمظيمه ثم نشأ قرن بعد قرن على
 علم ان تعظيمه مساوق لتعظيم الله والتفريط في حقه مساوق للتفريط في حق
 الله فعند ذلك وجب حجه وأمروا بتعظيمه (٤) كانت ولاية البيت لنابت
 من بعد اسماعيل ثم صارت بعد لجرهم (٥) قال السهيلي قوله بالحجر الاسود

ومن العرب من كان يطوف بالبيت طاريا حكى ابن هشام في سيرته وابن العربي أن قريشاً لما ابتدعت رأى الخمس قالوا لا ينبغي لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحل الى الحرم اذا جاءوا حججا أو عمارا ولا يطوفوا بالبيت اذا قدموا. أول طوافهم الا في ثياب الخمس يستمironها منهم للطواف بها حتى انهم كانوا يقفون عند باب المسجد فيقولون للخمسة من يعير معوزا من يعير مصونا فان أعاره أحسن ثوبه طاف به فان لم يجدوا طافوا بالبيت عراة فان أنف منهم أحد من رجل او امرأة أن يطوف عريانا اذا لم يجد ثياب الخمس فطاف في ثيابه التي جاء بها من الحل القاهها اذا فرغ من طوافه ثم لم ينتفع بها ولم يمسه هو ولا احد غيره ابدا وكانت العرب تسمى هذه الثياب التي - قال شاعرهم يذكر شيئا تركه من ثيابه فلا يقربه وهو يحبه كفى حزنا كرى عليها كأنها - لقي بين أيدي الطائفتين حريم (١)

فكان رجال الحل اذا لم يعرهم الخمس ثوبا طافوا عراة اما النساء فكانت أحدهن تضع ثيابها كلها الادرا مفرجا ثم تطوف قالت ضباعة (٢) بنت عامر ابن صعصعة ثم من بنى سامة بن قشير وهي تطوف بالبيت كذلك اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله (٣)

وروى مسلم بسنده عن هشام عن ابيه قال كانت العرب تطوف بالبيت عراة الا الخمس - والخمس قريش وما ولدت - كانوا يطوفون عراة الا ان تمطيههم

فيه زحاف يسمى الكف وهو حذف النون من مفاعيلين وهو بعد الواو من الأسود و (الاصائل) جمع أصيلة والاصل جمع اصيل والاصيلة لغة معروفة في الاصيل وهو ما بعد صلاة العصر الى الغروب (١) حريم اي محرم لا يؤخذ ولا ينتفع به (٢) ذكر محمد بن حبيب ان رسول الله خطبها فذكرت له عنها كبرة فتركها فقيل انها ماتت كمدا وحزنا على ذلك قال السهيلي : ان كان صبح هذا فما أخرها عن أن تكون اما للمؤمنين وزوجا لرسول رب العالمين الا قولها (اليوم يبدو بعضه او كله) تكريمة من الله لنبيه وعلمائه بغيرته والله أغير منه (٣) رواية . وما بدا منه فما أحله

الحمس ثيابا فيعطى الرجال الرجال والنساء النساء - فانزل الله على رسوله فيما كانوا حرموا على الناس من طعامهم ولبوسهم عند البيت حين طافوا عراة وحرّموا ما جاءوا به من الحل من الطعام « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد واكلوا واشربوا ولا تسرفوا ان الله لا يحب المرففين »

على أن من العرب من كان يطوف بالبيت مكشوف السوأة في غير الحج لغرض يقصده فمن ذلك ما ذكره البغدادى في خزنة الادب قال : مرض أبو جندب وهو شاعر جاهلى وكان له جار من خراة اسمه خاطم فقتله زهير اللحياني وقتلوا امرأته فلما برى أبو جندب من مرضه خرج من أهله حتى قدم مكة فاستلم الركن وكشف عن استه وطاف فعرّف الناس أنه يريد شرا فقال انى امرؤ أبكى على جاريه أبكى على الكعبى والكعبيه ولو هلكت بكيا عليه كانا مكان الثوب من حقويه

فلما فرغ من طوافه وقضى من مكة حاجته خرج فى الخلعاء من بكر وخزاعه فاستجاشهم على بى لحيان فخرجوا معه حتى صبح بهم بنى لحيان فى العرج فقتل فيهم وسبي من نسائهم وذرائعهم

وقد أمسك رسول الله عن الحج حين قدم من تبوك لما ذكر مخالطة المشركين للناس فى حجهم وتلبيتهم بالشرك وطوافهم عراة بالبيت وبعث ابا بكر بسورة براءة لينبذ الى كل ذى عهد عهده من المشركين الا بعض بنى بكر الذين كان لهم عهد الى أجل خاص ثم أردف بعلى . قال أبوهريرة فأمرنى على أن أطوف فى المنازل من منى براءة فكنت أصيح حتى صحل حلقى (١) فقليل له بم كنت تنادى فقال بأربع الا يدخل الجنة الا مؤمن والا يحج بعد هذا العام مشرك والا يطوف البيت عريان ومن كان له عهد فله أجل أربعة أشهر ثم لا عهد له - وكان المشركون اذا سمعوا النداء براءة يقولون لعلى سترون بعد الاربعة اشهر بأنه لا عهد بيننا وبين ابن عمك الا الطمئن

(١) صحل صوته بح ، رويوا أنه انما أرسل علياً بذلك لان العرب لا تعتمد

برسالة الامير الا اذا كان المرسل بها من أهله

والضرب ثم ان الناس في تلك المدة رغبوا في الاسلام حتى دخلوا فيه طوعا
وكرها وحج رسول الله في العام القابل وحج المسلمون وقد عاد الدين كله
لله رب العالمين

لقد علمت انقسام العرب بالنسبة للطواف في ثيابهم الى حلة وحس قال
محمد بن حبيب - وهناك نوع ثالث وهم الطلس كانوا يأتون من أقصى اليمن
طلسا من الغبار فيطوفون البيت في تلك الثياب الطلس فسموا بذلك

اما الرمل (١) في الثلاثة الاشواط الاولى من الطواف بالبيت والاضطباع (٢)
فيه فهو من سنن الاسلام وأصله ان النبي رمل وندب أصحابه اليه لافطار
الجلد للمشركين وابداء القوة لهم فانه لما قدم مكة اصطفت كفار قريش عند
دار الندوة ينظرون له ولاصحابه ويستضعفونهم ويقولون أوهنتهم حتى يثرب
فلما دخل رسول الله المسجد اضطبع بردائه ورمل . ومقنضاه عدم سنيته
بمدأن أظهر الله الاسلام لكن ثمت سنيته بما روى عن ابن عمر أنه قال كان
رسول الله اذا طاف بالبيت الطواف الاول خب ثلاثا ومشى أربعا وكذا أصحابه
رملوا من بعده وكذا المسلمون الى يومنا هذا فصار الرمل سنة متواترة

وكانوا في الجاهلية يسهون بين الصفا والمروة وشاهده قول أبي طالب

واشواط بين المروتين الى الصفا وما فيهما من صورة وتمائل (١)

وكان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة - وهما صفاان فكانوا يسهون
بينهما ويتمسحون بهما وكان عمرو بن لحي نصب مناة بالمشلل مما يلي قديدا

(١) الرمل الهرولة في السير (٢) والاضطباع ان يدخل الرداء من تحت
ابطه الأيمن ويرد طرفه على يساره ويبدى منكبه الأيمن ويفطى اليسر
سمى اضطباعا لما فيه من ابداء الضبعين وهما العضدان

(١) ثنى المروة وهي واحدة جريا على مذهب العرب كقول الفرزدق
عشية سال المربدان كلاهما - وانما هو مربد البصرة وقولهم نسألني برامتين
سلجما والعرب يشيرون بالتثنية الى جانبي المكان المنى أو الى أعلاه وأسفله
فيجمعونها اثنين على هذا المغزى (وتمائل) جمع تمثال وأصله تمائيل فحذف الياء

وكانت الارد والانصار وغسان تهل لها بالحج وكان من أهل لمناة لا يحل له ان يطوف بين الصفا والمروة فلما جاء الاسلام كره المسلمون الطواف بينهما لما كان من فعل الجاهلية فانزل الله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله) . وروى مسلم بسنده عن عروة بن الزبير قال قلت لعائشة زوج النبي ما أرى على أحد لم يطف بين الصفا والمروة شيئاً وما أبالي الا أطوف بينهما . قالت بنس ما قلت يا ابن أختي طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاف المسلمون فكانت سنة وانما كان من أهل لمناة الطاغية التي بالمشلل لا يطوفون بين الصفا والمروة فلما كان الاسلام سألنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فانزل الله عز وجل . ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما « ولو كان كما تقول لكانت فلا جناح عليه ألا يطوف بهما . قال الزهري : فذكرت ذلك لابن بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فاعجبه ذلك وقال ان هذا العلم

ويظهر ان مرتبة اساف ونائلة في الالهية عندهم دون مرتبة مناة فلذلك لم يميزوا لمن أهل لمناة ان يسعى بينهما ويتمسح باساف ونائلة المنصوبين عليهما وكانوا يقفون في الجاهلية بعرفة في الحج قال العدوي

واقسم بالبيت الذي حجت له فريش وموقف ذي الحجاج الال (١) وقول الالباقية الديباني

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وهل يأمن ذو أمة وهو طائع (٢)
بمصطحبات من لصاص وثيرة يزرن الا لا سيرهن التدافع (٣)
وقال أبو طالب

(١) الال كسحاب وكتاب جبل عن يمين الامام بعرفة سمي بذلك لان الحجاج اذا راوه ألوا في السير أي اجتهدوا ليدركوا الموقف (٢) الريبة الشك و (ذو أمة) بالضم والكسر ذو دين واستقامة (٣) لصاص وثيرة موضعان اقسام بالابل التي تمتطيها الحجاج الى مكة تمطيها لها و (سيرهن التدافع) اي من الاعياء يعني يتحاملن تحاملا من الجهد والتعب

وبالمشعر الأقصى اذا عمدوا له الال الى مفضى الشراج القوايل (١)
وكان وقوفهم يوم تاسع الحجة

وكانت قريش ومن تبع دينها حين ابتدعت رأى المحس تقف بالمشعر الحرام وهو جبل بالمزدلفة يقال له قروح (٢) ولا تجاوز المزدلفة الى عرفة كسائر الناس فقد قالت قريش نحن ولادة البيت وسكان الحرم فلا يحل لنا تعظيم شئ من الحل كتعظيم الحرم لثلاث استحف العرب بحرمننا فتركوا لذلك الوقوف بعرفة والافاضة منها لان عرفة من الحل وهم يعرفون انها من المشاعر والحج ودن ابراهيم وبرون لسائر العرب الوقوف بها والافاضة منها فلما حج النبي عليه السلام حجة الاسلام ظنت قريش انه سيقف بالمشعر الحرام كعادتهم ولا يتجاوزه فتجاوزه الى عرفات

وأزل الله في ابطال ما أحدث المحس من ترك الوقوف بعرفة « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس » (٣)

ولقد طهر الله نبيه في الجاهلية من صنع المحس ووفقه لدن ابراهيم . روى مسلم في صحيحه عن جابر بن مطعم قال أصلت لغيري فذهبت أطلبه يوم عرفة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفاً مع الناس بعرفة (٤) فقلت والله ان هذا لمن المحس فما شأنه هاهنا . وكانت قريش بعد من المحس وكانوا يدفعون من عرفات قبل الغروب . قال صاحب كتاب حجة الله البالغة (ولما كان ذلك قدراً غير ظاهر ولا يتعين ومثل هذا الاجتماع لا بدله

(١) المشعر الأقصى عرفة والال جبل بعرفة وهو بدل بعض من كل (الشراج) جمع شرج وهو مسيل الماء (مفضى الشراج) مجمعها (القوايل) المتقابلة كناية عن اجتماع الناس في مكان واحد وهو عرفة (٢) قيل أن المشعر الحرام كل مزدلفة (٣) الخطاب في أفيضوا لقريش ومن دان دينهم والمراد بالناس من عداهم من سائر العرب أمرهم ان يفيضوا من عرفات وهو يقتضى تكليفهم بالوقوف عليه ليتمكن الافاضة منه (٤) روى الترمذى أن حجبات النبي اثنتان بمكة قبل الاسلام والثالثة بالمدينة وهى حجة الوداع

من تعبين وجب أن يعين بالغروب) وكان الذى يلى الاجازة للناس بالحج من
عرفة الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر وولده من بعده
ويقال له ولولده صوفة (١) وكانت ولايته من قبل ملوك كندة كما نقله
بعضهم . وذهب ابن هشام الى انه انما ولى ذلك لان أمه وكانت امرأة من
جرهم كانت لا تلد فنذرت لله ان هى ولدت رجلاً أن تصدق به على الكعبة
ليكون عبداً لها يخدمها ويقوم عليها فولدت الغوث فكان يقوم على الكعبة
فى الدهر الاول مع اخواله من جرهم فولى الاجازة للناس من عرفة لمكانه
الذى كان به من الكعبة وولده من بعده حتى انقرضوا . فالمر بن أد يذكر
ولده الغوث ووفاء نذر أمه

انى جعلت رب من بنىه ربيطة بمكة العلية (٢)

فباركنى لى بها اليه واجعله لى من صالح البرية

وكان الغوث بن مر فيما زعموا اذا دفع بالناس قال

لاهم انى تابع تناعه ان كان اثم فعلى قضاءه

قال السهيلي « وانما خص فضاة بهذا لان منهم محلين يستحلون الاشهر
الحرم كما كانت خثعم وطىء تفعل . وكذلك كانت النساء تقول اذا حرمت
صفراً أو غيره من الاشهر بدلاً من الشهر الحرام يقول قائلهم قد حرمت

(١) قال أبو عبيدة : وصوفة وصوفان يقال لكل من ولى من البيت

شيئاً من غير أهله أو قام بشئ من خدمة البيت أو بشئ من أمر المناسك يقال
لهم صوفة وصوفان . قال أبو عبيدة لانه بمنزلة الصوف فيهم القصير والطويل
والاسود والاحمر ليسوا من قبيلة واحدة وقال ابن الكلبي . انما سمي الغوث
ابن مرصوفة لانه كان لا يعيش لانه ولد فنذرت لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة
ولتجعلنه ربيطاً للكعبة ففعلت فقبل له صوفة ولولده وهو الربيط . وقيل
ان أم الغوث لما ولدته وكانت نذرت ان ولدت غلاماً لتعبدنه للكعبة ربطته
عند البيت فأصابه الحر فمرت به وقد سقط وذوى واسترخى فقالت ما صار
ابى الا صوفة فسمى صوفة

عليكم الدماء الا دماء المحلين » فلما انقضى بمو الغوث عن آخرهم ورثهم من بعدهم بنو سعد بن زيد مائة بن تميم . وكانت الاجازة في آل صفوان ابن جناب بن شجنة بن عطار بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مائة ابن تميم قال ابن اسحاق وكان صفوان هو الذى يحير للناس بالحج من عرفة ثم بنوه من بعده حتى كان آخرهم الذى قام عليه الاسلام كرب بن صفوان وقال أوس بن تميم بن مغراء السعدي

لا يبرح الناس ما حجوهم (١) حتى يقال أجزوا آل صفوانا
مجد بناه لنا قدماً أوائلنا وأورثوه طوال الدهر اخرانا
وكانت الاجازة من منى لصوفة أيضا كما سذكركه

(النزول بمزدلفة ومنى وبقية أعمال الحج)

كانوا اذا دفعوا من عرفة في الحج باتوا ليلة مزدلفة قال أبو طالب
وليلة جمع والمنازل من منى وهل فوقها من حرمة ومنازل (٢)
والمبيت بمزدلفة سنة قديمة في العرب . وكانوا في الجاهلية يوقدون ناراً
على قرح وهو جبل بمزدلفة ليراه من دفع من عرفة وأول من أوقدها كما
قال السيوطي وغيره قصي بن كلاب ولا تزال توقد الى الآن . وكانت الافاضة
من المزدلفة في عدوان لا يدفع الحاج منها حتى يحجزهم رجل من عدوان بن عمرو
ابن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار وفي أجازتهم يقول ذو الاصبع العدواني
ومهم من يحجز الناس بالسنة والقرض

روى أن هذه الاجازة كانت لخزاعة فغلبتها عدوان عليها ولم تزل فيهم
يتوارنونها حتى كان آخرهم الذى قام عليه الاسلام أبو سيارة عميلة بن الاعزل (٣)

(١) المعروف الموقف بعرفات وفي رواية : ولا يرمون في التعريف موقفهم

(٢) جمع بفتح الجيم وسكون الميم وعين مهملة هي المزدلفة سميت بذلك من
التزلف والازدلاف لان الحاج اذا أفاضوا من عرفات ازدلفوا اليها أى تقربوا
قال النووي . سميت بجمع للجمع بين المغرب والعشاء ومقتضاه أن هاتين
الصلاتين كانتا في الجاهلية (٣) كذا قال ابن اسحاق وقال الخطابي اسمه

أحد بنى وإيش بن زيد بن عدوان . وكان يدفع بالناس على حمارله اسود أجاز الناس عليه اربعين سنة حتى ضرب المثل به فقيل (أصبح من غير أبى سيارة) وقيل كانت له أتان سوداء عوراء خطامها ليف دفع عليها أربعين سنة وفيه يقول شاعر من العرب

نحن دفعنا عن أبى سيارة (١) وعن مواليه بنى فزاره (٢)
حتى أجاز سالما حماره مستقبل القبلة يدعو جاره (٣)
وكانت اجازته أن يتقدمهم على حماره ثم يخاطبهم فيقول
لا هم انى تابع تباعه ان كان اثم فعلى قضائه (٤)
لاهم مالى فى الحمار الاسود أصبحت بين العالمين أحسد
هلا يكاد ذو البعير الجلمد فق أباً سيارة المحسد (٥)
من شر كل حاسد اذا حسد ومن أذاة النافثات فى العقد (٦)

اللهم حسب بين نساءنا - وعاد بين رعائنا واحمل المال فى سمحائنا أوفوا
امهدكم واكرموا جاركم واقروا ضيفكم ثم يقول

أشرق ثبير كبا نغير - ثم ينفر ويتبعه الناس . حكى ذلك الميدانى فى
مجمع الامثال والاصبهانى عن أبى عمرو الشيبانى والسكرى وقد جمعنا بين أقوالهم
وكانوا فى الجاهلية لا ينفرون من مزدلمة الا والشمس على رؤوس الجبال
ولذلك قال مجيزهم أشرق ثبير كبا نغير . وثبير جبل عال بجوار مكة أطلع عليه
الشمس قبل كل موضع أى ادخل ياتبير فى الشروق كبا نسرع للنجو لم يقرهم
الاسلام على ذلك فى صحيح البخارى عن عمر انه صلى بجمع الصبح ثم
وقف فقال ان المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس ويقولون أشرق

العاصى واسم الاعزل خالد ذكره الاصبهانى (١) روايه : خلوا السبيل
عن أبى سيارة (٢) يعنى بمواليه بنى عمه لانه من عدوان وعدوان وفزاره
من قيس عيلان (٣) أى يدعوا الله عز وحل يقال اللهم كن لنا جاراً مما نخافه
أى مجيراً (٤) لان من قضاة محلين (د) السكيد المكروه و (الجلمد)
الصاب الشديد و (فق) من الوقاية وهى الصون (٦) الأذاة المكروه

ثبير وان النبي صلى الله عليه وسلم خالفهم ثم أفاض قبل أن تطلع الشمس
فاذا أفاضوا من مزدلفة نزلوا منى وفيها كانوا يرمون الجمار وينحرون ويحلقون
فقد كانوا اذا حجوا ساقوا الهدى فان كان من لابل فلدوها النعال وألبسوها
الجلال وأشعروها لتعرف (١) فلا يتعرض لها أحد الا المحايين من بني وخثعم
قال عارق الطائي وهو جاهلي يخاطب الملك عمرو بن هند

حلفت بهدى مشعر بكراته يخب بصحراء الغبيط درادقة (٢)
لئن لم تغير بعض ما قد صنعتم لا نتحين العظم ذوانا عارقه (٣)
يقول حلفت أيها الملك بقرابين الحرم وقد أعلمت بكراتها بعلامة الاهداء
يسرع بصحراء ذلك الموضع صغارها لئن لم تتدارك ما فاتنا من عهده لا ميلن
على كسر العظم الذي أخذت ما عليه من اللحم . والمعنى أ كسر عظمكم
ان لم ترجعوا عن ذلك الظلم — وأول من أهدى البدن الى البيت على ما ذكره
السيوطي الياس بن مضر

وينحرون هديهم بمنى قال شاس بن عبدة أخو علقمة الفحل
حلفت بما ضم الحجاج الى منى وما نج من نحر الهدى المقلد (٤)
وقدم الشنفرى منى وبها حرام بن جابر فليل للشنفرى هذا قاتل أيبك
(١) التقليد أن تقلد في عنقها قطعة جلد أو نعل بالية و (الجلال) جمع
جل بالضم وبالفتح هو ما تلبسه الدابة لتصان به و (الاشعار) أن يطعن السنم
فيسيل الدم عليه ليستدل بذلك على كونه هديا (٢) الهدى ما يهدى الى الحرم
من النعم و (مشعر) اسم مفعول من الاشعار وتقدم تفسيره و (بكراته)
جمع بكرة وهى الشابة من الابل و (يخب) من الخبب وهو خطو فسيح . والباء
من بصحراء بمعنى فى و (الغبيط) اسم موضع و (الدرادق) جمع دردق كجعفر
وهى صغار الابل والضمير فى بكراته ودرادقه للهدى (٣) وانتحين من الانتحاء
للشئ وهو التعرض له و (ذو) صفة للعظم و (عارقه) اسم فاعل من عرقت العظم
أكلت ما عليه من اللحم (٤) الشج سيلان الدم و (الهدى) كغنى ما أهدى
الى مكة

فشد عليه وقتله ثم سبق الناس على رجله وقال
 قنلت حراماً مهادياً ببلبد بطن أمني وسط الحجيج المصوت
 وقال أبو قيس بن الاسلت من فصيصة يأمر فيها قريشاً بالكف عن رسول
 الله ويذكر فضلهم وأحلامهم

رى طاب الحاجات عند موتكم عصاب هلكى تهتدى بعصاب
 لقد علم الاقوام أن سرانكم على كل حال خير أهل الجباب
 قال البرق الجباب هي حفر بنى يجمع فيها دم البدن والهدايا والعرب
 تفتخر بها ولعظمها

وكانوا يسوقون الهدى في العمرة أبها وشاهده ما روى أن النبي صلى
 الله عليه وسلم أحرم عام ست من الهجرة بالعمرة هو وأصحابه وساق معه
 الهدى سبعين بدنه وقد جلها وأشعرها وأشعر المسلمون بدنه وفلدها وليس
 معهم الا السيوف في القرب فسحمت فريش بخروجهم فاستنفروا من أطاعهم
 وغاهدوا الله ألا يدحنوا عليهم مكة عنوة أبداً ونزل رسول الله بالحديبية
 وهي على تسعة أميال من مكة فأرسلت اليه قريش رسلاً يطالب منه الانصراف
 عن مكة عامه فمن بحثوا لذلك الخلد بن علقمة وكان بتأله والمتأله المعظم
 لأمر الله كالخج والعمرة ونحو ذلك مما بقى عندهم من دين ابراهيم عليه السلام
 فلما رآه رسول الله قال لا صحابه هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى في
 وجهه فلما رأى الهدى بسيل عليه من عرض الوادى بقلائده فدأكل أوباره
 من طول الحبس عن محله قال سبحانه الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت
 ورجع الى قريش ولم يأت رسول الله أعظاماً لما رأى وصاح فائلا هلكت قريش
 ورب الكعبة أن القوم انما اتوا عماراً وقال لا صحابه رأيت البدن قلدت وأشعرت
 فما أرى أن يصدوا عن البيت فقول الخلد هذا يدل على انهم كانوا يسوقون
 الهدى في العمرة أيضاً وكانوا يخلقون رؤوسهم بمى قال الشاعر
 فان تمنعوا منا السلاح فعندنا سلاح لنا لا يشتري بالدرهم

جنادل أملاء الا كف كأنها رهوس رجال حلقت بالمواسم (١)

وقال زهير بن أبي سلمى

فأقسمت جهداً بالمنازل من منى وما سحقت فيه المقادم والقمل (٢)

لأرتحلن بالفجر ثم لأدأبن الى الليل الا أن يعرجنى طفل (٣)

وذكر صاحب تاج العروس فى مادة (قرر) ان ابن الكلبي قال عبرت

هوازن وبنو أسد بأكل القرّة . وذلك أن أهل اليمن كانوا اذا حلّقوا رهوسهم

بمى وضع كل رجل على رأسه قبضة دقيق فاذا حلّقوا رهوسهم سقط الشعر

مع ذلك الدقيق ويجعلون ذلك الدقيق صدقة فكان أناس من أسد وقيس

يأخذون ذلك الشعر بدقيقه فيرمون الشعر وينتفعون بالدقيق قال الشاعر

ألم تر جبرما أنجبت وأبوكم مع الشعر فى قص الملبد شارع

اذا قرّة جاءت يقول أصب بها سوى القمل انى من هوازن ضارع

ولم تكن العرب قاطبة تحلق رهوسها فى مى وشاهده قول ابى المنذر

« ان الأوس والخزرج ومن يأخذ بأخذهم من عرب أهل يثرب وغيرها

كانوا يحجون فيقفون مع الناس المواقف كلها ولا يحلقون رهوسهم فاذا ثقروا

أنوا مناة فحلّقوا رهوسهم عنده وأقاموا عنده لا يرون لحجهم تماماً الا بذلك .

فلا عظام الأوس والخزرج يقول عبد العزى بن وداعة المزنى أو غيره . من العرب

انى حلقت يمين صدق برة بمناة عند محل آل الخزرج

وكانت العرب جميعاً فى الجاهلية يسمون الأوس والخزرج جميعاً الخزرج

فلذلك يقول عند محل آل الخزرج «

وكانوا يرمون الجمار قال ابو طالب

(١) موسم الحج مجتمعة (١) والمنازل من منى حيث ينزل الناس منها

و (سحقت) حلقت . يقال سحقت رأسه وسبته وحلطه حلطه ويرى سحقت

بالفاء ومنه حلقت و (المقادم) جمع مقدم الرأس . وأراد بالقمل الشعر أى

وشعر القمل كقوله تعالى واسأل القرية (٢) لا دأبن من الدؤوب فى السير وقوله

(الا أن يعرجنى طفل) أراد الا أن تلتى ناقتى ولدها فتحبسنى وأقيم عليها

وبالجمرة الكبرى اذا صعدوا لها يؤمون قذفا رأسها بالجنادل
وقال الهذلي

لأدركم شعث النواصي كأشعثهم سوابق حجاج توافي الجمرا (١)
قال ابن اسحاق « كانت صوفة هم بنو القوث بن مر بن أد بن طابخة
تدفع بالناس من عرفة وتجزئهم اذا نفروا من منى فاذا كان يوم النفر أتوا لرمي
الجمار ورجل من صوفة يرمى للناس لا يرمون حتى يرمى فكان ذوو الحاجات
المتعجلون يأتونه فيقولون له قم فارم حتى نرمي معك فيقول لا والله حتى تميل
الشمس فيظل ذوو الحاجات الذين يحبون التعجل يرمونه بالحجارة ويستعجلونه
بذلك ويقولون له ويلك قم فارم فيأبى عليهم حتى اذا مالت الشمس قام فرمى
ورمى الناس معه فاذا فرغوا من رمي الجمار وأرادوا النفر من منى أخذت صوفة
بجانبى المقبة خبسوا الناس وقالوا أجزى صوفة . فلم يجز أحد من الناس حتى
يمروا فاذا نفرت صوفة ومضت خلى سبيل الناس فانطلقوا بعدهم فكانوا كذلك
حتى انقضوا فورثهم في ذلك آل صفوان بن جناب بن شجنة » وقد أقر قصي
ابن كلاب لما غلب على أمر مكة آل صفوان وعدوان والنساء على ما كانوا عليه
لانه كان يراه ديناً . فما زالوا كذلك حتى جاء الاسلام . وروى مجاهد أنهم كانوا
اذا قضوا مناسكهم وقفوا عند الجمرة وذكروا آباءهم في الجاهلية وفعال آبائهم
فيقول الرجل منهم كان أبى يطعم الطعام ويحمل الحمالات والديات ليس لهم
ذكر غير فعال آبائهم فنهى الله عن ذلك في قوله « فاذا قضيت مناسككم
فاذكروا الله كذا ذكركم آباءكم أو أشد ذكراً »

ثم يجتمعون أعمال الحج بالطواف بالبيت فاذا فعلوا ذلك حل لهم كل ما كان
محرمًا في الحج ومنهم من كان لا يتحلل بذلك . روى ابن العربي أن قريشاً
وبنى كنانة وخزاعة وجميع مضر كانوا يعظمون العزى فاذا فرغوا من حجهم
وطوافهم بالكعبة لم يحلوا حتى يأتوا العزى فيطوفون بها ويحلون عندها
ويمكفون عندها يوماً وقال أيضاً ان الازد وغسان كانوا اذا طافوا بالبيت

(١) الجمر مشدد الميم حيث يقع حصى الجمار

وأفاضوا من عرفات وفرغوا من منى لم يحلوا الا عند مناة التى على ساحل البحر
مما يلى قديد وكانوا يعظمونها ويحجونها وكانوا يهلون لها ومن أهل لها لم يطف
بين الصفا والمروة لمكان الصنمين اللذين عليهما

ولنتمم الكلام على التلبية فى الحج قبل الانتقال منه فنقول قال أبو العلاء
المعرى فى رسالة الغفران ان تلبيات العرب منها مسجوع كقولهم لبيك ربنا
لبيك . والخير كله بيدك . ومنها موزون من منهوك الرجز كقولهم
لبيك ان الحمد لك والملك لا شريك لك
الا شريك هو لك تملكه وما ملك
أخو بدات بفدك (١)

فتلك من تلبيات الجاهلية وفدك يومئذ فيها اصنام وكقولهم
لبيك يا معطى الأمر (٢) لبيك عن بنى النمر
جئنك فى العام الزمر (٣) نأمل غيثا ينهمر
يطرق بالسيل الجمر (٣)

ومنها من منهوك المنسرح كقولهم
لبيك رب همدان من شاحط ومن دان
جئنك نبغى الاحسان بكل حرف مذعان (٤)
نطوى اليك الغيطان نأمل فصل الغفران

وكقولهم

لبيك عن بجيله الفخمة الرجيلة (٥)
ونعمت القبيله جاءك بالوسيله
تؤمل الفضيلة

(١) كانوا يقولون ان الاصنام بنات الله و (فذك) قرية بخير (٢) الامر
ككشف المبارك (٣) الزمر ككتف القليل الشمر والصوف (٤) الجمر ما وارك من
شجر وغيره (٤) الحرف الناقة الضامرة أو المهزولة أو العظيمة و (ناقة مذعان)
منقادة سلسلة الرأس (٥) رجل راجل ورجيل مشاء وكامير الرجل الصلب

وروا في تلبية بكر بن وائل

ليبك حقا حقا تعبدأ ورقا
جئناك للنصاحه لم نأت للرقاحة (١)

وروا في تلبية تميم

ليبك لولا ان بكرا دونكا يشكرك الناس ويكفرونكا
ما زال منا عثج يا تونكا (٢)

وروا في تلبية همدان

ليبك من كل قبيل لبوك (٣) همدان أبناء الملوك تدعوك
قد تركوا أصنامهم واتبوك فاسمع دعاه في جميع الاملوك (٤)
ومن التثنية قولهم

ليبك عن سعد وعن بنيها وعن نساء خلفها تعنيها
سارت الى الرحمة تجتنيها

(العمرة)

العمرة من شريعة ابراهيم عليه السلام . وكانت العرب في الجاهلية تعتمر وتحرم للعمرة وشاهده قول رجل من زبيد في الجاهلية منعه العاص بن وائل ثمن بضاعة اشتراها منه وكان ذلك سببا لحلف الفضول

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ببطن مكة نائي الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته يا للرجال وبين الحجر والحجر
أقامم من بنى سهم بذمتهم أم ذاهب في ضلال مال معتمر

وغالب اعتناهم في شهر رجب كما شرع حينئذ في دين ابراهيم ولذلك جعل الله رجبا شهرا حراما ليتمكن مريد العمرة من السفر الى مكة وقضاء عمرته والعود الى بلده آمنا على نفسه وماله وأهله . وعندهم أن العمرة في أشهر الحج من أعظم الذنوب وأبطل الشارع ذلك . روى ابن عباس قال كانوا يرون أن العمرة في أشهر

(١) الرقاحة الكسب والتجارة (٢) العنج الجماعة من الناس (٣) لبوك

أى لزموا أمرك (٤) الملك صاحب الملك جمعه ملوك وأملاك وملكاء وملاك
وملك كركم و(الاملوك) بالضم اسم للجمع

الحج من أجزء الفجور فى الارض وكانوا يسمون المحرم صفرأ (١) ويقولون اذا برأ الدبر (٢) وعفا الأثر (٣) وانسلخ صفر (٤) حلت العمرة لمن اعتمر . قدم النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه صبيحة رابعة (٥) مهلين بالحج فأمرهم أن يجعلوها عمرة (٦) فتعاضم ذلك عندهم فقالوا يا رسول الله أى الحل قال : الحل كله (٧) . ومن أعمال العمرة الطواف بالبيت وشاهده ماروى أن عميا (رجل من عدوان وقيل من اباد وكان فقيه العرب فى الجاهلية ويفتى فى الحج) أقبل معتمرا ومعه ركب فنزلوا بعض المازل فى يوم شديد الحر وكان على مرحلتين من مكة فقال عمى لقومدهوم فى نحر الظهيرة من أتى مكة غدا فى مثل هذا الوقت كان له أجر عمرتين فصكوا الابل صكة شديدة حتى وافوا البيت من الغد فى ذلك الوقت . فقال فى ذلك كرب بن جيلة المدوانى

وصك بها نحر الظهيرة صكة عمى ولا يبين الا طلالها (٨)

وجئن على ذات الصفاح كأنها نعام نبغى بالشطى رثالها (٩)

فطوفن بالبيت الحرام وقضيت مناسكها ولم تحل عقلاها

وقد قدمنا فى الحج أنهم كانوا يسوقون الهدى فى العمرة أيضا

قال ابن الاثير فى الكامل . وكان من عادة الاوس اذا أراد أحدهم

(١) هو النسئ وتقدم (٢) برأ نقه و(الدبر) الجرح الذى يكون فى ظهر الابل من اصطكاك الاقتاب والحمل عليه ومشقة السمر وكان يبرأ بعد انصرافهم من الحج (٣) عفا الاثر (أى درس واحمى أثر الابل وغيرها فى سيرها لطول مرور الايام وقال الخطابى المراد أثر الدبر (٤) صفر هو المحرم فى نفس الامر وقد سموه صفرا (٥) رابعة أى من ذى الحجة (٦) أمرهم أن يجعلوا الحجة عمرة وذلك خصوصية لهم ليذهب من قلوبهم أمر الجاهلية من تحريم العمرة فى أشهر الحج . (٧) سألوأ أهو الحل العام لكل ما حرم بالاحرام حتى قربان النساء فأجابهم النبى بانه الحل العام لكل ما حرم به (٨) عمى لصغير أعمى على الترخيم وسميت الظهيرة صكة عمى به و (نحر الظهيرة أولها) (٩) الرثال جمع الرأل وهو ولد النعام

العمرة أو الحج لم يمرض اليه خصمه ويعلق المعتمر على يديه كرايف (١) النخل
الطهارة الصلاة - الزكاة - الصوم - الاعتكاف

كانوا يتطهرون من الحدث الا صغر والا كبر في الجاهلية ويصلون ويزكون
ويصومون ويمتلكون . أما الطهارة بالوضوء لديهم فشاهدها قول صاحب
كتاب حجة الله البالغة (ان هذا الوضوء كان يفعله المجوس واليهود وغيرهم .
وكانت تفعله حكماء العرب) وأما الطهارة بالفسل فشاهدها ما ذكره الزجاجي
في أماليه قال (وكان الحنيف في الجاهلية من كان يحج البيت ويغتسل من
الجنابة ويفسل موته ويختنن فله اجاء الاسلام صار الحنيف المسلم) وموجب
المسل عندهم الجنابة والحيف وكانا مسلمين فيهم قبل الاسلام والدليل على
الاغتسال عند انقطاع الحيض ماروى أن عمرة بنت سبيع كانت مع زوجها
في سفر وكانت حائضا فطهرت ومعهما ماء قليل فاغتسلت فلم يكف لفسلها
وأنفدت الماء فبقيا عطشانيين فقال لها زوجها كلمته التي جرت مثلا . وفيها
قال الفرزدق

وكنت كذات الحيض لم تبق ماءها ولا هي من ماء العذابة طاهر (٢)
وقال المخبل

ان قشيرا من لقاح بن حازم كغسله حيفا وليست بطاهر
والفسل والوضوء فيهم من آثار الاديان السماوية التي أقرها الاسلام . ولقد
تابعنا صاحب كتاب حجة الله البالغة في القول بموجب الوضوء عندهم وكلام
السبيل يقتضى خلافه فانه كتب على قول ابن هشام في غزوة السويق ان
أبا سفيان لما رجع من مكة ورجع فل قريش من بدر نذر ألا يمسه رأسه ماء
من جنابه حتى يغزو محمدا مانصه (في هذا الحديث أن الفسل من الجنابة كان
معمولا به في الجاهلية بقية من دين ابراهيم واسماعيل كما بقي فيهم الحج والنكاح
ولذلك سموها جنابة وقالوا رجل جنب وقوم جنب لمجانبتهم في تلك الحال

(١) الكرايف جمع كراف بضم الكاف وكسرهما وهي أصول السمف
الغلاظ العراض تبقى في الجذع بعد قطع السمف (٢) العذابة الرحم

البيت الحرام ومواضع قربانهم ولذلك عرف معنى هذه الكلمة في القرآن أعنى قوله « وان كنتم جنبا فاطهروا » فكان الحدث الاكبر معروفا بهذا الاسم فلم يحتاجوا الى تفسيره — وأما الحدث الاصغر وهو الموجب للوضوء فلم يكن معروفا قبل الاسلام فلذلك لم يقل فيه وان كنتم محدثين فتوضؤا كما قال « وان كنتم جنبا فاطهروا » بل قال « فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق » الآية فبين الوضوء وأعضائه وكيفيته والسبب الموجب له كالقيام من النوم والمجيء من الغائط وملامسة النساء ولم يحتج في أمر الجنابة الى بيان أكثر من وجوب الطهارة منها للصلاة .

وأما الصلاة عندهم فشاهدوا قول صاحب كتاب حجة الله البالغة « وكانت فيهم الصلاة وكان أبوذر رضى الله عنه يصلى قبل أن يقدم على النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين وكان قيس بن ساعدة الايدى يسلى . والمحفوظ من الصلاة في أمم اليهود والمجوس وبقية العرب أفعال تعظيمية لاسيما السجود وأقوال من الذكر . وكانوا تركوا الصلاة والذكر وأعرضوا عنهما فبعث النبي عليه السلام وهذا حالهم » وروى مسلم في صحيحه بسنده عن عبد الله بن الصامت قال : قال أبوذر يا ابن أخي صليت سنين قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم قال . قلت . فأين كنت توجه . قال حيث وجهنى الله وكان منهم من يستقبل الكعبة في صلاته كشرع ابراهيم واسماعيل حكى عامر بن ربيعة انه لقي زيد بن عمرو بن نفيل وهو خارج من مكة يريد حرا فقال يا عامر انى قد فارقت قومي وأتبعته ملة ابراهيم وما كان يعبد اسماعيل من بعده . كان يصلى الى هذه البنية وروى الاصبهاني في الاغانى أن زيد ابن عمرو بن نفيل كان يستقبل الكعبة في صلاته ويقول يا مولاي .

ليك حقا حقا تعبدا ورقا

البر أرجو لا الخلال وهل مهجر كمن قال

عذت بما عاذ به ابراهيم مستقبل الكعبة وهو قائم

يقول أنى لك عان راغم مهما تجشمنى فانى جاشم

ثم يسجد — وحكوا في سر مشروعية استقبال الكعبة في الصلاة أن الكعبة من شعائر الله عند العرب أذعن لها أقاصيهم وأدانيهم وجرت السنة عندهم باستقبالها فلم يكن هناك معنى للعدول عنها

وأما الزكاة عندهم فشهدا قول صاحب كتاب حجة الله البالغة « ان العرب في الجاهلية كانت فيهم الزكاة . وكان المعمول عندهم منها قرى الضيف وابن السبيل وحمل الكل (١) والصدقة على المساكين وصلة الارحام والاعانة في نوائب الحق (٢) وكانوا يمدحون بها ويعرفون انها كمال الانسان وسعاداته . قالت خديجة لرسول الله حين بدى بالوحى . فوالله لا ينجزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتقرى الضيف وتحمل الكل وتعين على نوائب الحق . وان سبيعة ابن ربيع المشهور بابن الدغنة (والدغنة أمه) قال مثل ذلك لأبى بكر » هذا ولا شك ان هذه الشائيل العربية فيهم من آثار الاديان السماوية فان قول خديجة لا ينجزيك الله أى لفعلك ما أمر به وفى رواية ليس للشيطان عليك سبيل أى لأن أعمالك من الاعمال الرحمانية التى وردت بها الشرائع السماوية وحكى بعضهم أن الزكاة فيهم من شريعة ابراهيم عليه السلام

وأما صومهم في الجاهلية فكان من الفجر الى غروب الشمس وقد ذكر ذلك صاحب كتاب حجة الله البالغة . ومما كانت تصومه قريش يوم عاشوراء وشاهده مارواه مسلم في صحيحه بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت كانت قريش تصوم عاشوراء في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصومه فلما هاجر الى المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض شهر رمضان قال من شاء صامه ومن شاء تركه . وروى البخارى ومسلم عن ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة (٣) فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء

(١) الكل نفث الكاف وتشديد اللام العيال واليتيم ومن لا يستقل بأمره وحمل الكل الاعانة بالاتفاق على العيال والضعفاء (٢) نوائب الحق الحوادث التى تكون في الحق دون الباطل (٣) يحتمل أن يراد بالمدينة قباء أو يراد بها باطنها

فستلوا عن ذلك فقالوا هذا اليوم الذى أظهر الله فيه موسى وبني اسرائيل على فرعون فنحن نصومه تعظيما له فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحن أولى بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه . قال النووى . وكان يوم عاشوراء يوما تعظمه اليهود فى الجاهلية وتتخذة عيدا ويلبسون نساءهم اللباس الحسن والحلى قال المرحوم محمود باشا الفلكى فى كتابه نتائج الافهام فى تقويم العرب قبل الاسلام « وفى كونه صلى الله عليه وسلم وجدهم صائمين ذلك اليوم اشكال لان يوم عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم أو هو التاسع منه كما يقول ابن عباس . فكيف يكون فى ربيع الاول . وأجيب بأن السنة عند اليهود شمسية لا قريية فيوم عاشوراء الذى كان عاشر المحرم واتفق فيه غرق فرعون لا يتقيد بكونه عاشر المحرم بل اتفق أنه فى ذلك الزمن أى زم قدمه صلى الله عليه وسلم كان وجود ذلك اليوم بدليل سؤاله صلى الله عليه وسلم اذ لو كان ذلك اليوم يوم عاشوراء ما سأل ومما يؤيد ذلك ما فى المعجم الكبير للطبرانى عن خارجة بن زيد عن أبيه قال : ليس يوم عاشوراء الذى يقول الناس انما كان يوم تسر فيه الكعبة وتلعب فيه الحبشة عند رسول الله . وكان يدور فى السنة . وكان الناس يأتون فلانا اليهودى فيسألونه فلما مات أتوا زيد بن ثابت فسألوه « ثم نقل عن البيرونى فى كتاب الآثار انه قال « وقد قيل أن عاشوراء عبرانى معرب عاشور وهو العاشر من تشرى اليهود الذى صومه صوم الكبور وأنه اعتبر فى شهور العرب جعل فى اليوم العاشر من أول شهورهم كما هو اليوم العاشر من أول شهور اليهود » ثم قال فن جميع ما ذكر ينتج أن النبي دخل المدينة فى ١٠ تشرى وقد فرض فى التوراة صوم هذا اليوم واختلف الرواة وأصحاب السير فى يوم دخوله صلى الله عليه وسلم المدينة أهو اليوم الثانى أم الثامن أم الثانى عشر من ربيع الاول كما أنهم اتفقوا على أن هذا اليوم كان يوم الاثنين (١) وعندى أن أرجح

(١) دعواه الاتفاق ممنوعة فقد حكى السهيلي أن ابن الكلبي قال .

خرج عليه السلام من الغار يوم الاثنين أول يوم من ربيع الاول ودخل المدينة

هذه الايام مايدل الحساب على أنه كان يوم الاثنين. وحيث أن الحساب لا يؤدي البتة الى أن الثاني أو الثاني عشر من ربيع الاول كان يوم الاثنين تعين بالضرورة ان الثامن هو يوم وقوع الحادثة . وتكون الخلاصة أن الهجرة أو دخول النبي عليه الصلاة والسلام المدينة كان في يوم الاثنين ثامن ربيع الاول الموافق ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ للميلاد و ١٠ تشرى سنة ٤٣٨٣ للخليفة

وأما الاعتكاف فكانوا يمدونه قربة من القرب وينذرونه وشاهده مارواه مسلم في صحيحه بسنده عن عمر بن الخطاب قال يارسول الله اني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام قال . فأوف بنذرك وكذلك كانت تعد المجاورة قربة . لما رواه عميد بن عمير بن قتادة قال . كان رسول الله يجاور في حراء من كل سنة شهرا . وكان ذلك مما تحنث به قريش في الجاهلية والتحنث التبر (١) وشاهده قول أبي طالب

وثور ومن أرسى ثبيراً مكانه وراق لبر في حراء ونارل (٢)

فقد أقسم أبو طالب بالصاعد جبل حراء للتعبد فيه وبالنازل منه وكان من عادة النبي صلى الله عليه وسلم اذا جاور ذلك الشهر أن يطعم من جاءه من المساكين فاذا قضى جواره من شهره ذلك كان أول مايبداً به اذا انصرف من جواره الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعا أو ماشاء الله من ذلك ثم يرجع الى بيته . وأول منازل عليه الوحي كان بحراء في جواره قال ابن عبد البر ولا فرق بين الجوار والاعتكاف الا من وجه واحد وهو أن الاعتكاف لا يكون الا داخل المسجد والجوار قد يكون خارج المسجد

يوم الجمعة لثنتي عشرة منه (١) العرب تقول التحنث والحنف يريدون الحنيفة فيبدلون بالغاء التاء وتعمل تقتضي الدخول في الفعل وهو الأكثر فتحنث وتبرر بمعنى دخل في الحنيفة وفي البر (٢) ثور وثير جملان من جبال مكة . وفي البيت رواية لابن هشام وهي وراق ليرقى في حراء ونازل ولان الراق لا يرقى قال السهيلي وأصح الروايتين وراق لبر في حراء ونازل قال البرقي هكذا رواه ابن اسحاق وغيره وهو الصواب

ولذلك لم يسم عبيد بن عمير جواره بحراء اعتكافا لان حراء ليس من المسجد
ولكنه من جبال الحرم

الاستسقاء بالدعاء وبالنار

كانت العرب في الجاهلية اذا حبس عنهم المطر لجئوا الى الله تعالى يستمطرونه
ليكشف منازلهم من البلاء وكانوا كثيرا ما يستمطرون في الاماكن المطهرة
طمعا في اجابة الدعاء كما كانوا يستسقون بمن يرجون الخير يسم طلمعة

والاستسقاء فيهم من زمن قديم وهو من بقايا الشرائع السماوية . فقد
ذكر أن عادا أصابهم قحط فتابع عليهم تكذيبهم هودا فأرسلوا وفدا الى
مكة يستسقون لهم فبعثوا قيل بن عسير ولقيم بن هزال ومرثد بن مسعد .
وكان مسددا يكتهم اسلامه وطمعته بن الخيبري خال معاوية بن بكر ولقمان بن
عاد في سبعين رجلا من قومهم فاستسقوا فأرسل الله على عاد سحابة سوداء
ملأها عذابا فلما طلعت عليهم استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا واذا به
ما استعجلوا به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ صرت به فأهلكهم الله
بريح عاتية تركتهم كأنهم أعجاز نخل خاوية . وعلم الوفد حين رجعوا بمهلك
قومهم . وفي ذلك يقول عباس بن مرداس السلمي

في كل عام لنا وفد نسيرهم نختارهم حسبا منا وأحلاما
كانوا كوفد بني عاد أضلهم قيل فأتبع عام منهم عاما
عادوا فلم يجدوا في أرض قومهم الا مغايهم قمرا وآراما

ولقد حفظ لنا التاريخ مثلا من دعواتهم في الاستسقاء نذكره لما فيه من الفائدة
والبلاغة . فمن ذلك ما حدث به مخزومة بن نوفل قال : سمعت أمي رقيقة بنت
أبي صيفي بن هاشم بن عبد مناف وكانت لدة (١) عبد المطلب قالت تتابعت
على فريش سنون أمحلت (٢) الارض وأذهبت الاموال وأقحلت (٣) اللحم
وأرقت العظم وأشفين (٤) على الانفس فبينما أنا نائمة اللهم أو مهومة (٥) اذا
(١) اللدة الترب بكسر التاء أي النظير في السن (٢) أمحلت أقحلت (٣)
أقحلت أي بست (٤) أشفى أشرف (٥) المهوم من يكون بين النائم واليقظان

أنا بهاتف صيت (١) يصرخ بصوت صحل (٢) أقشعر له جلدى يقول :يامعشر قريش ان هذا النبي المبعوث فيكم قد أظلمتكم (٣) أيامه وهذا أوانه وأبان نجومه (٤) خبيلا بالحيا والخصب والفلاح (٥) ألا فانظروا رجلا منكم وسيطا طولا عظاما أبيض بضاً أو طف الاشفار (٦) سهل الخدين (٧) أشم المرنين (٨) مقرون الحاجبين له شرف يكظم عليه وسنة تمزى (٩) اليه الا فليخلص هو وولده وليدلف اليه من كل بطن (١٠) رجل فليسنوا (١١) من الماء وليسوا من الطيب ثم ليستلموا الركن (١٢) وليطوفوا بالبيت سبعة ولا يرتقوا أباقيس الا وفيهم الطيب الطاهر ألا فليدع الرجل وليؤمن القوم الا ففتشم (١٣) اذا شتّم وعشتم قالت فأصبحت علم الله مذعورة مفراة قدقف لها جلدى وولّه عقلى (١٤) فاقتصصت رؤياى فنمت (١٥) فى شعاب مكة فوالحرمة والحرم ما سمع بها أبطحى الا قال هذا شيبة الحمد عبد المطلب (١٦) وتنامت اليه رجالات قريش

(١) الصيت البعيد الصوت (٢) الصحل صوت فيه بحة (٣) أظلدنا وقرب (٤) النجوم الطلوع (٥) حيهل بكذا أى عليك به و (الحيا) المطر و (الفلاح) البقاء (٦) الوسيط من قولهم أوسطهم حسنا أى اكرمهم وأشرفهم و (الطوال) الطويل و (العظام) العظيم و (البض) الممتلئ وفى رواية أوطف الاهداب و (الاوطف) طويل الاهداب و (الاهداب) شعر أشفار العيون مفرده هذب (٧) سهل الخدين قليل اللحم (٨) شمم المرنين طول طرف الانف (٩) كظم بمعنى أمسك ومنه يكظم غيظه و (السنة) السيرة و (تمزى) أى تنسب (١٠) الدلف مشى على مهل كمشى الشيخ و (البطن) من بطون العرب دون القبيلة وقد يطلق عليها (١١) سن عليه الماء بالسين المهمة صبه (١٢) استلام الركن ضم الحجر (١٣) غنم مطرتم (١٤) الدعر الفزع و (مفراة) بالقاء الموحدة متحيرة مدهوشة من فرى بكسر الراء تحير ودهش و (قف جلده) ييس و يروى قب أى ذوى و (الوله) ذهاب العقل (١٥) نمت بتشديد الميم فشت ومنه التمام وبخفيفها زادت من النمو (١٦) الشعاب جمع شعبة ماصغر من التلعة والتلعة ما ارتفع من الارض و (الحرمة) الذمه وما يجب حفظه

وانقض (١) اليه من كل بطن رجل فسنوا من الماء ومسوا من الطيب واستلموا
الركن أو اطوفوا ثم ارتقوا أباقبيس فطفق القوم يدفون (٢) حوله ما ان يدرك
سعيهم مهلة حتى يحلوا ذروته واستكفوا جنباته (٣) ومعه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يومئذ غلام قد أيقع أو كرب (٤) فقال عبد المطلب اللهم ساد
الخلة (٥) وكاشف الكربة أنت عالم غير معلم ومسئول غير مبخل (٦) وهذه
عبادك واماؤك بعمدرات حرمك (٧) يشكون اليك سنتهم التي أذهبت الخف
وأفنت الظلف (٨) فاسمع اللهم دعائنا وأنزل علينا غيثا مريعا مفدفا ودة
(٩) طبقا فما راموا البيت حتى انفجرت السماء بمائها وكظ الوادى بشجيجه
(١٠) فسمعت شيخان قريش وجلتها (١١) يقولون هنيئا بأبا البطحاء
اذ عاش بك أهل البطحاء وفي ذلك تقول رقيقة بنت أبي صيفى تمدحه عليه
الصلاة والسلام

بشبهة الحمد أسقى الله بلدتنا وقد فقدنا الحيا واجلوز المطر (١٢)

و (الحرم) حرم مكة و (الابطحي) هو القرشي من مكة خاصة و (شيدة الحمد)
هو عبد المطلب (١) تنامت اجتمعت و (انقض) أسرع (٢) طفق دام و (يدفون)
يتداولون (٣) ذروة كل شئ أعلاه و (استكفوا) أحاطوا به ينظرون اليه
و (جنباته) ناحيته (٤) أيقع الغلام قارب الاحتلام و (كرب) من أفعال
المقاربة والمعنى أو قارب (٥) الخلة الحاجة (٦) غير بخيل (٧) عبادك جمع عبد.
ويروى عبادؤك بكسر العين والباء وتشديد الدال أى عبيدك و (بعمدرات
حرمك) أى بافنائهم (٨) الظلف للبقرة والشاة ومثلهما كالتقدم للالسان و (الخف)
للبعير وأراد ذوات الظلف وذوات الخف (٩) مريعا أى محسبا و (المفدق
الكثير القطرو) الودق (١٠) راموا برحوا و (كظ) الوادى أى ضاق
بالماء لكثرتهم و (نجيجه) سيلانه (١١) شيخان جمع شيخ والشيخ من
استبان فيهن السن أو من خمسين أو احدى وخمسين الى آخر عمره أو الى
الثمانين و (جلتها) عظمائها وسادتها (١٢) الحيا الخصب والمطر و (اجلوز)

فجاد بالماء جوفى له سبل دان فعاش به الانعام والشجر (١)
 منا من الله بالميمون طائره وخير من بشرت يوما به مضر (٢)
 مبارك الامر يستسقى الغمام به مافى الانام له عدل ولا خطر (٣)
 وقد حضر النبي صلى الله عليه وسلم استسقاء آخر وكان رضيما . وذلك أن
 قريشا أجدبت وحبس عنهم المطر فأمر عبد المطلب ابنه أبا طالب أن يحضر
 المصطفى وهو رضيع في قاط فلما حضر وضعه على يديه واستقبل الكعبة
 ورماه الى السماء وتناوله بيديه ثم رماه ثانيا وثالثا وهو يقول يارب بحق هذا
 الغلام اسقنا غيثا مغيثا مغدقا دائما هاطلا فما انصرفوا حتى جاءهم الغيث وفي
 ذلك يقول عمه أبو طالب في قصيدته اللامية

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل (٤)
 يطيف به الهلاك من آل هاشم (٥) فهم عنده في نعمة وفواضل
 ويستسقى كل ذى دين من معبوده بالتقرب اليه وسند كرخبر خولان وتوسلمهم
 لصنمهم عميانس بالذبائح ليسقوا .

ومنهم من يستسقى بالمار وكانوا اذا أرادوا الاستمطار بها جمعوا ماقدروا
 عليه من البقر وعقدوا في أذناها وبين عراقيها حزما من السلع والعشر (٦)
 وأوقدوا فيها النار وأصعدوها في حبل وعرفرقوا بينها وبين أولادها

مضى وذهب (١) الجوز الأبيض والأسود وهو من الاضداد و(السبل) المطر
 (٢) من عليه أنعم و(الميمون طائره) أى السعيد حظّه و(مضر) قبيلة من
 العرب (٣) فى رواية مبارك الكف و(الغمام) سحاب المطر و(الانام) الخلق
 و(العدل) بالكسر مثل الشئ و(لاخطر) أى لا مثل له فى علوه (٤) قد عبر عن
 الكرم بالبياض . يقال له عندى يد بيضاء أى معروف و(الثمار) العمد
 والملجأ والمطعم والمغنى والكافى و(العصمة) ما يعتصم به ويتمسك (٥) فى
 رواية يلوذ به الهلاك و(الهلاك) الفقراء والصعاليك الذين ينتابون الناس طلبا
 لمعرفهم من سوء الحال (٦) السلع بفتححتين و(العشر) بضم ففتح ضربان
 من الشجر

وساقوا البقر الى ناحية المغرب دون سائر الجهات وهم يصيحون بالتضرع والدعاء لله تعالى ويستسقونه وسط خوار الثيران وتأجج البيران يستجلبون بذلك رحمته وفي ذلك يقول أمية بن أبي الصلت

- سنة أزمة تبرح بالناس ترى للعضاء فيها صريرا (١)
 لا على كوكب تنوء ولا ريح جنوب ولا ترى طحورورا (٢)
 اذ يسفون بالدقيق وكانوا قبل لا يأكلون شيئا فطيرا (٣)
 ويسوقون باقر السهل للطور د مهازيل خشية أن تبورا (٤)
 عاقدين النيران في ثكن الاذ ناب منها لكي تهيج البحورا
 فاشتوت كلها فهاج عليهم ثم هاجت الى صير صبرا (٥)
 فرآها الآله ترسم بالفسر وأمسى جناهم موطورا (٦)
 سلع ما ومثله عشر ما عائل ما وغالت البيقورا (٧)

(١) أزمة أى شديدة وفي رواية سنة جذبة و (تبرح بالناس) تصيبهم بشدة الاذى و(العضاء) جمع عضاهة وهى أعظم الشجر أو الحطأ أو كل ذات شوكة و(الصرير) الصوت (٢) نوء النجم سقوطه في المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته و(ريح الجنوب) هى التى تخالف الشمال ومهمها من مطلع سهيل الى مطلع الثريا - مافى السماء (طحورور) وطحورورة أى لطخ من السحاب (٣) الباء فى بالدقيق زائدة و(الفطير) من العجين ما اختبرته من ساعته ولم تحمره (٤) الباقر البقر و(الطود) الجبل أو عظيمه و(تبور) تهلك (٥) الصبر السحابة البيضاء أو الكثيفة التى فوق السحابة أو الذى يميز بعضه فوق بعض (٦) رسم الغيث الديار عفاها وأبقى أثرها لاصقا بالارض و(الجاب) الفناء والناحية (٧) قال ابن أبى الحديد « يروى أن عيسى بن عمر قال ما أدرى معنى هذا البيت ، ويقال أن الاصمعى صحف فيه فقال وغالت البيقورا بالغين المعجمة وفسره غيره فقال عالت بمعنى أثقلت البقر بما حملتها من السلع والعشر و(البيقور) البقر و(عائل) غالب أو مثقل ، ويمكن أن يحمل تفسير الاصمعى

وقال آخر

ياكل قد أثقلت أذنان البقر بسلع يعقد فيها وعشر

فهل تجودين ببرق ومطر

وهذه النار تسمى نار الاستمطار . وأنكر كثير منهم فائدة الاستمطار

بالنار قال الشاعر

شفعنا ببيقور الى هاطل الحيا فلم يفس عنا ذاك بل زادنا جدبا

فعدنا الى رب الحيا فأجادنا وصير جدد الارض من عنده خصبا

وقال آخر

قل لبنى نهشل أصحاب الحور أتطلون الغيث جهلا بالبقر

وسلع من بعد ذاك وعشر ليس هذا يحلل الارض المطر

وقال الورل الطائي يعيهم أيضا .

لا در در رجال خاب سمعهم يستمطرون لدى الازمات بالعشر

أجاعل أنت بيقورا مسلعة ذريعة لك بين الله والمطر

قال ابن أبي الحديد : وإنما أضرمو النيران في أذنان البقر تفاؤلا للبرق

بالنار . وقال بعض الاذكياء كل أمة قد اتخذوا في مذاهبها مذاهب ملة أخرى

وكانت الهند تزعم أن البقر ملائكة سخط الله عليها فجعلها في الارض وأن

لها عنده حرمة ، وكانوا يلطخون الابدان بأختائها ويفسلون الوجوه ببولها

ويجعلونها مهور نسائم ويتبركون بها في جميع أحوالهم فلعل أوائل العرب

حذوا هذا الحذو وانتهجوا هذا المسلك « وللبقر عند قدماء المصريين أسمى

المنازل الدينية وليست هذه العادة من الخرافات فان للدخان أثرا في الامطار

وقد جرب بعض علماء الافرنج بأمريكا انزال المطر بالدخان المتكاثف

فنجحت تجربته

على محمل صحيح فيقال غالت بمعنى أهلكت يقال غاله كذا واغتاله أى أهلكه

وغالتهم غول يعنى المنية »

(النذر)

كانوا في الجاهلية يوجبون على أنفسهم فعل أشياء أو تركها وذلك هو
النذر ويتمدحون بالوفاء به قال عنزة العبسي في معلقته

ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر للحرب دائرة على ابني ضمضم
الشامي عرضي ولم أشتهما والماذرين اذا لم ألقيهما دى

وقال زهير

قد أشهد الشارب المعضل لا معروفه منكرو ولا حصر (١)

في فتية ليني المآزر لا ينسون أحلامهم اذا سكروا

يشوون للضيف والمغاة ويوفون قضاء اذا هم نذروا (٢)

وكانت قديما نذورهم تقربا لله تعالى ثم لما تغيرت الحنيفية بعبادة الاوثان
ودخلت فيهم الديانات الوضعية صاروا يمدحون لاصنامهم أو للاتقام أو لغير
ذلك من الاغراض المختلفة الى لا يمكن استقصاؤها ولنذكر أمثلة منها
في صحيح مسلم أن عمر بن الخطاب قال يا رسول الله اني نذرت في الجاهلية
أن اعتكف ليلة في المسجد الحرام قال فأوف بنذرک

ومنها ما روى أن الحكم بن عبد يغوث الميموني نذر ليذبحن مهاة على
الغيبب (٣) وكان من أرمى الناس فرام صيدها أياما فلم يمكنه فكان يرجع
مخفقا حتى هم بقتل نفسه مكانها فقال له ابنه مطعم احملني أرفدك فقال ما احمل
من رعر رهل (٤) جبان فشل فإزال به حتى حمله فرمى الحكم مهاتين فاحطأهما
فلما عرضت الثالثة رماها مطعم فاصابها فقال الحكم (رب رمية من غير رام)

(١) المعضل كعظم من يعذل لافراط جوده و (الحصر) البخل والى في المنطق

(٢) العافي الضيف وكل طالب فضل أو رزق (٣) المهاة البقرة

الوحشية (والغيبب) منحصر العزى كانوا ينحرون فيه هداياها (٤) الارفاد

الاعانة و (رهل) لحمه بالكسر اضطرب واسترخى وانتفخ أو ورم

من غير داء

فضربت مثلاً في فلتة احسان من المسمى

ومنها أن الغوث بن سر بن أد بن طابخة كان لا يعش لامه ولد فنذرت لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة ولتجعمانه ربيطاً للكعبة فلما عاش لها الغوث وفدت بنذرهما فسمى صوفة وكان له ولوله الاجازة بالحج من عرفة ومن منى لمكانه من الكعبة .

ومن ذلك نذر تهود الاولاد قال السهيلي « اليهود بنو اسرائيل وجملة من كان منهم بالمدينة وخيبر انما هم قريظة والنضير وبنو قينقاع غير أن في الاوس والخزرج من قد تهود وكان من نسائهم من تنذر اذا ولدت ان عاش ولدها ان تهود لان اليهود عندهم كانوا اهل علم وكتاب وفي هؤلاء الابناء الذين تهودوا نزلت (لا اكره في الدين) حين اراد آباؤهم اكراههم على الاسلام في أحد الاقوال »

ومن ذلك ما روى ان عاصم بن ثابت بن أبي الاقلح قتل في غزوة احد من المشركين مسافع بن طلحة واخاه الجلاس بن طلحة كلاهما يصيبه بسهم فيأتي امه سلافة فتضع رأسه في حجرها وتقول يا بى من أصابك . فيقول سمعت رجلاً يقول حين رماني خذها وأنا ابن أبي الاقلح فنذرت ان أمكنها الله من رأس عاصم ان تشرب فيه الخمر

ومنها ما روى ان ابا سفيان لما رجع من مكة ورجع منهزم وقريش من بدر نذر الابس رأسه ماء من حمابة حتى يغفرو محمدًا

ومنها ما كان من عبدالمطلب بن هاشم فانه حين لقي من قريش مالقي عند حفر زمزم نذر لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يعموه لينحرن أحدهم لله عند الكعبة فلما بلغ نوه عشرة وعرف اهلهم ما عموه جمعهم وأخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء لله بذلك فأطاعوه فجعل لكل قدحاً وكتب عليه اسمه وضرب القداح سادن هبل عنده فخرج قدح عبدالله فهم بذبحه فقامت قريش وقالوا لا نذبحه ابداً حتى نعدز فيه لئن فمات هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه فما بقاء الناس على هذا وأشاروا اليه أن يذهب لعرافة سموها له ليستفتيها فيما

نزل به فلما نزل عبد المطلب بإساحتها ونص عليها أمره أمرته أن يضرب القداح على عبد الله وعلى عشر من الأبل فإن خرج قدح عبد الله زاد الأبل عشرا وضرب ولا يزال يفعل ذلك حتى يخرج القدح على الأبل فعاد إلى مكة وضرب القداح وما زال يزيد الأبل حتى بلغت مائة فخرج القدح عليها فذبحوها وعبد الله هو والد نبينا المراد بقوله عليه الصلاة والسلام أنا ابن الذيحين وثانيهما اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام

ومن ندورهم السائبة أن أحدهم كان إذا نزل به المكروه يذّر أن رفع عنه أن يسبب ناقته . فإذا فعل ذلك لم تتمع من الماء ولا من الكلأ . وقد يسبون غير الناقة - وكانوا إذا سبوا العبد لم يكن عليه ولاء .

ومن ندورهم ما كان من لبيد بن ربيعة بن عاسر وكان شريفا في الجاهلية والاسلام فقد نذر في الجاهلية الاتهب الصبا الانحروا طعم وهبت الصبا يوما وهو بالكوفة مقترع ملق فعلم بذلك الوليد بن عقبة بن أبي معيط وكان أميرا عليها لعثمان فخطب الناس فقال ان أخاكم لبيدا كان آلى على نفسه في الجاهلية ألا ته الصبا الا أطعم وألزم نفسه ذلك في الاسلام وهذا اليوم من أيامه فأعينوه فأنا أول من يعينه ثم نزل فبعث إليه بمائة بكرة . وبعث الناس إليه فقضى نذره وكتب إليه الوليد

أرى الجزار يشحذ شفرتيه إذا هبت رياح أبي عقيل

أغر الوجه أبيض عاسري طويل الباع كالسيف الصقيل

وفي ابن الجعفرى محلفتيه على العلات والمال القليل (١)

بنحرا الكوم اذ سحبت عليه ذبول صبا تجاوب بالاصيل (٢)

فلما أتاه الشعر قال لابنته أجيبيه فقد أراني ولا أعيا بجواب شاعر

فأنشأت تقول

إذا هبت رياح أبي عقيل دعونا عند هبتها الوليدا

أغر الوجه أبيض عبشيماً أعان على مروءته لبيدا

(١) على علاته أى على كل حال (٢) الكوم القطعة من الأبل

بأمثال الهضاب كان ركبا عليها من بنى حام قعودا (١)
 أبا وهب جزاك الله خيرا نحرناها وأطمعنا الوليدا
 فعد ان الكريم له معاد وظى يا ابن أروى أن تعودا

فقال أحسنت لولا انك استزدته فقالت انه ملك ولو كان بسوقة لم أفعل
 ذبح الظبي في نذر الشاة — كان أحدهم يقول عند المكروه يصيبه ان

خلصت منه لا ذبحن من الغنم كذا وكذا ثم اذا كشف الله عنه ما يكره ضن بما
 نذر لان من ألبانها غذاؤه وكره عدم الوفا فاستبقى الغنم وذبح من الظباء التي
 يصيدها بعدد ما نذر من الغنم . وقال الظباء شاء كما أن الغنم شاء فيجعل ذلك
 القربان شاء كماه مما يصيد من الظباء . قال الحارث بن حلزة

عتابا طلا وظلما كما ته ترعن حجرة الريض الظباء (٢)
 أعلينا جناح كمدة أن يغم غايزهم ومنا الجزاء

واصل العتر الذبح في رجب وكالت العرب تمذره لآلهتها فيقول قائلهم
 ان رزقى الله خمسين شاة ذبحت منها في رجب واحدة مثلا ويسمى هذا الذبح
 العتيرة والرجية — ومعى البيتين انكم الزتمتمونا ذنب غيرنا عتنا باطلا كما
 يذبح الظبي لحق وجب في الغنم وقال الرماح في تلك العتائر

كان الغوى الفرد أجسد رأسه عتائر مظلوم الهدى المذبح (٣)
 وقال كعب بن زهير في رثاء جوى المزنى وهي من أبيات الحماسة
 لنذكر والمذور لها وفاء اذا بلغ الخزاية بالغوها

(١) الهضاب والهضب جمع الهضبة وهي الجبل و(حام) هو ابن نوح
 أبو السودان (٢) العنت الفساد (وتعتر) تذبح (والحجرة) بالفتح الناحية
 والمراد بها هنا موضع الغنم و(الرييض) الغنم يرعاهما المجتمعة في مراتبها
 (٣) الغوى الضال ولعله يريد به الصنم و(المجد) الدم اليابس والزعفران
 واذا قام الثوب من الصبغ قيل قد أجسد ثوب فلان و(العتائر) الذبائح
 وازافة الذبائح لمظلوم اضافة بيانية . والهدى المذبح المظلوم هو الظباء
 المذبوحة بدل الشياه

(١) كأنك كنت تعلم يوم بزت ثيابك ما سيلقى سالبوها
فما عثر الظباء بحجى كعب ولا الخمسون قصر طالبوها
والمعنى انا وفينا ولم تنقع فى أخذ نأرك بشئ يعنى عما نذرت كما تذبح
الظباء بدل الغنم

وكان سبب هذه الايات أن جوياء المزنى مر على الاوس والخزرج وهم
يقتتلون والاوس حلفاء مزينة فقاتل جوى مع حلفائه فأصيب مر به ثابت بن
المنذر بن حرام أبو حسان الشاعر فقال : اخا مزينة ما طرحك هذا المطرح
فوالله انك من قوم ما يحمونك فرفع جوى رأسه اليه وهو يجود بنفسه
فقال : اعطى الله عهدا ليقتلن منكم خمسون ليس فيهم اعور ولا أخرج وبلغت
كلمته قومه فوفوا له بما قال - فلذلك يقول الرماح : ولا الخمسون قصر
طالبوها ومن هذا الباب قولهم فى المثل (أفرع بالظبي وفى المعزى دأثر) الباء
فى بالظبي زائدة أى ذبح الظبي وفى المعزى كثرة - - يضرب مثلا لمن له
اخوان كثيرون وهو يستعين بغيرهم

(ما يفعلونه للموتى)

ندكر فى هذا الفصل عاداتهم التى منشؤها الشرائع السماوية كتحنيط الميت
وتكفينه وغسله والمبالغة فيه بوضعهم فى ماء الغسل سدرًا ونحوه ثم تتبع ذلك
تتبعًا للموضوع بما كان منشؤه المعتقدات الوهمية كوضع البلية على القبر يركبها
الميت يوم البعث وبما كان منشؤه الفخر والزهو كاتخاذ حرم للقبر وتعلية بنائه
وغير ذلك

نعى الموتى - قال الاصمعى كانت العرب اذا مات فيهم ميت له قدر
ركب راكب فرسًا وجعل يسير فى الناس ويقول نعماء فلانا أى انعمه وأظهر خبر
وفاته وهذا هو الساعى المراد بقول المتنخل الهذلى

(١) بزت الثياب سلبت

أقول لما أتاني الناعيان به لا يبعد الرمح ذو النصلين والرجل (١)
 رمح لما كان لم يفلل ننوء به توفي به الحرب والعزاء والجلل (٢)
 وفول أعشى باهلة رثى أخاه لأمه المنتشر
 انى أتتى لسان لا أسر بها من علموا لعجب منها ولا سخر (٣)
 فظلت مكتئباً حرّاً أنديه وكنت ذا حذر لو ينفع الحذر
 لجاشت النفس لما جاء جمعهم وراكب جاء من تثليث معتمر (٤)
 يأتى على الماس لا يلوى على أحد حتى التقينا وكانت دوننا مضر (٥)
 ان الذى حمت من تثليث تمديه منه السماح ومنه النهى والغير
 ينعى امرأ لا تغب الحى جفنته اذا السكواكب اخطأ نوءها المطر (٦)
 والغرض من اتخاذ الناعى الاعلام لينهض الماس بالواجب عليهم نحو هذه
 المصيبة ولتعزية أهل الميت

(١) يبعد بمعنى يهلك و (الرمح) فاعل يبعد و (النصل) حديدة الرمح
 الذى يطعن به وهو للهنان (٢) (رمح لما) أى هو رمح لنا وضهير كان
 يرجع الى المرنى وجملة (لم يفلل) خبر كان أى لم يكسر ولم يثلم من الفل بفتح
 الفاء واحد الفول وهى كسور فى الشئ و (ننوء به) أى نهض به يقال ناء
 بكدا أى نهض به مثقلا و (توفى به الحرب) أى تعلى به وتقهر وهو بالفاء
 وروى بالقاف أيضا من الوقاية و (العزاء) بفتح الميم وتشديد الزاء المعجمة
 السنة الشديدة و (الجلل) بضم الجيم وفتح اللام جمع حلى وهو الامر الجليل
 العظيم مثل كبرى وكبرى . غرى وصغر (٣) اللسان الرسالة وأراد بها لى المنتشر
 و (سخر) بضم السين - والمعنى أتانى خبر من أعلى نجد لا أعجب منها وان
 كانت عظيمة لان مصائب الدنيا كثيرة (٤) جاشت النفس ارتفعت من حزن
 أو فزع (٥) لا يلوى على أحد أى لا يعرج (٦) النعى خبر الموت و (أغبت)
 القوم جفنته جاءتهم يوما وتركوا يوما كغب و (الدوء) سقوط المعجم فى المغرب
 مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته فى المشرق والعرب كانت نسب نزول
 المطر للنوء فتقول مطرنا بنوء كذا

غسل الميت — كانوا يغسلون موتاهم في الجاهلية . قال الافوه الاودى
 ألا عللاني واعلماني تغرر فما قلت ينجليني الشقاق ولا الحذر (١)
 وما قلت يجدينني ثوابي اذا بدت مفاصل أو صالى وقد شخص البصر (٢)
 وجاءوا بماء بارد يغسلونني فيالك من غسل سيتبعه غبر
 وفي الاغانى أن أبا لهب لما مات بالعدسة تركه ابنه ليلتين أو ثلاثا لا يدفنا نه
 حتى أنسن في بيته . وكانت قریش تتقى العدسة كما تتقى الطاعون تخشى عدواها
 حتى مال لهما رحل من قریش ويحكما ألا نستحيان ان أبا كما قد أنسن في بيته
 لا نغيباه . فقالا نخشى هذه القرحة قال : فاطلقا وأنا معكما فما غسلوه الا
 قذفا بالماء عليه من بعيد ما يمسونه فاحتملوه فدفنوه بأعلى مكة .
 وكانوا يضعون في ماء الغسل ما يساعد على المظافة من سدر أو اشنان .
 ويغسلون بالصدر ونحوه رءوسهم ولحاهم وشاهده قول امرئ القيس لما أخذت
 بسونغاب ثمانية وأربعين نفسا من بنى آكل المرار فقدم بهم على المنذر ف ضرب
 رقاهم بحجر الاملاك في ديار بنى مرز

ملوك من بنى حجر بن عمرو يساقون العشية يقتلونا
 فلو في يوم معركة أصيبوا ولكن في ديار بنى مرينا
 ولم تغسل رءوسهم بسدر ولكن في الدماء مرملينا (٣)

وقد أقرهم الاسلام على ما كان عندهم من ذلك
تحنيط الميت كانوا بعد غسل الميت يحنطونه والحنوط كصبور وكتاب
 عطر مركب من أشياء طيبة الرائحة يخلط للميت
 وذكروا أن مشما كانت امرأة تبسح الحسوط في الجاهلية فقيل للقوم

(١) الفرر بالنفس التعريض للخطر - مصدر يراد به اسم المفعول
 (٢) والاولصال المفاصل أو مجتمع العظام (وشخص بصره) فتح عينيه
 وجعل لا يطرف (٣) السدر ورق الببق وفي رواية ولم تغسل جماجمهم بغسل
 و(تزمل) تلف

إذا تحاربوا دقوا بينهم عطر من شمع أرادوا بذلك طيب الموتى . وروى أن أول من طيب الموتى بالحنوط مقسم بنهر القضاء
كفن الميت . كانوا يكفنون الميت (١) وشاهده قول قس بن ساعدة
 الأيادي .

يا بأكى الموت والاموات فى جدث عليهم من بقايا بزهم خرق (٢)
 دعهم فان لهم يوماً يصاح بهم كما ينبه من نومانه الصمق
 وقال عمتره العبدى

وأجى حى قومى على طول مدنى الى أن أرائى فى اللقائف أدرج (٣)
 وقال حجية بن المضرب مخاطب النعمان بن المنذر

ان كان ما بلّغت عنى فلامنى صديقى وشلّت من يدى الانامل
 وكفنت وحدى منذرا فى ردائه وصادف حوطاً من أعادى قاتل (٤)
 وسبب هذين البيتين أن النعمان بن المنذر أغار على بنى تميم فمذروا به
 ومعه بكر بن وائل والصنائع من العرب وكان فيمن كان معه حجية بن المضرب
 وكانت أخته فكيفة بنت المضرب تحت ضمرة بن ضمرة . فمذرو بنو تميم
 بالنعمان فهزموه (٥) فاتهم النعمان حجية أن يكون أنذرهم فقال البيتين

وكانوا يكفنون الميت فى ثوب ثمين النسيج اذا كان عظيماً . وشاهده ما
 يروى أن دريد بن حرملة لما قتل معاوية بن عمرو الشريد قدم أخوه صخر
 فأتى بنى مرة . فقال : من قتل أخى . فقال له هاشم بن حرملة . اذا
 أصبتنى أو دريدا فقد أصبت نارك . قال فهل كفنتموه . قالوا : نعم فى بردين

(١) الكفن لباس الميت (٢) الجثث القبر و (البز) الثياب (٣) اللقافة

ما يلف به على الرجل وغيرها جمعه لقائف يراد بها هنا الكفن

(٤) قوله وكفنت وحدى منذرا : أى أكون غريباً لا أجد معيناً وقوله
 فى ردائه أى لا أجد كفناً يليق به و (المنذر) أخو حجية الشاعر و (حوط)
 ابنه وبه يكنى (٥) نذر بالشئ كفرج علمه فخره و (انذره بالامر) أعلمه
 وحذره وخوفه فى ابلاغه

أحدهما بخمس وعشرين بكرة قال : فأروني قبره . فأروه إياه . فلما رأى القبر جزع عنده ثم قال : كانكم قد أنكرتم ما رأيتم من جزعي . فوالله ما بت مذعقلت الا واترا أو موتورا أو طالبا أو مطلوباً حتى قتل معاوية فما ذقت طعم نوم بعده . وقال مهلهل بن ربيعة من رثاء أخيه كليب

فا بكين سيد قومه واندبته شدت عليه قباطى الا كفان (١)

وقد جاء ذكر الخنوط وترجيل الشعر والكف في شعر يزيد بن حذاق قال ابن قتيبة انه أول من بكى على نفسه وذكر الموت في شعره حيث قال هل للفتى من نبات الدهر من واق أم هل له من حمام الموت من راق قد رجلوني وما بالشعر من شعث والبسوني ثياباً غير أخلاق وطيبوني وقالوا أيما رجل وأدرجوني كافي طي مخراق وأرسلوا فتية من خيرهم حسبا ليسدوا في ضريح القبر أطباق وقسموا المال وأرفضت عواندهم وقال قائلهم مات ابن حذاق هون عليك ولا تولىع باشفاق تاماً مالنا للوارث الباقي وجاء الشعر الاسلامي فأقر تحميط الميت وتكفيمه وكره تسريح شعره الصلاة على الميت كالوا يصلون على موتاهم وصلاتهم اذا مات الرجل وحمل على سريره ان يقوم واية فيذكر محاسنه كلها ويثنى عليه قال رجل من كلب في الجاهلية لابن ابن له

اعمرو ان هلكت وكنت حياً فاني مكثرت لك من صلاتي

قيل وأرل من صلى في الجاهلية على الميت عطيرة بن صعب السكسكى . ومن بليغ ما ورد من ذلك في الاسلام ما ذكره الحرمازي وغيره من ان الاحنف بن قيس لما مات بالكوفة أيام خرج مع مصعب بن الزبير الى قتال المختار فلما دفن فامت امرأة على قبره من بني مقرر فقالت : لله درك من يحن في جنن ومدرج في كف فسأل الذي جعها بموتك وابتلانا بفقدك

(١) الفبطية بالضم وقد تكسر ثياب من كان تنسج بمصر منسوبة الى الفبط على غير القياس كالدهرى جمعه قباطى بالتشديد وقباطى بالتخفيف

أن يجعل سبيل الخير سبيلك ودليل الخير دليلك وإن يوسع لك في قبرك ويفر لك يوم حشرك . ثم أقبلت بوجهها على الناس فقالت ، معشر الناس أن أولياء الله في بلاده شهود على عباده وأنا قائلون حقاً ومثنون صدقاً . وهو أهل لحسن الثناء وطيب الدعاء . ثم أقبلت على القبر فقالت : أما والذي كنت من أجله في عدّة ومن الضمان إلى غاية ومن الحياة إلى نهاية الذي رفع عملك عند انقضاء أجلك لقد عشت حميداً مودوداً ولقد مت فقيداً سعيداً وإن كنت لعظيم السلم فاضل الحلم وإن كنت من الرجال لشريفاً وعلى الأراذل عطوفاً وفي العشيرة مسوداً وإلى الخلفاء موفداً . ولقد كانوا لقولك مستمعين ولرأيك متبعين . فقال الناس : ما سمعنا كلام امرأة أبليغ ولا أصدق معنى منها .

سريـر الميـت -- كانوا يحملون الميت أما على الحرج وهو خشب يشد بعضه إلى بعض قال امرؤ القيس

فأما ترى في رحالة جابر على حرج كالقمر تخفق أكفاني (١)
وأما على المعش وهو سرير الميت وقيل المعش المرأة والسرير للرجل ذكر ذلك ابن سيدة في المختص . وعلى احتصاص المرأة بالمعش فأول امرأة حملت في معش زينب بنت جحش زوج النبي عليه السلام كما حكاه القلقشندي فيصبح الاعشى لكن جاء في كتاب وفا الوفا بأخبار دار المصطفى ما يقتضي أن أول امرأة حملت في معش هي فاطمة بنت رسول الله وذلك أنها بعد وفاة أبيها كملت سبعين بين يوم وليلة . فقالت : لأسماء بنت عميس أني لاستجبي من جلالة جسمي إذا أخرجت على الرجال غداً وكانوا يحملون الرجال كما يحملون النساء وقيل قالت يا أسماء أني قد استعجبت ما يصنع بالرجال أنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها . قالت أسماء : يا ابنة رسول الله ألا أريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة فدعت بحرائد رطبة فحنتها ثم طرحت عليها ثوباً . فقالت فاطمة :

(١) الرحالة هنا خشبة كان يحمل عليها امرؤ القيس وكان مريضاً . وجابر من بني نعلب وكان هو وعمرو بن قيثمة يحملانه و(الحرج) خشب يحمل فيه الموتى و(القر) مركب من مراكب النساء كالهودج

ما أحسن هذا وأجمله تعرف به المرأة من الرجل. فاذا أنا مت فاغسليني أنت وعلى ولا تدخل على أحدا فلما توفيت جاءت عائشة تدخل . فقالت أسماء لا تدخل فشكلت الى أبي بكر قالت : ان هذه الخنمية تحول بيننا وبين بنت رسول الله وقد جعلت لها مثل هودج العروس . فجاء أبو بكر فوقف على الباب فقال يا أسماء ما حملك على أن منعت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن يدخلن على بنت رسول الله وقد جعلت لها مثل هودج العروس فقالت أمرتني ألا تدخل عليها أحد وأريتها هذا الذي صنعت وهي حية فأمرتني أن أصنع ذلك لها . قال أبو بكر : فاصنعى ما أمرتك ثم انصرف وغسلها على وأسماء (١) رضى الله عنهما وروى أن فاطمة لما أرتها اسماء النعش تبسمت وما رؤيتها متبسمة بعد موت النبي عليه السلام الا يومئذ واتخذ النعش بعد ذلك سنة

قال ابن عبد الر (فاطمة أول من غطى نعشها من النساء فى الاسلام على الصفة المذكورة فى الخبر المتقدم ثم بمدّها زينب بنت جحش صنع بها ذلك) وعلى ذلك فأولية زينب بنت جحش التى حكاه القلقشدى انما هى بالنسبة لمن عدا فاطمة

تشيع الجنازة - فاذا وضعوا الميت على سريريه حملوه وساروا به الى

القبر . قال حاتم الطائي

فاصدق حديثك ان المرء يتبعه ما كان يبنى اذا مالعشه حملا

وقالت الخنساء ترى صخرا

وقائلة والنفس قد فات خطوها لتدركه يالهف نفسى على صخر

الا نكلت أم الذين غدوا به الى القبر ماذا يحملون الى القبر

وكانت تحمل البيران فى تشيع الجنازة وتتبعها النوائح وقد نهى الاسلام

(١) منعت الحنفية الزوج من تفصيل زوجته ومسها لا من النظر اليها

وأجازته الاثمة الثلاثة وحجتهم غسل على فاطمة واحتج الحنفية بقوله عليه

السلام كل سبب وسب ينقطع بالموت الا سببى ونسبى مع أن بعض الصحابة

أنكر على على ذلك

عن ذلك لانه من شعار الجاهلية وقال عمرو بن العاص حين حضرته الوفاة من حديث له رواه مسلم في صحيحه فاذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار فاذا دفنتموني فسنوا على التراب سباً (١) ثم أقيموا حولي قدر ما تخرج جزور ويقسم لهما حتى استأنس بكم وانظر ماذا أراجع به رسل ربى قولهم للجنائزة - كانوا يقومون للجنائزة ويقولون كنت في أهلك ما أنت

مرتين . وشاهده مارواه البخارى في صحيحه بسنده قال أخبرني عمرو بن عبد الرحمن بن العاصم حدثه أن القاسم كان يمشى بين يدي الجمارة ولا يقوم لها ويخبر عن عائشة أنها قالت كان أهلك في الجاهلية يقومون لها ويقولون اذا رأوها كنت في أهلك ما أنت مرتين

قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري . أى يقولون ذلك مرتين وما موصولة وبعض الصلة محذوف . والتقدير كنت في أهلك الذى كنت فيه . أى الذى أنت فيه الآن كنت في الحياة مثله لأنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث بل كانوا يعتقدون أن الروح اذا خرجت تصير طيراً فإن كان لك من أهل الخير كان روحه من صالح الطير والا فبالعكس ويحتمل أن يكون قولهم هذا دعاء للعت و يحتمل أن تكون ما نافية ولفظ مرتين من تمام الكلام أى لا تكونى في أهلك مرتين المرة الواحدة الى كنت فيهم انقضت وليست بمائدة اليهم مرة أخرى . ويحتمل أن تكون ما استفهامية أى كنت في أهلك شريفة فأى شئ أنت الآن يقولون ذلك حزناً وتأسفا عليه

مقابرهم كانوا يحزنون لموتهم قبورا أو لحودا (١) يدفعونهم بها قال عنبرة العباسي

بالله ما بال الاحبة أعرضت عنا وراحت بالفراق صدودها
رضيت مصاحبة البلى واستوطنت بعد البيوت قبورها ولحودها
وقال حاتم الطائي

(١) سن التراب صبه في سهولة (٢) القبر مدفن الانسان و(اللحود)

جمع اللحد بالفتح والضم وهو الشق يكون في عرض القبر .

أماوى ما ينفى الثراء عن الفتى اذا حشر جت يوم ما وضاق بها الصدر
 اذا أنا دلانى الذين أحبهم بملحودة زلخ جوانبها غبر
 وراحوا سراعا ينفضون أكفهم يقولون قد دى أنا ملنا الحفر
 ومن القبور ما يبنى ومنه ما يجعل فوقه كومة من التراب وتوضع فوقها
 الحجارة لتدل على مكان القبر قال طرفة بن العبد

أرى قبر نحام بخيل بماله كقبر غوى فى البطالة مفسد (١)
 ترى جثوتين من تراب عليهما صفائح صم من صفيح منضد (٢)
 وقال لبید بن ربیعة العامرى

وهل هو الا ما ابتى فى حياته اذا قذفوا فوق الضريح الجنادلا
 وقال دريد بن الصمة يرثى معاوية أبا الخنساء لما قتلتها بنو مرة
 رأيت مكانه فمطفت زورا وأين مكان زور يا ابن بكر
 الى ارم وأحجار وصير وأغصان من السلمات سمر (٣)
 وبيان القبور أنى عليها طوال الدهر من سنة وشهر
 وقال البرج بن مسهر الطائى

نطوف ما نطوف ثم ياوى ذوو الاموال منا والعديم
 الى حفر أسافلهم جوف وأعلاهم صفائح مقيم (٤)

وقالت الخنساء من قصيدة ترثى بها صخرها
 فى جوف رمس مقيم قد تضمنه فى رسمه مقمطرات وأحجار (٥)

- (١) النحام البخيل و (الغوى) الضال والبطالة ضد العمل (٢) جثوتين
 تشيئة جثوة بالتثليث وهى الكومة من التراب وغيره و (صفائح) جمع صفيحة
 وهى حجارة عراض رقاق و (منضد) مجعول بعضه فوق بعض
 (٣) الارم كعنب العلم و (الصير) راحده صيرة وهى حظيرة الغنم .
 (٤) الجوف المطمئن من الارض و (الصفائح) حجارة عراض رقاق
 (٥) قال أبو عمرو مقمطرات صخور عظام وأحجار صغار

وفال حفص بن الاحنف الكنانى (١)

نمرت قلوصى من حجارة حرة بنيت على طلق اليمين وهوب (٢)

لا تنفرى يا ناق منه فانه شريب خمر مسعر لحروب (٣)

واذا كان للميت منزلة وشرف بنوا على قبره قبة أو بيتا أو بناء مشرفا
كأطم من الآطام مباحاة وغرأ وتعاظما وزهواً فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم
عن ذلك . وقل عدى بن ربيعة المعروف بالمهلل التغلبى من قصيدة فى رثاء
كليب أخيه وكانت على قبره قبة رفيعة

سألت الحى أين دفنتموه فقالوا لى بسفح الحى دار

فسهرت اليه من بلدى حثيثاً وطار النوم وامتنع القرار

وحادت ناقتى عن ظل قبر ثوى فيه المكارم والفخار

ومن ذلك ما رواه الاصبهاني فى الاغاني عن الاصمعى وأبى عبيدة ان
رجلا من غنى . يقال له قيس الدماى وفد على بعض الملوك . وكان قيس سيدا
جوادا فلما حفل المجلس أقبل الملك على من حضره من وفود العرب . وقال
لاصن تاحى على أكرم رجل من العرب فوضعه على رأس قيس وأعطاه ما
شاء وناداه مدة ثم أذن له فى الانصراف الى بلده فلما قرب من بلاد طى
خرجوا اليه وهم لا يعرفونه فقتلوه فلما علموا أنه قيس ندموا لا ياد له كانت
فيهم فدفنوه وبنوا عليه بيتا -- وقد بنى المنذر الاكبر الغريان وهما منارة ان
على قبرى عمرو بن مسعود وخالد بن فضلة الاسديين . وسنذكر خبرهما
عند الكلام على العقر -- واذا كان الميت من النصارى وضعوا جثته فى
صندوق يسمى التابوت ويسمى الاران أيضاً

(١) فى الاغاني ان هذا الشعر ينسب لحسان بن ثابت وقيل أيضاً انه

لضرار بن الخطاب المهرى . وذكر ان محمد بن سلام قال الصحيح انها لعمرو
ابن شقيق أحد بنى فهر بن مالك قال ومن الناس من يرونها لكرز بن حفص
ابن الاحنف العامرى وعمرو بن شقيق أولى بها (٢) الحرة بفتح الحاء أرض
ذات حجارة نخرة سود (٣) المسعر الذى كاه آله فى ايقاد الحروب

حمى القبر من عاداتهم أن يجعلوا لقبر الشريف حمى لا ينتهك حكي أبو عبيدة عن الحرمازي قال لما مات عامر بن الطفيل نصبت عليه بنو عامر أنصاباً . يلا في ميل حمى على قبره لا ينشر فيه ماشية ولا يرعى ولا يسلكه راكب ولا ماش وكان جبار (١) بن سلمى غائباً فلما قدم . مر بقبره فقال ما هذه الانصاب قالوا نصبناها على قبر عامر فقال ضيقتم على أبي على وأفضاتم منه فضلاً كثيراً ثم وقف على قبره وقال : أنعم صباحاً أبا على فوالله لقد كنت تش الغارة وتحمل الجارة سريعا الى المولى بوعدك بطيئاً عنه بايعادك وكنت لا نعمل حتى يضل النجم ولا تعطش حتى يعطش البعير ولا تبجن حتى يجبن السيل . وكنت والله خير ما كنت تكون حين لا تظن نفس بنفس خيراً .

وعامر بن الطفيل هذا كان سيداً شريفاً ينادى بسوق عكاظ ويقول : هل من راجل فاحمله أو جائع فأطعمه أو خائف فأؤممه وقد أدرك الاسلام وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوسده وساده ثم قال أسلم يا عامر . قال : على ان لي الوبر ولك المدر . فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقام عامر مغضباً فولى وقال لا ملانها عليك خيلاً جرذا ورجالا مردا ولا ربطن بكل نخلة فرساً فقال النبي عليه الصلاة والسلام : اللهم اهد بني عامر واشغل عني عامر بن الطفيل بما شئت وكيف شئت واني شئت نخرج عامر فأخذه غدة مثل غدة البكر فأوى الى بيت امرأة من بني سلول فجعل يثب وينزو في السماء ويقول : ياموت ابرز لي . غدة مثل غدة البعير وموت في بيت سلولية

بنضح القبر بالحجر — كانوا ينضحون قبر العزيز عندهم بالحجر قال نصر بن غالب

أصب على قبريكما من مدامة فلا تذوقاها تروثا كما
وقال حاتم يوصي امرأته بنضح الحجر على قبره

(١) كذا في الكامل للمبرد وفي مجمع الامثال انه حبان بالخاء المهملة آخره

نون ابن سلمى بن عامر بن مالك

أماوى امامت فاسمى بنطفة من الحجر ربا فانضحن بها قبرى
السقيا للقبر — وكانت العرب تحب نزول المطر على القبور وقد طلبت
لها السقيا قال النابغة الذبياني من قصيدة يرثى بها النعمان بن الحارث بن
أبى شمر الغساني .

سقى الغيث قبرايين بصرى وجاسم بغيث من الوسمى قطر ورايل (١)
ولا زال ريحان ومسك وعبر على منتهاه ديمة ثم هاطل (٢)
وينبت حوذانا وعرفا مورا سابعه من خير ما قال قائل (٣)
وقد أوصى المتلمس بذلك فى قوله من قصيدة يرثى بها نفسه

خليلى امامت يوم اوزحزحت منايا كما فياير حزحه الدهر
فرا على قبرى فقوما فسلما وقولا سقالك الغيث والقطر يا فبر
وفل مهامل من قصيدة فى رثاء أخيه كليب

أحبنى باكليب خلاك ذم لقد فحمت بفارسها نزار
سقالك الغيث انك كنت غيثا ويسرا حين المنمس اليسار
والاشعار فى هذا المعنى كثيرة مستهيمضة

وقد اختلف فى سبب استسقاءهم لها فقال الود بر أبو بكر عاصم بن
أيوب البطليوسى تدعو العرب للقبور بالسقيا لبكثر الخصب حولها فيقصد
كل من مر بها دعاء لها بالرحمة

وقال التبريزى فى شرح الحماسة عند قول عكرشة العبسى من رثاء بنيه
سقى الله أجدانا ورائى تركتها بحاضر قنسرين من سبل القطر

(١) بصرى وجاسم موضعان بالشام و (الوسمى) أول المطر لانه يسم
الارض بالنبات (٢) وروى ابن الاعرابى : ريحان ومسك يشيره على
منتواه . و (يشيره) أى يهيج رائحته ويذكىه و (منتواه) موضع تباعده
عن الاحياء . ومن روى منتهاه أراد قبره لانه الموضع الذى يذنهى اليه سعى
الانسان (٣) الحوذان والعرف نباتان الا أن الحوذان اطيب رائحة .
وقوله (سأبعه من خير ما قال قائل) أى سأثنى عليه بأحسن القول

مضوا لا يريدون ارواح وغالهم من الدهر أسباب جرين على قدر
ولو يستطيعون الرواح تروحوامى وغدوا في المصبحين على ظهر (١)
لعمري لقد وارت وضمت قبورهم أ كفاً شداً القبض لا سل السمر
والقصد من طلب السقيا لها أن تبقى عهدوها غضة من الدروس طرية لا يتسلط
عليها ما يزيل جدتها ونضارتها ألا ترى انه لما أراد الشاعر ضد ذلك قال :
فلا سقاها الا النار تضطرم * وقال السهيلي عند قول كعب بن مالك في
رثاء من قتل من الشهداء يوم موة

صلى الأله عليهم من فتية وسقى عظامهم الغمام المسبل
(وقوله وسقى عظامهم الغمام المسبل يرد قول من قال انما استسقت العرب لقبور)
أحببتها لتخصب أرضها فلا يحتاجوا الى الانتقال عنها لطلب النجعة في البلاد .
وقال قاسم بن ثابت في الدلائل فلماذا كعب يستسقى لعظام الشهداء بموة وليس
معهم وكذلك قول الآخر

سقى مطفيات المحل جودا وديمة عظام ابن ليلى حيث كان رميمها
فقوله حيث كان رميمها يدل على أنه ليس مقبياً معه وانما استسقاؤهم لاهل القبور
استرحام لهم لان السقيا رحمة وضدها عذاب)

وكانت العرب تزعم أن المطر يسقى قبر أحد بنى عبد القيس ونسله حكى
ابن عبد ربه في كتاب النسب من العقد الفريد أن رباب بن زيد بن عمرو بن
جابر بن ضبيب كان ممن وحد الله في الجاهلية وسأل عنه النبي وفد عبد القيس .
وكان يسقى قبر كل من مات من ولده وفي ذلك يقول الحجين بن عبد الله
ومنا الذي بالبعث يعرف نسله اذا مات منهم ميت جيد بالقطر
رباب وأنى للبرية كلها بمثل رباب حين يخطر بالسم

وفي المعارف لابن قتيبة (أر باب بن رباب (٢) هو من عبد القيس من شن .
وكان على دين عيسى وسمعوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم مناديا ينادى

(١) أى لغدوا في صباح اليوم التالى على ظهر الارض ولم يصيروا في بطنها
مع الاموات (٢) في السيرة الحلبية نقلا عن ابن قتيبة أن اسمه رباب بن البراء

خير أهل الارض ثلاثة رثاب الشنى وبحيرا الراهب وآخر لم يأت بعد يريد
النبي صلى الله عليه وسلم . وكان لا يموت أحد من ولد أرباب فيدفن الا رأوا
طشا على قبره) والطش المطر الضعيف

المقر على القبر ونضحه بالدماء - كانوا يعقرون (١) على قبر العظيم أو السيد

الشريف الخليل أو النوق وينضحون القبر بدمائها . وقد ذكر سبب عقرم الابل
ابن السيد فيما كتبه على كامل المبرد فقال « واختلف في سبب عقرم الابل على
القبور فقال قوم انما كانوا يفعلون ذلك مكافأة للميت على ما كان يعقر من
الابل في حياته وينجره للاضياف واحتجوا بقول زياد الاعجم

وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون أخادم وذبايح

وقد قال قوم انما كانوا يفعلون ذلك اعظاما للميت كما كانوا يذبحون للاصنام
وقيل انما كانوا يفعلونه لان الابل كانت تأكل عظام الموتى اذا بليت فكانهم
يثأرون لهم منها وقيل ان الابل أنفس أمواهم فكانهم يريدون بذلك انها
قد هانت عليهم لعظم المصيبة « نقل ذلك عنه البغدادى فى خزانه الادب .
والشواهد على عقر الابل والخليل كثيرة من ذلك ما حكاه المبرد فى الكامل
أن رجلا عربياً وقف على قبر النجاشى فترحم . وقال : لولا أن القول لا يحيط
بما فيك والوصف يقصر دونك لا طنبت بل لاسهبت ثم عقر ناقته على قبره وقال

عقرت على قبر المجاسى نائى بابيض غضب أخلصته صياقله -

على قبر من لو انى مت قبله لهانت عليه عند فبرى رواحله

وقال حريبة بن الاشيم النقعسى يوصى ابنه بأن يعقر على قبره

اذا مت فادفنى بمجاء ما بها سوى الاصرخين أو يفوز راكب

فان انت لم تعقر على مطيتى فلا قام فى مال لك الدهر حالب (٢)

ولا تدفنى فى صوى وادفنى بديمومة تنزو عليها الجنادب (٣)

(١) عقر البعير بالسيف عقرا من باب ضرب اذا ضرب قوائمه به لا يطلق

المقر فى غير القوائم وربما قيل عقره اذا نجره كذا فى المصباح (٢) يدعو عليه
بفقد ما يحجب من الشاء والابل اذا لم يعقر مطيته (٣) الصوى جمع صوة بضم

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة « وقد ذكرت في مجموعي المسمى بالعقري الحسان ان أبا عبد الله الحسين بن محمد بن جعفر الخالع رحمه الله ذكر في كتابه في آراء العرب وأديانها هذه الايات واستشهد بها على ما كانوا يعتقدون في البلية وقلت انه وهم في ذلك وانه ليس في هذه الايات دلالة على هذا المعنى ولا لها به تعلق وانما هي وصية لولده أن يعقر مطيته بعد موته اما لكي لا يركبها غيره بعده أو على هيئة القربان كالهدي المعقور بمكة أو كما كانوا يعقرون عند القبور . ثم قال ومذهبهم في العقر على القبور مشهور وليس في هذا الشعر ما يدل على مذهبهم في البلية فان ظن ظان ان قوله أو يفوز راكب فيه ايماء الى ذلك فليس الامر كما ظنه ومعنى البيت ادفى بفلاة جداء مقطوعة عن الانس ليس بها الا الذئب والغراب أو أن يعتسف راكبها المفازة وهي المهلكة سموها مفازة على طريق الفأل وقيل انها تسمى مفازة من فوز أى هلك فليس في البيت ذكر البلية ولكن الخالع اخطأ في ايراده في هذا الباب كما اخطأ في هذا الباب أيضا في ايراده قول مالك بن الربيع

وعطل قلوصى في الركاب فانها ستبرد أكبادا وتبكي بواكيا
فظن أن ذلك من هذا الباب الذي نحن فيه ولم يرد الشاعر ذلك وانما أراد لا تركبوا راحتي بعدى وعطلوها بحيث لا يشاهدها أعادى وأصادق ذاهبة
جائية تحت راكبها فيشمت العدو ويساء الصديق

ومن العقر على القبور ما ذكره أبو علي القالي في الامالى قال لما مات عمرو ابن حمزة الدوسي وكان أحد من يتحاكم اليه العرب مر بقبره ثلاثة نفر من أهل يثرب قادمين من الشام الهدم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد أبو كلثوم ابن الهدم الذي نزل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعتيك بن قيس بن هيشة ابن أمية بن معاوية وحاطب بن قيس بن هيشة الذي كانت بسببه حرب حاطب فمعقروا رواحلهم على قبره وقام الهدم فقال

الصاد وهو ما غلظ وارتقع من الارض و (الديمومة) الفلاة الواسعة
و (ننزو) نثب و (الجنذب) الجراد جمعه جنادب

لقد ضمت الاثراء منك مرزاً
 عظيم رماد النار مشترك القدر (١)
 حليم اذا ما الحلم كان حزامه
 وقورا اذا كان الوقوف على الجمر (٢)
 اذا قلت لم تترك مقالا لقائل
 وان صلت كنت الليث يحمي حي الاجر
 ليبيك من كانت حياتك عزه
 فأصبح لما بنت يفضي على الصغر (٣)
 سقى الارض ذات الطول والعرض مشجماً
 أحم الرحي واهى المرا دائماً القطر (٤)
 وما بنى سقيا الارض لكن تربة
 أصلاك في أحشائها ملحد القبر
 وقام عتيك بن قيس فقال :

برغم الملا والجود والمجد والندى
 طواك الردى ياخير حاف وناعل
 لقد غال صهرف الدهر منك مرراً
 نهوضاً بأعباء الامور الاثاقل
 يضم العفاة الطارقين فناؤه
 كما ضم أم الرأس شعب القبائل (٥)
 ويسرو دجى الهيجا مضاء عزيمة
 كما كشف الصبح أطراق النياطل (٦)
 ويستهزم الجيش العرمم باسمه
 وان كان جرارا كثير الصواهل
 وينقاد ذو البأو الابى لحكمه
 فيرتد قسراً وهو جم الدغاؤل (٧)
 وبمضى اذا ما الحرب مد رواقه
 على الروع وارفضت صدور العوامل (٨)
 فأما تصدنا الحادثات بنسكة
 رمتك بها احدى الدواهي الضآل (٩)

(١) الاثراء جمع الثرى وهو التراب الندى و (الريضة المصيبة كالرزة
 (٢) الحزامه والحزم ضبط الامر والاخذ فيه بالثقة (٣) الصغر خلاف العظم
 (٤) مشجماً أى سحاب سريع المطر مديمه و (الاحم) الاسود من كل شئ
 و (الرحى) وسط النجم ومعظمه ووسط الحرب ومعظمها (٥) العافى الرائد
 والوارد والضيف وكل طالب فضل أو رزق و قبائل الرأس) واحده قبيلة
 للقطع المشعوب بعضها الى بعض (٦) يسرو يكشف و (الدجى) الظلمة و (الهيجا)
 الحرب و (اطراق) اطرقت الليل ركب بعضه فوق بعض و (الغيطة) أو
 اختلاط الاصوات وقال ابن الاعرابى هى التفاف الناس واجتماعهم (٧) البأو
 الفخر و (الدغاؤل) الدواهي (٨) الروع الفزع و (ارفضت) سالت و (عامل)
 الرمح وعاملته صدره (٩) الضآل الدواهي واحدها ضئبل

فلا تبعذن ان الختوف موارد وكل فتى من صرفها غير وائل (١)
وقام حاطب بن قيس فقال :

سلام على القبر الذى ضم أعظما
سلام عليه كلما ذر شارق
فيا قبر عمرو جاد أرضاً تعطف
تضمنت جسماً طاب حياً وميتاً
فلو نطقت أرض لقال تراها
الى مرس قد حل بين ترابه
فلو وألت من سطوة الموت مهجة
فلا يبعذنك الله حياً وميتاً
وقد كنت تمضى الحكم غير مهلل
اعمر والذى حطت اليه على الونا
لقد هدم العلياء موتك جانباً
تحموم المعالي حوله فتسلم
وما امتد قطع من دجى الليل مظلم (٢)
عليك ملك دائم القطر مرزم (٣)
فأنت بما ضمنت فى الارض معلم
الى قبر عمرو الازد حل التكرم
وأحجاره بدر وأضبط ضيفم (٤)
لكنك ولكن الردى لا يثمم (٥)
فقد كنت نور الخطب والخطب مظلم
إذا غال فى القول الابل الغشمشم (٦)
حدابير عوج نيهامتهم (٧)
وكان قديماً ركنها لا يهدم

ومن المقر على القبور فى الجاهلية عقر المنذر الاكبر على قبر عمرو بن مسعود
وخالد بن فضلة الاسديين الابل والحيل وطلاهما بالدماء . وقد بنى على قبرهما
الغريان (٨) روى انهما كانا يفدان على المنذر الاكبر فى كل سنة فيقيمان
عنده ويناديهانه وكانت اسد وعطفان لا يدينون للملوك ويغيرون عليهم فوفدا
سنة من السنين فقال المنذر لخالد يوماً وهم على الشراب يا خالد من ربك فقال

(١) الوائل طالب النجاة (٢) ذر طلع (٣) المثلث السحاب الدائم المطر (والمرزم)

الرعد الشديد صوته (٤) المرس القرو (الاضبط والضيفم) اسمان للاسد
(٥) وألت نجت ويشتم بيطى ويشتم يحرك ويدفع (٦) المهلل المتوقف يقال
حمل عليه فما هلل و (الابل) الظلوم و (الغشمشم) الذى يركب رأسه ولا يثنيه
شىء عما يحب ويهوى (٧) الحدابير جمع حدبار وهي المنحنية الظهر (والنى) الشحم
و (المتهمم) الذائب (٨) فى القاموس الفرى كغنى البناء الجيد ومنه الغريان بناء ان
مشهوران بالكوفة .

خالد عمرو بن مسعود ربي وربك فامسك عنهما ثم قال لهما ما يمنعكما من الدخول في طاعتي وان تدنوا مني كما دت تميم وربيعة فقالا أبيت اللعن هذه البلاد لا تلائم مواشينا ونحن مع هذا قريب منك بهذا الرمل فاداشت أجبناك فلم انهما لا يدخلان في حكمه فأوحى الى الساقى فسقاها سما فانصرفا من عنده بالسكر على خلاف ما كانا ينصرفان فلما كان في بعض الليال أحس حبيب بن خالد بالامر لما رأى من شدة سكرهما فنادى خالدا فلم يجبه فقام اليه فحركه فسقط بعض جسده وفعل بعمرو مثل ذلك فكان حاله كحاله وأصبح المندر نادماً على قتلها فغدا عليه حبيب بن خالد فقال أبيت اللعن أسعدك الاهل نديماك وخليلاك تتابعا في ساعة واحدة فقال له يا حبيب أعلى الموت تستعديني وهل ترى الا ابن ميت وأحاميت ثم أمر فحفر لهما قبران بظاهر الكوفة فدفنا فيهما وبني عليهما منارتين فهما الغريان وعقر على قبر كل خمسين فرسا وخمسين بعيرا وغراهما بدمائها وجعل يوم نادمهما يوم نعيم ويوم دفنهما يوم بؤس

ومن هذا الباب أيضاً ما حكاه الاصبهاني في الاغانى أن حسان بن ثابت لما مر بقبر ربيعة بن مكرم قال يعتذر لعدم عقر ناقته على قبره

لا يبعذن ربيعة بن مكرم وسقى الغواذى قبره بذنوب (١)
نقرت فلوصى من حجارة حرة بنيت على طلق اليدبن وهوب
لا تنفري ياناك منه فانه شريب خمر مسعر لحروب (٢)
لولا السفار ولعد قفر مهمه تركتها تحبوعلى عرقوب (٣)

(١) هذا الشعر نسبته أبو تمام في الحماسة لحفص بن الاحنف الكنانى وقد منا انما من تنسب له هذه الابيات أيضاً . و (الذنوب) الدلو العظيمة وقيل لا تسمى ذنوباً حتى يكون فيها ماء . وقد استعاره للغيث . وربما جعل الذنوب في الحظ والنصيب (٢) المسعر الذى كانه آلة فى أسعار الحرب (٣) المهمه المفازة . و (الحبوة) الزحف قبل القيام ويفعله البعير المعقول وهو يريد المشى و (العرقوب) من الدابة فى رجلها بمنزلة الركبة فى

فبلغ شعره بنى كنانة فقالوا والله لو عقرها لمقنا اليه الف ناقة سودا لحدق
ولا عبرة لقول ابن عبد ربه في العقد الفريد « كان يعقر على قبر ربيعة بن
مكدم في الجاهلية ولم يعقر على قبر أحد غيره » لما قدمناه ومنه يظهر ان العقر
من سنن الجاهلية وعاداتهم المستفيضة ولمشابهته القربان الذى يقدم للاصنام
نهى عليه الصلاة والسلام عنه بقوله لا عقر الاسلام ولتأصل هذه المادة من
نفوس العرب لم يجتنبها بعضهم في الاسلام وشاهده قول أبي عمر وهلال بن
العلاء الرقى (وعقر في الجاهلية على قبر ربيعة بن مكدم وفي الاسلام على قبر
المغيرة بن المهلب عقر عليه كعب بن أبي ثور، وقال زياد الاعجم يرثي المغيرة
ابن المهلب بن أبي صفرة

قل للقوافل والغزاة اذا غزوا والباكرين وللمجد الرائح (١)
ان السباحة والمروءة ضمنا قبرا يمترو على الطريق الواضح
فاذا مررت بقبره فاعقر به كوم الجلاد وكل طرف ساجح (٢)
وانضج جوانب قبره بدمائها فلقد يكون اذخادم وذبايح (٣)
يروى ان زياداً الاعجم أنشد المهلب هذه القصيدة فلما أتى على قوله
فاذا مررت بقبره فاعقر به كوم الجلاد وكل طرف ساجح
قال له مهلا عقرت عليه يا أبا امامة فرسك قال انى كنت على مقرف ولو
يديها وقوله (تحبو على عرقوب) كناية عن الذبح لان العرب كانوا
يضربون ساق الناقة قبل ذبحها قال أبو طالب

ضروب بنصل السيف سوق سمانها اذا عدموا زادوا فالك عاقر
(١) روى أبو الحسن والغزى اذا غزوا و (القوافل) جمع قافلة وهي
الرفقة الراجعة من سفرها الى وطنها و (الغزاة) جمع غاز
(٢) عقر البعير اذا ضرب بالسيف قوائمه و (الكوم) بالضم جمع
كوما بالفتح والمد الناقة السمينة و (الجلاد) جمع جلدة وهي آدمم الابل
لبناء و (الطرف) بكسر الطاء الاصيل من الخيل و (ساجح) جار بقوة و يروى
كل طرف طامح (٣) النضج الرش القليل

كنت على عتيق (١) لفعلت فاستحسن قوله وقال لمن حضره من ولده ومواليه لينفذ كل واحد منكم الى زياد فرساً من خيله فانصرف بمدة افراس ومن ذلك قول الفرزدق يرثى بشر بن مروان ويزعم انه عقر فرسه على قبره من قصيدة أولها

أعني الا تسمداني ألكما وما بعد بشر من عزاء ولا صبر (٢)
وقل جداء عبرة تسفحانها على انها تشفى الحرارة في الصدر (٣)
ولو أن قوما قاتلوا الموت قبلما بشيء لقاتلت المنية عن بشر
الى أن قال في عقر فرسه

أقول لمحبوك السراة كأنه من الخيل مجنوب الاطافة والخصر (٤)
أغر صريحاً أبوه وأمه طويل أمرته الجياد على شرر (٥)
أصله عندي بعد بشر ولم تذق ذكورة قطاع الضريبة ذى أثر (٦)
غضبت ولم أملك لبشر بصارم على فـس عند الجنـازة والفـبر (٧)
حلفت له لا يتبع الخيل بعدها صحيح الشوى حتى تكوس من العقر (٨)
أست شحيحاً ان ركبتك دمدها ليوم رهان أر غدت مـى تجرى
وقال أبو عبيدة دعوى المرزدق أنه عقر فرسه على بشر بن مروان كذب
(وكانوا) يطعمون ما يعقر لانقرءـ والمساكين
وقد أحسن بعض المحدثين في هذا المعنى فقال

(١) المقرف من الفرس وغيره من أمه عربية لا أبوه والفرس (العتيق) الكريم
(٢) أسعده الله أعانه (٣) الجداء الثواب (٤) محبوك
السراة قوى الظهر (٥) الصريح فرس عبد غوث بن حرب وآخر لبنى نهشل وآخر للخم (وأمـرته) قتلته (و) الشدر (قتل الحبل عن اليسار) والمعنى ان آبائه أورثته القوة (٦) المذكر من السيوف ذو الماء (و) الضريبة حد السيف و (الاثـر) فرند السيف وهو ما يرى فيه شبه غبار أو مدب نمل
(٧) الجنـازة الميت (٨) الشوى اليدان والرجلان والاطراف (كاس) البعير مشى على ثلاث قوائم وهو معرّب

أيها الناعميان من تنعيمان وعلى من أراكما تبكيان
 اندبا الماجد الكريم أبا اسحق — اقرب المعروف والاحسان
 واذهباني ان لم يكن لك ماعة — ر الى جنب قبره فاعقراني
 وانضحا من دمي عليه فقد كان دمي من نداء لو تعلمان

العقر للضيافة نيابة عن الميت — كما كانوا يعقرون الابل والخليل عند نزول
 الموت أشعارا بأن أنفس أموالهم هانت عليهم لعظم المصيبة كانوا يعقرون
 عند القبر اذا صروا به نيابة عن الميت في قرى الضيفان قال التبريزي في شرح
 الحماسة عند قول حسان بن ثابت

لولا السفار وبعد قعر مهمه لتركتهما تحبو على عرقوب
 كانت العادة في العرب ان الواحد اذا اجتاز بقبر كريم كان مأوى
 للضياف ينحدر راحلته ويطعمها للناس اذا أعوز الزاد ولم يتسع يفعل ذلك
 نيابة عنه الا أن يمنع مانع من بعد سفر أو ما يجري مجراه فصار هذا
 يعتذر من ابقائه على راحلته وقال في شرح قول حرير يرثي قيس بن ضرار
 ابن القعقاع

وحقّ لقيس أن يباح له الحمى وأن تعقر الوجناء أن خف زادها
 كان الواحد منهم اذا سر بقبر رئيس وهو في صحبة أحب أن ينوب عن
 المقبور في الضيافة واذا لم يساعده من الطعام ما يدعو الداس اليه عقر ناقته
 اكراما لذلك قال : وان تعقر الوجناء ان خف زادها — ثم قال وذكر النمرى ما
 يشبه هذا ورد عليه أبو محمد الاعرابي فقال ان قوله وان تعقر الوجناء ان خف
 زادها مثل قول سعيد بن العاص بن أمية يرثي هشام بن المعيرة

ألا هلاك المأمول وهو نجيب ومن هو زاد الركب حين يؤوب
 فان لم يكن زاد فان قصاره من المفربات صعبة وركوب
 ومن العقر على القبر للقرى ما ذكره المبرد في الكامل عن لهدم مكاتب لبني
 منقر حين ظلع بمكاتبته فأثى قبر غالب فاستجار به وأخذ منه حصيات فشدن
 في عصامته ثم أتى الفرزدق فأنشده

بقبر ابن ليلي غالب عذت بعد ما خشيت الردى او ان أرد على قسر
 بقبر اسرى تقرى المثين عظامه ولم يك الا غالباً ميت يقرى
 فقال لى استقدم أمامك انما فكاك ان تلقى الفرزدق بالمصر
 قال المبرد يريد بقوله تقرى المثين عظامه انهم كانوا ينحرون الابل عند
 قبور عظمائهم فيطعمون الناس فى الحياة وبعد الممات وهذا معروف فى أشعارهم
اتخاذ البلية - وقد كان من مذهبهم فى الجاهلية اتخاذ البلية وهى ناقة
 تعقل عند قبر صاحبها اذا مات حتى تموت جوعاً وعطشاً

وذكر البلية مطرود بن كعب الخزاعى من قصيدة يرثى بها المطلب وبني
 عبد مناف. جميعاً حين أتاه نعى نوفل بن عبد مناف فى قوله
 ياعين فابكى أبا الشعث الشجيات يبيكينه حسراً مثل البليات (١)
 يبيكين أكرم من يمشى على قدم يعولنه بدموع بعد عبرات
 وقد بين مذهبهم فى ذلك ابن أبى الحديد فقال «والبلية انهم اذا مات منهم كريم
 بلوا ناقة أو بعيره فمكسوا عنقها وأداروا رأسها الى مؤخرها وتركوها فى
 حفيرة لا تطعم ولا نسقى حتى تموت وربما أحرقت بعد موتها وربما سلخت
 وملئ جلدها ثاماً وكانوا يزعمون أن من مات ولم يبل عليه حشر ماشياً ومن
 كانت له بلية حشر راكباً على بليته ، وقد ذكر القلقشندى فى صبح
 الاعشى «أن العرب كانت تشد نقة الميت الى قبره ويقبلون رأسها الى ورائها
 ويغطون رأسها بولية وهى البرذعة فاذا أملت لم ترد عن ماء ولا مرعى .
 ويرعمون أنهم اذا فعلوا ذلك حشرت معه فى المعاد ليركبها » . وقد قال أبو زيد
 فى تشبيه رجال بالبلايا

كالبلايا رءوسها فى الولايا مائحات السموم خرو الخدود

والولايا البراذع وكانوا يقورون البرذعة ويدخلونها فى عنق تلك الماقة
 وقال الشهرستانى كانوا يربطون الماقة معكوسة الرأس الى مؤخرها مما يلى
 ظهرها أو مما يلى كلكها أو بطنها ويأخذون بولية فيشدون وسطها ويقلدون
 البليات جمع بلية

عنق الناقة ويتركونها كذلك حتى تموت عند القبر .

ولا يتخذ البلية من لا يؤمن بالبعث . وقال حريبة بن الاشيم الفقمسى
يوصى ابنه بالبلية .

ياسعد أما اهلكن فانى أوصيك ان أذا الوصاة الاقرب
لا تتركن أباك يسعى خلفهم تبعاً يخرج على اليمين وينكب (١)
واحمل أباك على بعير صالح يوم القيامة ان ذلك أصوب (٢)
ولعل لى مما جمعت مطية فى الحشر أركبها اذا قيل اركبوا
وقال عويمر النههاني يوصى ابنه أيضا

أبنى لا تنس البلية انها لا ييك يوم نشوره مركوب
وقال عمرو بن زيد المتمنى يوصى ابنه عند موته بالبلية .

أبنى زودنى اذا فارقتنى فى القبر راحلة رحل قاتر (٣)
للبعث أركبها اذا قيل اظعنوا (٤) مستوثقين معا لحشر الحاشر
من لا يوافيه على عثراته فالخلق بين مدفع أو عاث
وقال أبوالملاء المعرى فى رسالة الغفران (وقد كانوا فى الجاهلية يكسمون
ناقة الميت على قبره ويزعمون انه اذا نهض لحشره وحدها قد بعثت له فيركبها
فليتة لا يهض بثقله منكبها وهيهات بل حشروا عراة خفاة)
قولهم للميت لا بعد — كان من عادتهم الدعاء للميت بقولهم لا تعد
وقد كثرت أشعارهم فى هذا . قال أعشى بأهله من قصيدة فى رثاء المنتشر بن
وهب الباهلى

(١) فى رواية . لا أعرفن أباك يحشر خلفكم . وفى رواية الخطائى

لا تتركن أباك يحشر مرة عدوا يخرج على اليمين وينكب

(٢) رواية . وتق الخطيئة انه هو أصوب (٣) القاتر من الرجال أو

السروج الجيد الوقوع على الظهر أو اللطيف منها الذى يبقى الظهر ولا يعقره

(٤) رواية للبعث أركبها اذا قيل اركبوا

فأذهب فلا يبعدنك الله منتشر اما سلكت سبيلا كنت سالكها (١)
 وقالت أم عمرو ترى ربيعة أخاها
 فأذهب فلا يبعدنك الله من رجل لاقى التى كل حى مثلها لاقى
 وقالت الخنساء من رثاء ل أخيها
 اذهب فلا يبعدنك الله من رجل دراك ضيم وطلاب بأوتار
 وقال السموءل

يالىت شعري حين أذنب هالكا ماذا يؤبىنى به أنواحى
 أيقلىن لا تبعد فرب كرية فرجتها ييسارة وسماح
 وقال مخارق بن شهاب أحد بنى خزاعى بن مالك بن عمرو بن تميم
 كم شامت بى ان هلكت وقائل لا يبعد مخارق بن شهاب
 المشتري حسن الثناء بماله والمالى الجففات للاصحاب
 وقد قصدوا بقاء الذكركما قصد الشنفرى فى قوله وقد قطع يده من أسره
 لا تبعدى اما ذهبت شامة فرب واد تفرت حمامه
 ورب قرن فصلت عظامه

وقال عبد القادر البغدادى فى حزانة الادب ولب لباب لسان العرب عند
 قول الخرنق بنت هفان من قصيدة رثت بها زوجها بشر بن عمرو بن مرثد
 الضبى وابنها علقمة بن بشر وأخويه حسان وشر حبيل ومن قتل معه من
 قومه فى يوم قلاب

لا يبعدن قومي الدين هم سم العداة وآفة الجزر (٢)

(١) يقال بعد بعدا من باب فرح فرحا اذا هلك (٢) السم سینه
 مثلثة و(العداء) جمع عادٍ و(الآفة) العلة و(الجزر) بضم فسكون
 جمع جزور والاصل بضمين كرسول ورسول فسكن الثانى تخفيفا والجزور هى
 الناقة التى تنحر فان كانت من الغنم فهى جزرة بفتحيتين - وصفتهم (أولا)
 بالشجاعة والنجدة وانهم يقتلون أعداءهم كما يقتلهم السم و(ثانيا) بالكرم
 ونحر الابل للاضياف فكانهم آفة للابل تصيبها فتهلكها

النازليين بكل معترك والطيبون معاقد الازر (١)
 وقال ابن السيد في شرح أبيات الجمل فان قيل كيف دعت لقومها بالآ
 يهلكوا وهم قد هلكوا فالجواب ان العرب قد جرت عاداتهم باستعمال
 هذه اللفظة في الدعاء للميت ولهم في ذلك غرضان (احدهما) انهم يريدون به
 استعظام موت الرجل الجليل . وكأهم لا يصدقون موته وقد بين هذا المعنى
 زهير بن أبي سلمى بقوله

يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم وكيف بحصن والجبال جنوح
 ولم تلفظ الموتى القبور ولم تزل نجوم السماء والاديم صحيح
 يريد انهم يقولون مات حصن ثم يستمظمون أن ينطقوا بذلك ويقولون كيف
 يجوز أن يموت والجبال لم تنسف والنجوم لم تنكدر والقبور لم تخرج موتاها
 وجرم العالم صحيح لم يحدث فيه حادثو (الفرض الثاني) انهم يريدون الدعاء
 له بأن يبقى ذكره ولا يذهب لان بقاء ذكر الانسان بعد موته بمنزلة حياته
 ألا ترى الى قول الشاعر

فامنوا علينا لا أبأ لايبكم بافعالنا ان الثناء هو الخلد

وقال آخر يرثي يزيد بن يزيد الشيباني

فان تك أفنته الليالي فأوشكت فان له دكرا سيفنى اللياليا
 وقد بين مالك بن الريب المزني ما في هذا المعنى من المحال فقال من قصيدة
 يقولون لا تبعد وهم يدفنوني وأين مكان البعد الا مكانيا
 هذا ومن لم يجد في هذا المعنى غناء الضرار السلمي فقال
 وكتيبة فرجتها بكتيبة حتى اذا التبتست نفصت بها يدي

(١) تعنى بقولها (النازليين بكل معترك) انهم يزلون عن الخيل عند ضيق
 المعترك فيقاتلون على أقدامهم وفي ذلك الوقت يتداعون نزال وتعنى بقولها
 (والطيبون معاقد الازر) انهم اعفاء في فروجهم لان العرب تكنى بالشيء
 عما يحويه أو يشتمل عليه و (المعاقد) اما جمع معقد بكسر القاف وهو موضع
 العقد واما جمع معقد بفتح القاف وهو مصدر ميمي قال اللخمي (المعاقد) الحجز

ما كان ينفعنى مقال نسائم وقتلت دون رجالهم لا تبعد (١)
ومثله قول الشاعر

يقولون لا تبعدومن يك مسدلا على وجهه سترمن الارض يبعد
وقال قراد بن غوية بن سلمى بن ربيعة بن زبان

ألا ليت شعري ما يقولن مخارق اذا جابو الهام المصيح هامتي (٢)
وذليت في زوراء يسى ترابها على طويلا في ذراها اقامتي (٣)
وقالوا ألا لا تبعدن اختياله وصولته اذا القروم تسامت (٤)
وما البعد الا أن يكون مغيباً عن الناس منى نجدتي وقسامتي (٥)

معتقداتهم الدينية

نبدأ هذا الفصل باعتقادهم في الله تعالى فنقول : قد آمن به أصحاب
الاديان السماوية من العرب كما آمن به عدة الاوثان منهم وانما حجوا للاصنام
وقربوا لها القرابين ونذروا لها المدور رعباً منهم أنها تشفع لهم عند الله فقالوا
ما بعدهم الا ليقربونا الى الله زلفى . فال آمالى ولئن سألتهم من خلق السموات

والحجرة هى حيث بنى ثرف الازار فى لوث الازار أى طيه و(الازر) جمع
ازار وسكن تخفيفاً والاصل صمها والازار عند العرب ماستر النصف الاسفل
من الانسان والرداء ماستر النصف الاعلى منه والعرب لا تكاد تلبس الا
الازر . ولبس السراويل عندهم نادر . يروى ان اعرابياً مرّ بسر اويل ملقاة
فظنها قبيحاً فادخل يديه فى ساقبيها وأدخل رأسه فلم يجد منفذاً . فقال ما أظن
هذا الا من مص الشياطين (١) فى روايه : وقتلت بين (٢) معنى البيت جابو
صداه صدام على عادتهم فيما كانوا يقولون أن عظام الموتى تصير اصداء وهاماً
(٣) أى أرسلت فى حفرة معوجه يعنى اللحد و(يسى ترابها) أى
أى يهال ترابها على (٤) اختياله أدلاله وتجبره و(القروم) الفحول ويريد
بنسامت القروم تنازلت (٥) القسامة الحسن ويروى مكانها بسالتى
أى نجدتي وشجاعتي

والارض ليقولن الله . فكان كفرهم بخضوعهم لها الخضوع التام واحترامهم اياها أعظم الاحترام لان الله خص نفسه بغايه التعظيم ولم يرض الوساطة بينه وبين عباده لانه قريب يجب دعوة الداع اذا دعاه وهو أقرب اليه من حبل الوريد ومن العرب من انكر وجود الله . وحكى الشهرستاني مذهبهم فقال : (وصنف منهم أنكروا الخالق والبعث والاعادة وقالوا بالطبع المحيي والدمر الممهي وهم الذين اخبر عنهم القرآن المجيد وقالوا ماهي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر . اشارة الى الطبائع المحسوسة وقصر الحياة والموت على تركها وتحللها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون فاستدل عليهم بضرورات فكرية وآيات قرآنية فطرية في كم آية وكم سورة فقال تعالى : أولم يتفكروا ما يصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض . وقال أولم ينظروا الى ما خلق الله . وقال يأيتها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم فثبتت الدلالة الضرورية من الخلق على الخالق فانه قادر على الكمال ابداء واعادة)

الانبياء والرسل الكرام - قد آمن كل أهل دين سماوى بالانبياء والمرسلين الذين ذكرهم نبيهم أو أخبر عنهم كتبهم اما الدهريون الذين أنكروا الخالق فأنكروا الانبياء والمرسلين كما أنكرهم عباد الاصنام وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق الى قوله ان تتبعون الا رجلا مسحورا قال الشهرستاني (وكان انكارهم لبعث الرسول في الصورة البشرية أشد واصرارهم على ذلك أبلغ وأخبر عنهم التنزيل وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا أبشر يهدوننا فمن كان يعترف بالملائكة كان يريد أن يأتي ملك من السماء وقالوا لولا أنزل عليه ملك . ومن كان لا يعترف بهم كان يقول الشفيع والوسيلة منا الى الله تعالى هم الانصاب المنصوبة اما الاثمر والشريعة من الله اليها فهو المنكر فيعبدون الاصنام التي هي الوسائل)

البعث والحساب - اختلف اعتقاد العرب في البعث اختلافا كثيرا فكثر عباد الاصنام الذين تقربوا لله بعبادتها أنكروا بعث الاجساد مع اقرارهم بالخلق وابتداء الخلق والابداع - فقالوا (أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون) وقال تعالى فيهم (وضرب لما مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم - وقد استدلل الله تعالى عليهم بالنشأة الاولى لاعترافهم بها فقال (قل يحييها الذى انشأها أول مرة) وقال (أفعيينا بالخلق الاول بل هم فى لبس من خلق جديد) ومن أشعارهم الدالة على اسكار البعث قول بعضهم حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يأأم عمرو وقال شنداد بن الاسود الليثي يرثى قتلى بدر من المشركين ويتهم بما أنزل على سيدنا محمد

ألا من مبلغ الرحمن عني بأنى تارك شهر الصيام
إذا ما الرأس زایل منكبیه فقد شبع الانيس من الطعام
أيوعدنا ابن كبشة أن سنحيا وكيف حياة اصداء وهام (١)
أترك ان ترد الموت عني وتحيني اذا بليت عظامي

ومنه من كان يؤمن بالله واليوم الآخر وعرض الاعمال يومئذ للحساب بقية فيهم من الاديان السماوية وقال أعشى قيس فى ذلك

فما أيدى إلى على هيكلك بنائه وصلب فيه وصار (٢)
يرواح من صلوات الملب لك طور اسجودا و طور اجوارا (٣)
بأعظم منك تقى فى الحساب اذا النسمات تفضن القبارا (٤)
وقال حاتم الطائي فى البعث واستثنائه تعالى بعلم الغيب

اما والذى لا يعلم الغيب غيره ويحيى العظام البيض وهى رميم

(١) يريد بابن كبشة سيدنا محمد رسول الله (٢) الايبلى الراهب و(الهيكلك) بيت النصرى فيه صورة مريم وديرهم و(صلب) اتخذ صليبا (٣) الجوار رفع الصوت بالدعاء (٤) النسمة الانسان جمعه نسمات

لقد كنت أطوى البطن والزاد يشتهي
وقال حاتم أيضا

واني وإن طال الثواء لميت ويعظمنى ماوى بيت مستقف (١)
و نى لجزى بما أنا كاسب وكل امرئ كسب بما هو متلف
وقال قس بن ساعدة الأيادي فى البعث وكان ممن يمتقد التوحيد
يا باكي الموت والاموات فى جدث عليهم من بقايا بزعم خرق
دعهم فان لهم يوماً يصاح بهم كما ينبه من نوماته الصنع
حتى يجيئوا بحال غير حالهم خلق مضى ثم هذا بعده خلقوا
منهم عراة وموتى فى ثيابهم منها الجديد ومنها الأزرق الخلق
وهو القائل فى وصية له : كلا ورب السمكة ليمودن ما بادلن ذهب
ليمودن يوماً . وقال زيد بن عمرو بن نفيل .

فلن تكون لنفسى منك واقية يوم الحساب اذا ما يجمع البشر
وقال علان بن شهاب التميمي

وعلمت أن الله جاز عبده يوم الحساب بأحسن الاعمال

ومن المؤمنين بالبعث عبد الله بن تغلب بن وبرة وعبد المطلب بن هاشم وكان
يقول : انه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه الى أن هلك رجل
ظلوم حتف أنفه لم تصبه عقوبة فقليل له فى ذلك ففكر ثم قال والله ان وراء
هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن باحسانه والمسيء يعاقب بأساءته . ومنهم
عامر بن الظرب المدوانى حكيم العرب القائل من وصية له : انى مارأيت شيئاً
قط خلق نفسه ولا رأيت موضوعاً الا مصنوعاً ولا جائياً الا ذاهباً ولو كان
يميت الناس الداء لاحياهم الدواء . ثم قال انى أرى أموراً شتى وحتى قيل له
وما حتى . قال : حتى يرجع الميت حياً ويعود ما ليس بشئ شيئاً ولذلك خلقت
السموات والارض فتولوا عنه ذاهبين فقال : ويل أمها نصيحة لو كاذم يقبلها
كتابة الاعمال — اعتقد بعضهم بكتابة الاعمال فى هذه الدار وعرضها

(١) يعظمنى من عظمه عظمة ضرب عظامه وفى رواية : يضطمنى

يوم البعث . فهذا زهير بن أبى سلمى كان يمر بالمضاه وقد أوردت بعد ما يبست
فيقول (لولا أن يسبى العرب لآمنت بان الذى أحيا الارض بعد يسها
سيحيى العظام وهى رميم) أى لاعلت هذا المعتقد ثم جهر به فقال :

فلا تكتمن الله ما فى نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم
ومعنى البيتين ان الله لا تخفى عليه خافية فلا تضمروا الغدر فيرقه الله
فى كتاب ويؤخر العقاب ليوم الحساب او يعجله فى الدنيا فينتقم من
الغادر .

الايان بالقدر - كانت العرب فى الجاهلية تعتقد ان الله قدر جميع الممكنات
من خير أو شر قبل خلقها . قال الحسن البصرى لم يرل أهل الجاهلية يذكرون
القدر فى خطبهم وأشعارهم . وجاء الاسلام فزاد هذه العقيدة تأكيداً . وعن
سميد بن أبى عروبة قال : سألت قتادة عن القدر . فقال رأى العرب تريدأم
رأى العجم : فقلت رأى العرب . قال فانه لم يكن أحد من العرب الا وهو
يثبت وأنشد

ما كان قطعى هول كل تنوفة الا كتاباً قد خلا مسطورا
ومن الايمان بالقدر قول لبيد بن ربيعة العاصرى فى معلقته
فاقنع بما قسم المليك فانما قسم الخلائق بيننا علامها
وقال الباقعة :

وليس امرؤ نائلا من هوا شيئا اذا هو لم يكتب
خالق أفعال الانسان - اختلف المتكلمون فى الموجد لأفعال الانسان
الاختيارية فقالت المعتزلة خلقها الانسان وحده وقالت الجبرية بل خلقها الله
وهذا الاختلاف مسبوق بالخلاف فيها عند العرب فى الجاهلية . وتوسط أهل
السنة فقالوا بوجود الجزء الاختيارى للانسان فى أفعاله

وحكى الخشنى أبو عبد الله محمد بن عبد السلام خلافهم فى الجاهلية فقال :
شاعران من نحول الجاهلية ذهب احدهما فى شعره مذهب المدلية والآخر مذهب

الجبرية فالذى ذهب مذهب العدلية أعشى بكر حيث يقول
استأثر الله بالوفاء وبالعد ل وولى الملامة الرجال
والذى ذهب مذهب الجبرية لبيد بن ربيعة العامري حيث يقول
ان تقوى ربنا خير نفل وبأذن الله ريث وعجل (١)
من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل
وذكر صاحب الاغانى أن أعشى بكر أخذ مذهبه من أساقفة نجران وكان
يعود فى كل سنة الى عبد المدان فيمدحهم ويقيم عندهم يشرب الخمر معهم
وينادهم . ويسمع من أساقفة نجران قولهم فكل شئ فى شعره من هذا
فهم أخذوه

التناسخ - هو وصول روح اذا فارق البدن الى جنين قابل للروح
وافترق القائلون به على فرقتين (الاولى) تجيز انتقال الروح لجسد ولو لم يكن
من نوع الجسد الذى فارقت اذ ليس انتقالها الى نوعها أولى من انتقالها الى
غير نوعها والتناسخ عندهم على سبيل العقاب والثواب فالفاسق تنتقل روحه

(١) المنفل محركة الغنيمة والهبة و (الريث) الابطاء كالريث

قال السيد « ان كان لا طريق الى نسبة الجبر الى مذهب لبيد الا هذان
البيتان فليس فيهما دلالة على ذلك واما قوله . وبأذن الله ريثى والمجل .
فيحتمل ان يريد باذنه علمه كما يتأول عليه قوله تعالى « وما هم بضارين به من
أحد الا بأذن الله » أى بعلمه وان قيل فى هذه الآية انه أراد بتخليته وتمكينه .
وان كان لا شاهد لذلك فى اللغة أمكن مثله فى قول لبيد . وأما قوله من
هداه سبل الخير فيحتمل أن يكون مصروفا الى بعض الوجوه التى يتأول
عليها الضلال والهدى المذكوران فى القرآن مما يليق بالعدل ولا يقتضى الاجبار
الله الا أن يكون مذهب لبيد فى الاجبار معروفا بغير هذه الايات فلا
تأول له هذا التأويل بل يحمل مراده على موافقة المعروف من مذهبه «
زاد بعضهم بين بيتي لبيد قوله

أحمد الله فلان له يديه الخير ما شاء فعل

الى أجساد البهائم المسخرة للأعمال الشاقة أو المصعدة للذبح أو المرتطمة في
الاقذار و (الثانية) تمنع انتقال الروح لجسد يغير نوع الجسد الذى فارقت
لان النوع الذى أوجب لها طبعها الاشراف عليه والتعلق به لا يجوز ان
تتعلق بغيره والتناسخ مذهب قديم قال به أهل الهند والعرب فى الجاهلية
قال ابن أبى الحديد : وكان من العرب من يعتقد التناسخ وتنقل الارواح
فى الاجساد ومن هؤلاء أرباب الهامة (١)

وقد منا آتفا عند قولهم للجنابة كنت فى أهلك ما أنت مرتين عن ابن
حجر انهم كانوا لا يؤمنون بالبعث بل كانوا يعتقدون ان الروح اذا خرجت
تصير طيرا فان كان ذلك من أهل الخير كان روحه من صالح الطير والا فبالعكس
ولقد خالف بعض المسلمين الاجماع فأجاز انتقال الروح لجسد من نوع
الجسد الذى فارقت أو من غير نوعه ومن هؤلاء احمد بن حابط و احمد بن
ناوس تلميذه وأبو مسلم الخراسانى ومحمد بن زكريا الرازى الطيب وهو قول
القرامطة وأكثر جماعة الشيعة وقال رجل من النصيرية

اعجبي ' امنا لصرف الليالى جعلت اختنا سكيئة فاره

فازجرى هذه السنابير عنها وأتركها وما تضم الفراهِ

المسخ - تحويل الصورة الى صورة هى دونها قال الجاحظ قلت لعبيد

الكلابى وكان مشغولا بالابل أبينكم وبين الابل قرابة قال نعم خؤوله فقلت
مسحك الله بعيرا فقال ان الله لا يمسح انسانا على صورة كرم بل لثيم . وينكر
المسخ أكثر الدهرية وأهل الكتاب لم يقرأوا به غير أنهم أجمعوا على أن الله
جمل امرأة لوط حجرا والمسلمون على جوازه لامكانه ووقوعه قال تمالى (فلما

(١) قال الشهرستانى فى الملل ومن العرب من يعتقد التناسخ فيقول اذا

مات الانسان أو قتل اجتمع دم الدماغ واجزاء بنيته فانتصب طيراهامة فيرجع
الى رأس القبر كل مائة سنة ولهذا أنكر الرسول عليهم فقال لا هامة ولا عدوى
ولا صفر) وانت خبير بأن هذا ليس من التناسخ الذى هو وصول الروح عند
مفارقة البدن لجسم جنين

عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) أما اعتقاد مسخ شيء معين فتوقف على ورود النص

وكانت العرب في الجاهلية تعتقد وقوع المسخ فزعموا أن عشارين مسخ أحدهما ضبعا والآخر دثباً وزعموا أن سهيلاً كان عشاراً وأن الزهرة كانت امرأة اسمها إناهيد فسحنا نجمين .

* أحكامهم الدينية *

لا يذكر في هذا الفصل الأحكام الدينية لليهود والنصارى من العرب ولكن نذكر بعض الأحكام الدينية لمشركيهم وهم الدهماء وتلك الأحكام إما من مجهود قرائنهم واستحسانهم ما حسنه عقلهم واستقباحهم ما قبحه أو بقية فيهم من شريعة إبراهيم وإسماعيل فإن الخيفية لم تطمس جميع أحكامها بما دخل عليها من عبادة الأصنام والكواكب وغيرها فقد حرم كثير منهم الزنا لتحريم شريعة إبراهيم أيّاه أو لما فيه من ضرر الاغارة على الأعراض واختلاط الأنساب فمن هؤلاء عبد الله بن عبد المطلب والد نبيينا عليه الصلاة والسلام وهو القائل لما راودته فاطمة بنت مر الخثعمية عن نفسها

أما الحرام فالمعات ذونه والحل لاجل فأستبينه
فكيف بالأمر الذي تبغينه يحمي الكريم عرضه ودينه
ومنهم الاسلوم اليالى وهو القائل في تحريم الزنا والحرم .

سألت قومي بعد طول مضاضة والسلم أبقي في الامور وأعرف
وتركت شرب الراح وهى أميرة والمومسات وترك ذلك أشرف
وعففت عنه يا أيم تكرمأ وكذلك يفعل ذو الحجا المتعفف
ومنهم عنزة بنى عبس وهو القائل .

ماسمت أننى نفسها فى موطن حتى أوفى مهرها مولاه
أغشى فتاة الحى عند حليلها وإذا غزا فى الحيش لا أغشاها
واغض طرفى ان بدت لى جارتى حتى يوارى جارتى مأواها
وكانوا يرجون فى الزنا ويروى أبو هلال العسكري عند قولهم فى المثل

(احدى بنات طبق) ان امرأة قالت لزوجها فى سفر احمل لى هذا الكرز
 فحمله فلما توسط الثانية وحد بللا على عنقه فقذف به فخرج منه رجل يسمى
 فاستفتى لقمان بن عاد فى شأنها فقال تدفن حية فى كرزها قال أبو حاتم وأظن
 ان أصل رجم المحصنة من هذا وذكر القلقشندي ان أول من رجم فى الزنا
 فى الجاهلية ربيع بن حدان ثم جاء الاسلام بتقريره فى المحصن
 وحرّم كثير من أهل الرأى فيهم الحجر تكريما لانفسهم وصيانة لها عن
 معرة السكر او اتقاء لضرر الحجر وذكر ان أول من حرّمها الوليد بن المغيرة
 وقيل قيس بن عاصم السعدي وفيها يقول

لعمرك ان الحجر مادمت شارباً لسالبة مالى ومذهبة عقلى
 وتاركتى من الضعاف قواهم ومورثتى حرب الصديق بلا نبل
 وحرّمها صفوان بن أمية بن محرز الكنانى وقال وتروى لقيس بن عاصم
 رأيت الحجر صالحة وفيها خصال تفضح الرجل الكريما
 فلا والله أشربها حياتى ولا أشفى بها أبدا سقيا
 ولا أعطى بها ثمناً حياتى ولا أدعو لها أبدا نديما
 فان الحجر تفضح شاريها وتورثهم بها الامر العظيما
 اذا دبت حمياها تعلت طوالع تسفه الرجل الحلما
 ومنهم مقيس بن صبابة السهمى وذلك انه سكر مرة فجعل يخط بيوله

ويقول لعامة أو بعير فما أفاق أخبر بذلك فخرمها وقال

رأيت الحجر طيبة وفيها خصال كلها دس ذميم
 ولا والله أشربها حياتى طوال الدهر ما طلع النجوم

ومنهم الاسلم البالى وعبد المطلب بن هاشم جد النبي عليه السلام وعمه أبو طالب
 وجده قصي بن كلاب وهو القائل لبنيه اجتنبوا الحجر فانها تصلح الابدان
 وتفسد الازهار وورقة بن نوفل وشيبة بن ربيعة والوليد بن الوليد وعامر بن
 الظرب العدوانى وعبد الله بن جدعان وكاذم من أجواد قريش وساداتها وسبب
 تحريمه الحجر كما قال أبو الزناد انه شرب مع أمية بن أبى الصلت الثقفى فضربه

على عينه فأصبحت عين أمية مخضرة يخاف عليها الذهاب فقال له عبد الله
 ما بال عينك فسكت فألح عليه فقال له ألت ضاربها بالامس فقال أوبلغ منى
 الشراب ما أبلغ منه من جليسى هكذا ووداها ديتين عشرة آلاف درهم وقال
 الحمر على حرام لا أذوقها بعد اليوم أبدا وحرمها غفيف بن معديكرب
 السكندی عم الاشعث بن قيس وقال

وقائلة هلم الى التصابي فقلت عففت عما تعلمينا
 وودعت القداح وقد أراني بها في الدهر مشغوبا رهينا
 وحرمت الخمر على حتى أكون بقعر ملحود دفينا

وقال أيضا

فلا والله لا ألقي وشرباً أنازهم شراباً ما حميت
 أبى لى ذاك ابا كرام وأخوال بعزم ربيت
 ومن حرمها في الجاهلية وأدرك الاسلام أسد بن كرز وكان يدعي في
 الجاهلية رب بجيلة وسويد بن عدى بن عمرو بن سلسلة الطائي وهو القائل
 حين أدرك الاسلام

تركت الشعر واستبدلت منه اذا داعى منادى الصبح قاما
 كتاب الله ليس له شريك وودعت المدامة والندامى
 وحرمت الخمر وقد أراني بها سدكا وان كانت حراما

وأبو بكر الصديق وعبد الرحمن بن عوف والعباس بن مرداس وقد قيل
 له حين كبر لو أخذت من الشراب شيئا فانه يزيد في قوتك فقال لا أدخل
 رأسي شيئا يحول بيني وبين عقلى . وعثمان بن عفان وقيل له مامنعك من شرب
 الخمر في الجاهلية فقال انى رأيتها تذهب العقل جملة وما رأيت شيئا ذهب جملة
 ويعود جملة . وعدى بن هاشم وقد قيل له مالك لا تشرب الخمر فقال لا أشرب
 ما يشرب عقلى وقيل له مالك لا تشرب النبيذ فقال معاذ الله أصبح حكيم قويم
 وأمسى سفیههم

ومن بقايا دين ابراهيم فيهم احترام البيت وأعمال الحج والعمرة وحره

الاشهر الحرم والفسل من الجنابة وتفصيل الموتى وتكفينهم مما تقدم ذكره
ومن الاحكام الدينية التي ذكرتها مفصلة في كتابي « المرأة العربية في الجاهلية »
حرمة تزوج الامهات والبنات والعمات والخالات وحرمة الجمع بين الاختين
وأول من جمع بينهما أبو احيحة سعيد بن العاص جمع بين هند وصفية ابنتي
المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وحرمة قربان الحائض والاغتسال من
الحيض والظهار والايلاء والخلع وعدة الوفاة والطلاق والعدة منه وكونه ثلاثا
على التفرقة قال عبد الله بن عباس أول من طلق ثلاثا اسماعيل بن ابراهيم
بثلاث كرات وكانت العرب تفعل ذلك فيطلقها واحدة وهو أحق الناس بها
حتى اذا استوفى الثلاث انقطع السبيل عنها . ولقد حرموا السرقة وكانوا
يقطعون يد السارق اليمنى وكانت ملوك اليمن وملوك الحيرة تصلب الرجل اذا
قطع الطريق وقدروا الدية في النفس والجوارح وحكموا بأن الخنثى يتبع في
ميراثه المبال . وكان طريق الحكم عندهم يميناً أو منافرة الى حاكم يقطع بالبيات
أو جلاء وبرها ما يحل به الحق وتتصح به الدعوى وحاء ذلك في قول زهير
فان الحق مقطعه ثلاث يمين أو تقار أو حلاء

قال بعض الرواة لو أن زهيراً نظر الى رسالة عمر بن الخطاب الى أبي موسى
الاشعري ما زاد على ما قال وكانت اليمين على المدعى وأول من قال البيعة على
من ادعى واليمين على من أنكر قس بن ساعدة الايادي . وكانوا يقضون
بالقسامة وهي الايمان تقسم على أهل المحلة في شأن قتيل وجد في محلهم لم
يدر قاتله فيستحلف ولي الدم منهم خمسين رجلاً بالله ما قتلت وما علمت له قاتلاً
وأول قسامة في الجاهلية كانت بحكم أبي طالب وجاء الاسلام فأقر القسامة على
ما كانت عليه في الجاهلية . وكانوا يداومون على طهارات الفطرة العشر التي
ابتلى الله بها ابراهيم وهي خمس في الرأس المضمضة والاستنشاق وقص الشارب
وفرق الشعر والسواك وخمس في الجسد وهي الاستنجاء بالماء وتقليم الاظفار
وتنف الابط وحلق العانة والختان امثالاً لامر ربه . فلما جاء الاسلام أقرها
سنة من سنن الدين ولنيسط الكلام على الختان فنبقول

الختان - هو في العرب سنة للنساء والرجال وأول امرأه أختنت هاجر أم
 إسماعيل وأول رجل أختن إبراهيم امتثالا لامر ربه ولقد حافظت الحرب
 على سنة الختان حتى أن العربي ليخشي أن يوسم بأنه أغرل (١) وشاهده ما حكاه
 ابن هشام في غزوة حنين من أنه لما احتحر القتل من ثقيف في بني مالك فقتل
 منهم سبعون رجلا منهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة وقتل معه غلام نصراني له
 أغرل فبينما رجل من الانصار يسلب قتلى ثقيف اذ كشف العبد يسلبه فوجده
 أغرل فصاح بأعلى صوته يامعشر العرب يعلم الله ان ثقيفا غرل قال المفيرة بن
 شعبة فأخذت بيده وخشيت أن تذهب عنا في العرب فقلت لا تقل ذلك فذاك
 أبي وامي انما هو غلام لنا نصراني ومنه يعلم أن نصارى العرب كانوا لا يختنون
 ومن عاداتهم أن يختنوا الوليد رضيعا أو صبيا ويتخذون لذلك ولية يسمونها
 الاعذار وحكى أهل السير أن النبي ولد معمورا (٢) قال الجاحظ في الحيوان
 (والختان في العرب في الرجال والنساء من لدن إبراهيم وهاجر الى يومنا هذا
 ثم لم يولد صبى مختون قط أو في صورة مختون وناس يزعمون أن النبي وعيسى
 ابن مريم عليهما السلام ولدا مختونين والسبيل في مثل هذا الرجوع الى الرواية
 الصحيحة) وقد اختلف في ولادة نبينا مختونا على ثلاثة أقوال حكاه ابن القيم
 الجوزية في كتابه زاد المعاد (أولها) انه ولد مختونا مسرورا (٣) وقد روى
 في ذلك حديث لا يصح ذكره أبو الفرج ابن الجوزي في الموضوعات وليس فيه
 حديث ثابت وليس هذا من خواصه فان كثيرا من الناس يولد مختونا والناس
 يقولون لمن ولد كذلك ختنه القمر وهذا من خرافاتهم (٤) (ثانيها) انه ختن

(١) الاغرل كاللافأف ذو الفرلة أو القلفة وهى الجلدة التى تقطع فى الختان
 (٢) معمورا أى مختونا يقال عذر الضبى واعذر اذا ختن (٣) مسرورا أى
 مقطوع السرة (٤) كانت العرب فى الجاهلية تزعم أن الغلام الذى يولد فى
 القمره يختنه القمر وذلك لان غرلته تنقلص فيصير كالختن قال ابن أبى الحديد
 » ويجوز عندنا أن يكون ذلك من خواص القمر كما أن من خواصه ابلاء
 السكتان واثنتان اللعنة وقد روى عنى على بن أبى طالب اذا رأيت الغلام طويل

يوم شق قلبه الملائكة عند ظمئه حليلة (ثالثها) ان جده عبد المطلب ختنه يوم سابعه، وصنع له مأدبة وسماه محمداً . قال أبو عمرو ابن عبد البر: وفي هذا الباب حديث غريب مسند الى ابن عباس ومن رجاله سند يجهل بن ثيوب القائل قد طلبت هذا الحديث فلم أجده عند أحد من أهل الحديث ممن لقيته للاعتد ابن أبي السرى وقد صنف كمال الدين بن طلحة مصنفاً في انه ولد مخبوناً وأجلب فيه من الاحاديث التي لا زمام لها فنقضه عليه كمال الدين بن العديم وبين فيه انه ختن على عادة العرب وكان عموم هذه السنة للمغرب مغنياً عن قتل معين فيها

﴿ الدين الفتشي ﴾

يقال له دين الوثن وذى الروح . لان أهله اعتقدوا أن لكل مادة روحاً تحتل الجسم أو تتصل به ولها سلطان على الاجسام الاخرى حتى أن عبيد غانة كانوا اذا خرجوا لسفر أقسموا أمام أول كائن يبصرونه انهم يخصونه بأنواع العبادة اذا وفقوا في سفرتهم فعبدوا لذلك الاشجار واغصانها وجذورها وقشورها والجلد والعظم والريش والنايب والمخلب والحافر والسن والظفر والحجر وأنواع الحيوان وآلات الحرب والشمس والقمر وغير ذلك لا اعتبارهم أن لها قوة مؤثرة وقدموا لها القرابين باعتبار الروح التي تتصل بها أو تحتلها واتخذوها تيممة تقيمهم عوادي الايام وتدفع عنهم الخطوب . وهذه ديانة كل الامم المتوحشة ويسمى الافرنج هذا الدين فتش fetichisme وأصلها في اللغة

الغرة فأقرب به من السؤد واذا رأيت قصير الغرة كأنما ختنه القمر فأبعد به . وأنت خبير انه يولد في القمراء كثيرون ومتقاص الغرة منهم أقل من القليل وكان يصح دعوى جوار الخاصة للقمر لو كان من يولد في القمراء كلهم أو جلهم متقاص الغرة . ولما خاطبهم على رضى الله عنه بحسب ما يمتقدون قال امرؤ القيس لقيصر وقد وجده أقلف حين دخل معه الحمام .

انى جلفت يمينا غير كاذبة . لانت أغلف الاماجنى القمرا

البرتغالية: felico بمعنى السحر لان الملاحين البرتغاليين سموها السحرة من الزنوج . ثم توسعوا فيها فأطلقوها على هذا الدين . ولقد كان اكبار بعض الناس للحكماء الاولين أن اتخذوا لهم الصور والتماثيل اعترافاً بفضلهم فيما بدلوا من الارشاد والتهذيب فاتخذ المتأخرون لجهلهم تلك الصور والتماثيل زلفى يعبدونها لتقربهم الى الله ثم آل الامر ببعضهم أن اتخذ تلك الاصنام آلهة خصوصاً بأنواع العبادة كما دعتهم أوهاهم الى ذلك

ولشيوع هذا النوع من العبادة في أمم عديدة عبدت الملوك العادلون والمُباد والشجعان والقواد والسحماء الاجواد ممن بلغ في صفة غاية الكمال ثم زادوا فيه توسعاً فعبد كل قوم صنما استحسنوه على صورة انبأ أو كوكب، أو حيوان أو معدن أو نبات ثم توسعوا في ذلك حتى اختص بعضهم بصنم يعبد في خلوته دون ذويه وعشيرته

ومعبودات هذا الدين لا تحصر فإن من لوازم النفوس البحث عن موحد فتصوروه النافع أو الضار من النبات أو المعدن أو الحيوان أو السكواكب وافترقوا في عبادة ذلك النافع أو الضار بحسب اختلاف النظر الى فرق شتى . فمنهم عباد الثيران وعباد الشعابين . وعباد الفيلة وعباد القطط وعباد الثوم وعباد شجر الزيتون وعباد الخرنوب وعباد الشمس أو القمر وعباد التماثيل ، وعباد الانسان أو جزء منه أو غير ذلك حتى عبدوا الارواح كالملائكة والشياطين ، واعتنق هذا الدين كثير من العرب من قديم الزمان ولم تدل دولة هذا الدين وغيره من الاديان حتى أشبرق على العرب . نور الاسلام فتبددت بأشعته حجب الاوهام

﴿ عبادة الانسان والحيوان والشجر والملائكة والجن ﴾

من العرب عباد الحيوان أو عبدة الملائكة أو الجن أو الشجر لمعنى تلحظه في المعبود من النفع أو الضرر . فن عبادة الحيوان عبادتهم للجمل وشاهدنا ما ذكره السهيلي في قدوم وفد طي على رسول الله قال : خرج نفر من طي .

يريدون النبي عليه السلام بالمدينة وفودا ومعهم زيد الخيل ووزر بن سروس
النبهاني وقبيصة بن الاسود بن عامر بن جوين الجرمي وهو النصراني ومالك
ابن عبد الله بن خيرى بن افلت بن سلسلة وقعين بن خليف الظريفي رجل
من جديلة ثم من بني بولان فعملوا رواحلهم بفناء للمسجد ودخلوا فجلسوا
قزيبا من النبي صلى الله عليه وسلم حيث يسمعون صوته فلما نظر النبي صلى الله
عليه وسلم اليهم قال اني خير لكم من العزى ولاتها ومن الجمل الاسود
الذي تعبدونه من دون الله ومما حازت منا (١) من كل ضار غير نفاع ،
وتقل هذا الخبر الاصفهاني في الاغانى . ومن ذلك ما كان من عمرو بن حبيب
الموصوف بذي الكيود أى كثير الكيد فانه أغار على بني بكر فأصاب
سقباً (٢) كانوا يعبدونه من دون الله فأراد اغاظتهم فحجره وأكله وفي ذلك
يقول احمد البدوي الشنجيطي عند ذكر محاب وهو أبو قبيلة

وأسب حبيهم وذا الكيود آكل سقب بكر المعبود

عادة الانسان -- كانوا يعظمون الامراء والرؤساء تعظيم العبادة . وليس
أدل على ذلك من الحج اليهم وتعظيم أمائهم وآثارهم وقد حجت العرب
عصابة الزبرقان بن بدر قال السهيلي « وكان الزبرقان يرفع له بيت من عمام
وثياب وينضح بالزعفران والطيب وكانت بنو تميم تحج ذلك البيت وقد أشار
الزبرقان لذلك بقوله من قصيدة :

بما ترى الناس تأتينا سرائهم من كل أرض هوياء ثم نصطنع (٣)

فتمحرك الكوم عبطا في أرومتنا للنارلين اذا ما انزلوا شعبوا

قال البغدادي في خزنة الادب (وقال أبو محمد الاسود الاعرابي ان بني سعد
ابن زيد مناة كانوا يحجون عصابة الزبرقان اذا استهلوا رجبا في الجاهلية اجلالا
له واعظاما لقدره وذكر ذلك ربيعة بن سعد النمري يمدح الزبرقان بقوله
كانت تحج بنو سعد عصابته اذا استهلوا علي أنصابه رجبا

(١) قال أبو المنذر يعني بمناع الجبل طي (٢) السقب ولد الناقة أو ساعة
ولد أو خاص بالذكر (٣) وفي رواية . من كل أرض هوياء ثم يتبع

سب يزغفره سعد ويعبد في الجاهلية ينتابونه عسبا
والعصابة ما يصب به الرأس « فأنت ترى الشاعر قد صرح بأن هذا
التمظيم نوع من العبادة في قوله ويعبد في الجاهلية . ولقد هجا الزبرقان بن
بدر المخبل السعدى فقال

ألم تعلمى يا أم عمرة انى تخاطأنى ريب الزمان لا كبرا (١)
وأشهد من عوف حلولا كثيرة يحجون سب الزبرقان المرعفا (٢)

والزبرقان هو حصين بن بدر لقب به لحسن وجهه لان الزبرقان من أسماء
القمر أو لانه كان يزبرق عمامته في الحرب أى يصفرها . وكان الزبرقان في وفد
تميم الدين وفدوا على رسول الله فنادوه من وراء الحجرات وقد أسلم وولاه
رسول الله صدقات قومه فأداها في الردة الى أبى بكر فأقره ثم الى عمر وذكر
الكوكبى انه وفد على عبد الملك وقاد اليه خمسة وعشرين فرسا ونسب كل
فرس الى آبائه وأمهاته وحلف على كل فرس منها يمينا غير التى حلف بها
على غيرها فقال عبد الملك : عجبى من اختلاف إيمانه أشد من عجبى بمعرفته
بأنساب الخيل

عبادتهم الملائكة والجن — شاهدا ما ذكره الشهرستاني في كتابه

(١) تخاطأنى بمعنى تخاطبى وفاتنى و(ريب الزمان) حوادثه و (كبر) فى
السن من باب فرح . يعنى انه كره أن يعيش ويعمر حتى يرى الزبرقان من
الجلالة والمظمة بحيث يحج بنو سعد عصابته (٢) قال البغدادى فى خزائن
الادب قال أبو محمد الاسود (واشهد) بالنصب عطف على لا كبرا و(عوف)
أبو قبيلة وهو عوف بن كعب بن سعد و (الحلول) القوم النزول من حل
بالمكان اذا نزل فيه و(يحجون) يقصدون قال ابن دريد فى الجهرة الحج
القصد وأنشد هذا البيت و (السب) بكسر السين المهملة العمامة وكانت
سادات العرب تصبغ العمامم بالزعفران وقال بعض الناس ان الشاعر قصد
بهذا البيت معنى قبيحا وكفى بهذا اللفظ عنه . ويدفعه قوله يزورون فإن
الزيارة لا تستعمل فى هذا الا أن يدعى التهم

الملل والنحل : ان من العرب من يصبوا الى الملائكة فيعبدونهم ومنهم من يعبد الجن ويعتقدون فيهم انهم بنات الله . وقال أبو المنذر « وكانت بنو مليح من خزاعة يعبدون الجن وفيهم نزلت ان الذين تدعون من دون الله عبادةً أمثالكم ، وفي شعب الايمان عن مجاهد قال قال كفار قريش الملائكة بنات الله . فقال لهم أبو بكر الصديق فن أمهاتهم قالوا بنات سراة الجن . ولقد رد الله عليهم بقوله « الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون » الى أن قال « وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ولقد علمت الجنة انهم لمحضون سبحانه الله عما يصفون »

وقد اعتقد بعض الغرب في أشخاص من الملائكة والارواح التدبير لاهل الارض فيما دون الامور العظام من اصلاح حال العابد في نفسه وولده وماله وشبهوهم بحال الشفعاء والندماء . وبعضهم اعتقد أن الله جل جلاله يكنسب من الملائكة علما ليس عنده قياسا على الملوك بالنسبة للجواسيس . واعتقد العرب أيضا ان الجن يعلمون الغيب . وانهم قادرون على ايذاء الالسان فكانوا يستعيذون بهم اذا ركبوا المفاوز يزعمون انهم اذا استعاذوا بهم دفعوا عنهم كل مكروه حتى قال بعضهم وقد استعاذ بالجنى عظيم الوادي فأكل السمع ولده

قد استعذنا بعظيم الوادي من شر ما فيه من الاعادي

فلم يجرنا من هزبر عادي

ونسبوا أكثر الامراض الى الجن وداووها بالتقرب اليها واذا اشترى أحدهم داراً أو استخرج عينا ذبح للجن ذبيحة لتسعد الدار ولا تنضب العين وأمثال هذه المعتقدات كانت مدعاة لعبادتهم وعن عبد الله بن مسعود في رواية أن نفراً من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم الجنيون والانس كانوا يعبدونهم ولا يشعرون فأنزل الله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا : ولقد رد الله أيضا على من عبد الملائكة من العرب بقوله

« ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء أياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون عبادتهم للأشجار - حكي عبادتهم لها ابن هشام في السيرة عند الكلام

على غزوة حنين عن الحارث بن مالك . قال « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية . فسرنا معه إلى حنين وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط (١) يعظمونها ويأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوماً . فرأينا ونحن نسير مع رسول الله سدرة خضراء عظيمة فتنادينا من حنات الطريق يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر قلت والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا الهاً كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون انها السنن تركبن سنن من كان قبلكم » وفيها يقول الشاعر

لنا الميمن يكفيننا أعادينا كما رفضنا إليه ذات أنواط

هذا وعبدت العرب العزى وهي كما قال السهيلي « نخلات مجتمعة وكان عمرو بن لحي قد أخرجهم أن الرب يشقى بالطائف عند اللات ويصيف بالعزى فعظموها وبوا لها بيتاً وكانوا يهدون إليه كما يهدون إلى الكعبة »

ومما فعله عمر بن الخطاب مخافة عبادة الشجر قطعه للشجرة التي حصلت تحتها بيعة الرضوان عام الحديبية سنة ست للهجرة فعن نافع قال (كان الناس يأتون الشجرة التي بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها بيعة الرضوان فيصلون عندها فبلغ ذلك عمر فأوعدهم فيها وأمر بها فقطعت . فعل عمر ذلك قطعاً لشأمة الوثنية خشية الفتنة بها وعادة غير الله تعالى . ولعمر في هذا الباب مواقف مجيدة منها انه عند ما دخل مسجد بيت المقدس استدعى كعب الاحبار فلما أتى به قال له أين ترى أن نجعل المصلى فقال إلى الصخرة فقال

(١) ناطه نوطا علقه والانواط المعاليق سميت بذلك لانهم كانوا يعلقون

بها أسلحتهم

ضاهيت والله اليهودية يا كعب وقد رأيتك وخلعتك نعليك فقال أحببت أن أباشره بقدمي فقال قد رأيتك بل نجعل قبلته صدره كما جعل رسول الله قبلة مساجدنا صدورنا فاذهب إليك فانا لم نؤمر بالصخرة ولكننا أمرنا بالكعبة. ومنها قوله للحجر الاسود لولا اني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك ولقد أعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع

✽ الوثنية في العرب ✽

أول من سجد للأصنام الصابئون . وكانوا كالجوس يسجدون في مبدأ أمرهم للأجرام السماوية ولما رأوا الشمس تختفي ليلا وسائر الكواكب نهراً وأرادوا التمكن من عبادتها في كل حين مثلوا لها صورا عبدوها ولذلك كانت أوثان القدماء المشهورة هي المشتري وزحل والمريخ وعطارد وأرطاميس ويونون والزهرة ثم زعموا أن لنفوس الاموات العظماء مدداً الهياً به كانوا عظماء في الحياة فمثلوا لهم صورا عبدوها واتخذوهم شفعاء عند الله وأول من فعل ذلك نينوس بن نمرود بن نوح ملك الاشوريين باني مدينة نينوى فانه صبح لانيه تمثالا سنة ٢٠٥٩ قبل الميلاد وحمل الناس على عبادته وذلك مبدأ عبادة الملوك والامراء والشجعان

وتاريخ دخول الوثنية في بلاد العرب قديم جداً وأول من أدخلها الى مكة وما جاورها عمرو بن لحي سيد خزاعة . وذلك أن جرهما كانوا قد طفوا في الحرم وظلموا واستحلوا منه أمورا عظاما . فارسل الله اليهم خزاعة حين أجلاهم سيل العرم من بلادهم فطردوا جرهما منه وقتلوا من قتلوا منهم فشنى ذلك صدور أهل الحرم وفرحوا بانتصار خزاعة على جرهم . وربما ظنوا أن الله قد أرسلهم اليهم ليخلص أهل حرمة من جورهم وكان رئيس خزاعة عمرو بن لحي فتولى سدانة البيت . ودانت له العرب واتخذوه رباً لا يبتدع لهم بدعة الا اتخذوها شرعة . وكان فوق ذلك قد ملكهم بأحسانه فربما نحر في الموسم عشرة آلاف بدنة وكسى عشرة آلاف حلة . وكان يطعم الخبيج السويق فدعاهم لعبادة الاوثان وكانت نفوسهم مستعدة لعبادتها بما كانوا يعظمونه

من حجارة الحرم فأجابوه حكى أبو المنذر عن أبيه وغيره قال « ان اسماعيل ابن ابراهيم صلى الله عليهما وسلم لما سكن مكة وولد له بها أولاد كثير حتى ملؤا مكة ونفوا من كان فيها من العماليق فضافت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات وأخرج بعضهم بعضا فتفسحوا في البلاد والتماس المعاش وكان الذي سلخ بهم الى عبادة الاوثان والحجارة انه كان لا يظمن من مكة ظاعن الا أحتمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصباية بمكة خيما حلوا وضموه وطاقوا به كطوافهم بالكعبة تيمنا منهم بها وحبا لها وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتصرون على ارض أبيهم ابراهيم واسماعيل . ثم سلخ ذلك بهم الى أن عبدوا ما استحبوا ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره فمبدوا الاوثان (١) وصاروا الى ما كانت عليه الامم من قبلهم وانتجنوا (٢) ما كان يعبد قوم نوح منها على ارض ما بقى فيهم من ذكرها وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم واسماعيل يتنسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على عرفة ومزدلفة واهداء البدن والاهلال بالحج والعمرة مع ادخالهم فيه مالم يس منه . فكان أول من غير دين اسماعيل عليه السلام فنصب الاوثان وسبب السائبة ووصل الوصيلة وبحر البحيرة وحى الحامية عمرو بن ربيعة . وهو لحي ابن حارثة بن عمرو بن عاصم الازدي وهو أبو خزاعة . وكان الحارث هو الذي يسلى أسر الكعبة فلما بلغ عمرو بن لحي نازعه في الولاية وقاتل جُرحهما بيني اسماعيل فظفر بهم واجلاهم عن الكعبة وتفاهم من بلاد مكة وتولى حجابة

(١) لهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتسوية القبور وطمس التماثيل ولعن المتخذين على القبور المساجد والسرَج ونهى عن الصلاة الى القبور وسأل ربه ألا يجعل قبره وثنا يعبد ونهى أمته أن يتخذوا قبره عيدا وقال اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد حتى لا تخلف الخلوفا بعد الخلوفا وتنسى ما كان عليه السلف وتتخذ ما تصنع دينا ففسدا للذريعة نهى عن ذلك (٢) انتجنوا استغفروا

البيت . ثم انه مرض مرضاً شديداً فقليل له ان باللقاء من الشام حمة (١) ان أتيتها برأت فأتاها فاستحم بها فبرأ ووجد أهلها يعبدون الاصنام . فقال ماهذه فقالوا نستسقي بها المطر ونستنصر بها على العدو فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة (٢) « فانت ترى ان الوثنية كانت فيهم قبل عمرو بن لحي بما عبدوه من حجارة الحرم في أسفارهم وانما عمرو بن لحي هو أول من وضع لهم أنواع عبادتها وبين لهم ضروب التقرب اليها من اتخاذ البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي وغير ذلك . وأول من نقل الاصنام الى الحرم ونصبها حول الكعبة وحمل أهلها على عبادتها ولولاه ما رسخت فيهم أقدامها ولذلك قال عليه الصلاة والسلام قد عرفت أول من سيب السائبة ونصب النصب عمرو بن لحي رأيت يوذى أهل النار بريح قصبه (٣) وقال سحنة بن خلف الجرهمي في اتخاذ عمرو بن لحي للاصنام

يا عمرو انك قد أحدثت آلهة شتى بمكة حول البيت انصابا
وكان للبيت رب واحد أبداً فقد جعلت له في الناس أربابا
لتمرغن بأن الله في مهل سيصطفى دونكم للبيت حجابا
ونظم ذلك أحمد البدوي الشميطي في كتابه عمود النسب فقال
قمة قيل جد عمرو بن لحي ذى القصب في حديث أفضل لوى
أول من حمل أكياس الحرم لكفره على عبادة الصنم
وأدخل اللذين أخرجهما أذاحدثنا فسحنا أهلها (٤)

(١) الحمة بفتح الحاء والميم المشددة المفتوحة كل عين فيها ماء حار ينبع يستشفى بها الاعلاء (٢) حكى أبو المنذر أيضاً أن عمرو بن لحي كان كاهنا وكان له رثى من الجن يكنى أبا ثمامه فقال له عجل بالسير والظمن من تهامة بالسمد والسلامة . قال جبر ولا أقامه قال . انت ضف جدة تجد فيها أصناما معدة . فأوردها تهامة ولا تهب ثم أدع العرب لعبادتها تجب . فأتى شط جده فاستشارها ثم حملها حتى ورد تهامة وحضر الحج فدعا العرب الى عبادتها قاطبة (٣) القصب بالضم المعى جمعه أقصاب (٤) انظر الكلام على أساف صفحة ١٣٣

وصلبا على الصفا ليتعظ عن الزنا بمكة كل يقظ
ملك أربعين الفا فسمّل عن شكرها عيون عشرين جمل (١)
وكاد يعبد فكل ما أمر به من المختلقات يعتبر
كالبحر والوصل وكالتسيب وكالحماية وكل ريب

الى أن قال بعد تفصيل في البحيرة والوصيلة والسائبة والحامى

والعرب قبل متدينونا بملة الخليل يعملونا

وهو أبو خزاعة واكنم شبهه به النبي منهم (٣)

وقد نص الشهرستاني في الملل أن عمرو بن لحي وضع الاصنام في البيت في
أول ملك سابور ذي الاكتاف وتاريخ دخول الوثنية في الحرم يرجع لتولى
عمرو بن لحي الحرم حين نزوحه مع خزاعة وتغلبه على جرهم عام سيل العرم .
وقد اختلفوا في وقت حدوث ذلك السيل قال حمزة الاصفهاني انه حدث قبل
الاسلام باربعمائة سنة أى في القرن الثالث للميلاد . وقال ابن خلدون أن السد
تهدم في أيام حسان بن تبان أسعد أى في القرن الخامس للميلاد وذكر
ياقوت انه وقع في ملك حبشان ولعلها حسان حرفها النساخ بحبشان فيوافق ابن
خلدون أو المراد بحبشان الاحباش وقد كان ملكهم على اليمن في القرن السادس
(١) في الروض الانف : وذكر أبو الوليد الازرق في أخبار مكة أن عمرو
ابن لحي فقاً أعين عشرين بعيراً وكانوا يفقّون عين الفحل اذا بلغت الابل الفا
فاذا بلغت الفين فقّوا العين الاخرى قال الراجز

وكان شكر القوم عند المنى كى الصحيحات وفق الاعين

(٢) حكى ابن اسحاق في سيرته أن أبا هريرة قال سمعت رسول الله
يقول لا كنتم بن الجون الخزاعي يا أكنم رأيت عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف
يجر قصبه في الدار . فما رأيت رجلاً أشبهه برجل منك به ولا بك منه . فقال
أكنم عسى أن يضرنى . شبهه يارسول الله . قال لا انك مؤمن وهو كافر . انه
كان أول من غير دين اسماعيل فنصب الاوثان وبحر البحيرة وسبب السائبة
ووصل الوصيلة وحى الحامى .

وكانت الوثنية في عاد قوم هود وكانت ديارهم بالدو والدهناء وعالج ويبرين ووبار الى عمان وفي نمود قوم صالح وكانت منازلهم بين الشام والحجاز في الحجر وقرح وهي وادي القرى وفي دولة حمورابي وهي الدولة البابلية الاولى من سنة ٢٤٦٠ ق م الى ٨١ ق م وفي أثناء هذه الدولة بعث لهم ابراهيم الخليل وقد حكى الله قصة تكسيره الاوثان في قوله « وتالله لا يكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فخلهمم جذاذا الا كبيرا لهم لعلمهم اليه يرجعون » الى آخر الآيات ومعبودات البابليين على ما ذكره جرجي زيدان في كتابه العرب قبل الاسلام كثيرة الشبه في أسمائها وأسماء الذين ينتسبون اليها باقدم الهة العرب في اليمن وغيرها مثل ايل وبل وشمس واشتار وسين وسمدان ونسر ويشع وذكر ايضا أن العرب القحطانيين والعدنانيين يشتركون في عبادة الاصنام الا أن آلهة القحطانيين أهل اليمن أقرب الى معبودات البابليين فعندهم عشتار وايل وبل وغيرها أما العرب الاسماعيليون أو العدنانيون سكان شمال جزيرة العرب فيشتركون في عبادات تختلف عن تلك كاللات والعزى ومناة وهبل وغيرها وكانت الوثنية في مدين قوم شعيب وكانت منازلهم تجاور أرض معان من أطراف الشام مما يلي الحجاز وكانت الوثنية دين ملوك الحيرة قبل أن يتنسروا ودين أهل اليمن قبل أن يدخل تبع الآخر اليهودية فيهم

﴿ أصنام العرب وبيوت عبادتها ﴾

قال السهيلي يقال لكل صنم من حجر أو غيره صنم ولا يقال وثن الا لما كان من غير الصخر كالبحاس وغيره وقال أبو المنذر المعمول من خشب أو ذهب أو فضة صورة انسان فهو صنم واذا كان من حجارة فهو وثن وقال غيره الوثن كل ماله جثة معمولا من جواهر الارض أو من الخشب أو الحجارة كصورة الأدمى تعمل وتنصب فتعبد والصنم الصورة بلا جثة ومن العلماء من لم يفرق بينهما وقال اذا كان ما يعبدونه حجرا على غير صورة فهو نصب وان كان تمثالا سمي صنما ووثنا ويقال لبيت الاصنام الذي يتخذ ويزين الزونة.

وللبيت الذي فيه أصنام وتساوير البد وكان للعرب أصنام عدة ويوت
 للعبادة يعظمونها ويجمعون لها سدة وحجابا ويهدون لها كما يهدون للكعبة
 ويطوفون بها كطوافهم بها وينحرون عندها وهم يعرفون فضل الكعبة عليها
 لانهم يعلمون انها من بناء ابراهيم الخليل عليه السلام . ولذا ذكر ماعثنا عليه
 من ذلك مرتبا على حروف المعجم فنأتى بكل ما جاء منها بكتاب الاصنام لابي
 المنذر هشام بن محمد السائب بن بشر الشهير بأبن الكلبي وما لم يذكر منها فيه
 ننبه عليه وقد نلوه الى مأخذه ونكتفى فيما ذكره احمد بن فارس الشدياق
 في كتابه الساق على الساق فيما هو الفاريق بقولنا عن احمد فارس وفيما ذكره
 ابن سيده في المخصص بقولنا عن المخصص وفيما ذكره السيد مرتضى في تاج
 العروس شرح القاموس بقولنا عن تاج العروس فنقول :

آر - صنم عبدة العرب في الجاهلية (عن تاج العروس)

اساف ونائلة - صنمان عبدهما العرب وكانوا ينحرون ويدبحون عندهما .
 حكى ابن المنذر عن أبي صالح عن ابن عباس « ان اساف بن يعلى رجل من
 جرهم كان يتمشق نائلة بنت زيد من جرهم (١) في أرض اليمن فاقبلا حاجين
 فدخلتا الكعبة فوجدتا غفلة من الناس وخلوة في البيت ففجر بها في البيت
 ففسخا فأصبحوا فوجدوهما مسخين فأخرجوهما فوضعهما موضعهما ليتعظ
 الناس بهما فلما طال مكثهما وعبدت الاصنام عبدا معها وكان أحدهما يبلصق
 الكعبة والآخر في موضع زمزم فنقلت قريش الذي كان يبلصق الكعبة الى
 الآخر فعبدهما خزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب » وحكى ابن
 العربي عن ابن اسحاق « ان اسافا ونائلة بعد مسخهما وضع أحدهما على الصفا
 والآخر على المروة لينزجر الناس عن مثل ما ارتكبا فلم يزل الامر يدرس

(١) في سيرة ابن هشام اساف بن بغي ونائلة بنت ديك . وفي الملل

لشهرستاني اساف بن عمرو ونائلة بنت سهيل وفي الاغانى جزء ١٣ صفحة ١٠٥
 عن عثمان بن ساج عن أبي الزناد اساف بن سهيل ونائلة بنت عمرو بن ذئب
 وقال غيره نائلة بنت ذئب

ويتقدم حتى صار يتمسح بهما من وقف على الصفا والمروة فلما كان عمرو بن لحي أمر بعبادتهما وتمظيمهما والتمسح بهما . وقال : انهما كانا معبودين لمن قبلكم فلما كان قصي بن كلاب حولهما من الصفا والمروة فجعل أحدهما ملصقا بالكعبة وجعل الآخر في موضع زمزم وكان يطرح بينهما . أيهدى للكعبة . وكان يسمى ذلك الموضع الحطيم وكان ينحر عندهما ويذبح ولم تكن تدنو منهما امرأة طمئت وفي ذلك يقول بشر بن أبي حازم الاسدي
أسد خزيمة

عليه الطير ما يدنون منه مقامات العوارك من اساف فكان الطائف اذا طاف بالبيت يبدأ باساف ويستلمه فاذا فرغ من طوافه ختم بنائلة فاستلمها فكان كذلك حتى كسرها رسول الله مع الاصنام يوم فتح مكة « وفي عتبة باب السلام الخارجية أحد أبواب المسجد الحرام حجر عظيم يشبه درجة سلم غير منتظم تطؤه النعال يقول أهل مكة انه اساف ذلك الصنم
الاسحيم - صنم عبدته العرب (عن تاج العروس)
الاشهل - صنم وبه سمي عبد الاشهل أبو حي من العرب (عن تاج العروس)

الاقيصر - قال أبو المنذر هو صنم كان لقضاة ولحم وجذام وعاملة وغطفان وكان في مشارف الشام فكانوا يحجونه ويحلقون رؤوسهم عنده فكان كلما حلق رجل منهم رأسه التي مع كل شعرة قرّة من دقيق - والقرّة القبض - فكانت هوازن تنتابهم في ذلك الابان فان أدركه أحدهم قبل أن يلقي القرّة مع الشعر قال : أعطني فاني من هوازن ضارع وان فاته أخذ ذلك الشعر بما فيه من القمل والدقيق فخبزه وأكله « وفي الاقيصر يقول زهير بن أبي سلمى حلفت بأصاب الاقيصر جاهدا وما سحقت فيه المقادير والقمل
أوال - صنم لبكر وتغلب (عن تاج العروس)

باجر - بالحيم المفتوحة وربما كسرت صنم كان للزد ومن جاورهم من طيء وقضاة

البجة - صنم عبده العرب (عن تاج العروس)

لس - بيت لغطفان (انظر صفحة ٣٣)

بل - صنم كان لقوم الياس عليه السلام (عن احمد فارس)

البعيم - صنم (عن تاج العروس)

بلج - صنم (عن تاج العروس)

بوانة - صنم عبده . روى عن أم أيمن أنهم كانوا في الجاهلية يجعلون لهم عيداً عند بوانة وهو صنم تعبده قريش وتعظمه وتنسك أى تذبح له وتحلق عنده وتعكف عليه يوماً الى الليل في كل سنة فكان أبو طالب يحضر مع قومه ويكلم رسول الله أن يحضر ذلك العيد معه فيأبى ذلك . قالت حتى رأيت أبا طالب غضب عليه ورأيت عماته غضبن عليه أشد الغضب وجعلن يقلن انا نحاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا وما تريد يا محمد أن تحضر لقومك عيداً ولا تكثر لهم جماعاً فلم يرالوا به حتى ذهب معهم ثم رجع فزما مرعوباً فقلن ما دهاك فقال : انى أخشى أن يكون بى لم (جمع) لمة وهى المس من الشيطان فقلن ما كان الله ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما الذى رأيت قال انى كلما دنوت من صنم من تلك الاصنام التى عند ذلك الصنم الكبير الذى هو بوانة تمثل لى رجل أبيض يصيح بى وراءك يا محمد لا تمسه قالت أم أيمن فما عاد الى عيدهم حتى تنبأ صلى الله عليه وسلم وتلك احدى ارهاصاته تيم - صنم كانت تعبده بنو تميم في الجاهلية قال أبو عبيدة تيم كلها كانت في الجاهلية يقال لها عبد تيم (عن الاغانى)

الجبة - صنم كان يعبد في الجاهلية (عن تاج العروس)

جريش - كأمير صنم عبد في الجاهلية واليه نسب عبد جريش والد عبد قيس (عن تاج العروس)

الجلسد - صنم عبد في الجاهلية كما في المخصص لابن سيده قال الشاعر

فبات مجتأب شقارى كما يقرر من يمشى الى المجلسد (١)

(١) الشُقَارَى شقائق النعمان ويقرر أسرع مطأطأ رأسه

جهاز - صنم كان لهوازن (عن تاج العروس)
الدار - صنم سمي به عبد الدار بن قصي بن كلاب أبو بطن من العرب
 (عن تاج العروس)

دوار - قال البغدادي في خزانة الادب « دوار بالفتح صنم كانوا يدورون
 حوله أساييع كما يطفاف بالبيت الحرام قال امرؤ القيس

فمن لما سرب كان نعاجه عذارى دوار في ملاء مذيّل (١)
 يقول ان هذا القطيع من البقر يلوذ بمضه ببعض ويدور كما تدور
 العذارى حول دوار وهو نسك كانوا في الجاهلية يدورون حوله . وقال
 العسكري في التصحيف ويروى دوار بدال مضمومة ودوار بدال مفتوحة
 وواو مخففة (٢) وهو نسك كان لهم في الجاهلية يدور حوله « ويطلق الدوار
 على الطواف قال أبو المنذر « وكانت للعرب حجارة غير منصوبة يطوفون
 بها ويعترون عندها يسمونها الانصاب ويسمون الطواف بها الدوار وفي ذلك
 يقول عامر بن الطفيل وأتى غي بن أعصر يوماً وهم يطوفون بنصب لهم فرأى
 في فتياتهم جمالا وهن يطفن به فقال :

ألا ياليت اخوالى غنيا عليهم كلما أمسوا دوار

وقال في ذلك المتنقب العبدى لعمر بن هند

يطيف بنصبهم حجن صغار فقد كادت حواجبه تسيب (٣)
ذو الخلصة - بفتحات الخاء المعجمة واللام والصاد المهملة (٤) بيت لخثعم
 كان يدعى الكعبة اليمانية وكان فيه صنم يدعى الخلصة وقيل اسم البيت
 الخلصة واسم الصنم ذو الخلصة . وحكى المبرد ان موضع ذي الخلصة صار
 مسجدا جامعاً لبلدة يقال لها العبلات من أرض خثعم وقال أبو المنذر « ان ذا الخلصة

(١) السرب قطيع من غلباء أو بقر أو شاة أو نساء أو قطا و (الملاء)

بضم الميم جمع ملاءة وهى الملحفة و (المذيّل) السابغ (٢) فى القاموس
 الدوار ككتان ويضم صنم ويخفف (٣) حجن صبيان (٤) حكى فيه فتح أوله
 اسكان ثانيه أو ضمه أو ضمهما

كان مرهوبة يبيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج وكانت بتبالة بين مكة والمين مسيرة سبع ليال من مكة وكان سدنتها بنو امامة من باهلة بن أعصر وكانت أعظمها وتهدي لها خثعم وبجيلة وازد السراة ومن قاربهم من بطون العرب من هوزان ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة وفيها يقول خداس بن زهير العامري لعنث (١) بن وحشى فى عهد كان بينهم فغدر بهم

وذكرته بالله بينى وبينه وما بيننا من مدة (٢) لو تذكرنا

والمروءة البيضاء يوم تبالة ومحبة العمان حيث تنصرا

فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأسلمت العرب ووفدت عليه وفودها قدم عليه جرير بن عبد الله مسالما فقال له يا جرير ألا تكفينى ذا الخلصة فقال بلى فوجهه اليه فخرج حتى أتى بى أحسن من بجيلة فسار بهم اليه فقاتلته خثعم وناهلة دونه فقتل من سدنته من باهلة يومئذ مائة رجل وأكثرت القتل فى خثعم وقتل مائتين من بى جحافة بن عاصر بن خثعم فظفر بهم وهزمهم وهدم بنيان ذى الخلصة وأضرم فيه النار فاحترق ودوا الخلصة اليوم عتبة باب مسجد تبالة وبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تدهب الدنيا حتى تصطك أليات نساء دوس على ذى الخلصة يعبدونه كما كانوا يعبدونه» وكان يحج اليه ويهدى له روى العباس أحمد بن يحيى ثعلبان المنتشر بن وهب الباهلى خرج يريد حج ذى الخلصة ومعه غلثة من قومه وكان بنو نفيل بن عمرو بن كلاب أعداء له فلما رأوا مخرجه وعورته وما يطلبه به بنو الحارث ابن كعب وطريقه عليهم وكان من حج ذى الخلصة اهدى له هديا يتحرم به ممن إقبه فلم يكن مع المنتشر هدى فسار وانذر بنو نفيل بالمنتشر بى الحارث بن كعب وأراد قتالهم فأمنوه وكان قد أسر رجلا منهم يقال له هند بن اسماء ابن زبناع فسأله ان يهدى نفسه فأبطأ عليه فقطع أنمله ثم أبطأ فقطع منه أخرى وقد آمنه القوم ووضع سلاحه فقال أتؤمنون مقطعا والهى لا أو منه ثم قتل فرثاه أخوه لأمه اعشى باهلة بقصيدته التى يقول فى مطلعها

(١) خزانة الادب للبغدادى لعقبة (٢) رواية خزانة الادب من هذه

انى أتتني لسان لا أسر بها من علولا عجب منها ولا سخر (١)
الى أن قال

أصبت في حرم منا أحا ثقة هند بن أسماء لا يهني لك الظفر
خاطب قاتل المنتشر بقوله أصبت منا أحا ثقة في حرم وهو حرم ذى الخليفة
وروى البخارى بسنده عن جرير قال كان بيت في الجاهلية يقال له ذو
الخلصة والكعبة اليمانية والكعبة الشامية فقال لى النبي صلى الله عليه وسلم
ألا تريحنى من ذى الخليفة فنفرت في مائة وخمسين راكبا فكسرناه واستشكله
بعض المحدثين بان معناه كان يقال الكعبة اليمانية والشامية يعنون بالشامية
البيت الحرام فزيادة له سهو وباسقاطه يصح المعنى واجاب عنه السهيلي بان
الحديث في جامع البخارى بزيادة له كما في صحيح مسلم وليست له بمزيدة
سهموا اد المعنى كان يقال له أى يقال من أجله الكعبة الشامية للكعبة
وهو الكعبة اليمانية وله بمعنى من أجله لا تذكر كما قال ابن أبى ربيعة
وقير من آخر الليل قد لا ح له قالت العتاتان قوما

دو الشرى - صنم كان لبنى الحارث بن يشكر بن مبشر من الازد
ذو الكعبات - بيت كان لربيعة كانوا يطوفون به كما في تاج العروس
وكان بسنداد وفيه يقول أعشى بن قيس بن ثعلبة

بين الخورق والسدير وبارق والبيت ذى الشرفات من سنه اد
ذو الكفين - صنم كان لبنى منهم بن دوس فلما أساموا بعث النبي عليه
الصلاة والسلام الطفيل بن عمرو الدوسى فجعل يلقي النار في وجهه ويحرقه ويقول
يا ذا الكفين لست من عبادك ميلادنا أكبر من ميلادك

انى حشوت النار في فؤادك

الربة - اللات وكعبة كانت بنجران لمذحج وبنى الحارث بن كعب (عن
تاج العروس)

(١) اللسان الرسالة واراد بها نعى المنتشر و (سخر) بضم تين أى اتانى
رسالة من أعلى نجد لا أعجب منها وان كانت عظيمة لان مصائب الدنيا كثيرة

رضاء - بيت لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ولها يقول
المستوغر بن ربيعة بن كعب حين هدمها في الاسلام

ولقد شدت على رضاء شدة فتركها فقرا بقاع اسحما

وأعان عبد الله في مكروها وبمثل عبد الله أغشى المحرما

رثام - هو بيت كان بصنعاء لحجير وأهل اليمن يعظمونه وينجرون عنده

ويكلمون منه فيما يذكرون فلما انصرف تبع من مسيره الذي سار فيه الى
العراق قدم معه الخبران اللذان صحباه من المدينة فأمرأه بهدم رثام وقال
انما هو شيطان يفتنهم فخل بيننا وبينه قال شأنكما فنشر التوراة وجعلا
يقرأنها وهدماه قال ابن اسحاق فبقاياها اليوم كما ذكر لي بها آثار الدماء التي
كانت تهراق عليه

السجة - صنم كافي القاموس

سعد - قال أبو المنذر هو صنم كان لبني مالك وملك كان ابني كنانة ومكانه

بإساحل جدة وتلك الناحية وكان سعد صخرة طويلة فأقبل رجل من بني
ملككان بأبل له ليقفها عليه ابتغاء بركته فلما أدناها منه ورأته وكان يهراق
عليه الدماء نفرت منه فذهبت في كل وجه فغضب ربها فتناول حجرا فرماه
به وقال لا بارك الله فيك الها أنفرت على ابلي ثم خرج في طلبها حتى جمعها
ثم انصرف وهو يقول

اتينا الى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد فلا نحن من سعد

وهل سعد الا صخرة بتنوفة من الارض لا يدعولني ولا رشد

سعد - صنم أيضا كان لمذحج (عن احمد فارس)

سعد - صنم أيضا كانت تعبد هذيل (عن المخصص)

السعيدة - بيت بني بجبل أحد كانت تحجر ربيعة في الجاهلية (عن المخصص)

سعير - بصيغة التصغير صنم كان لعنزة قال أبو المنذر خرج جعفر بن أبي

خلاص السكابي على ناقته فر به وقد عترت عنزة عنده فنفرت ناقته منه

فأنشأ يقول

نقرت قلوصى من عتائر صرعت حول السعير يزوره ابنا يقْدُم (١)
 وجوع يذكر مهطعين جنا به ما ان يحير اليهم بتكلم
سواع - قال ابوالمنذر وكان أول من اتخذ تلك الاصنام من ولد اسماعيل
 وغيرهم وسموها باسمائها على ما بقى فيهم من ذكرها حين فارقوا دين اسماعيل
 هذيل بن مدركة (٢) اتخذوا سواعا وذلك ان عمرو بن لحي دفع للحارث
 ابن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر سواعا فكان لهم
 (١) يقدم ويذكر ابنا عنزة رأى الشاعر بى هؤلاء يطوفون حول السعير
 (٢) مقتضاه ان ودا وسواعا ويعوث ويعوق ونسرا هي غير ما عبده
 قوم نوح بل مطابقة لها في الاسم وفي المستطرف انها اصنام قوم نوح لقوله
 واما يعوث ويعوق ونسر . فقليل انهم كانوا اولاد آدم عليه السلام وكانوا
 اتقياء عبادا فمات أحدهم فحزنوا عليه حزنا شديدا فأرادوا أن يصوروا صورته
 لبدكروه اذا نظروه فصوروه من صفر ونحاس وجعلوه في مؤخر المسجد
 كراهة ان يكون في قبلته ثم مات آخر ففعلوا به ذلك الى أن ماتوا كلهم فصوروهم
 هناك وأقام من بعدهم على ذلك الى أن تركوا الدين وعبدوها الى أن بعث الله
 نوحا عليه السلام فنهاهم عن عبادتها . ولما عم الطوفان الارض طمها وعلا عليها
 التراب زمنا طويلا ثم أخرجها مشركو العرب فعبدوها . وذكر الواحدى
 في الوسيط ان هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام
 فسول الشيطان لقومهم بعد موتهم أن يصوروا صورهم ليكون أنشط لهم
 وأشوق للعبادة كلما رأوهم ففعلوا ثم نشأ بعدهم جهال بالاحوال فحسن لهم
 عبادتها فعبدوها ومقتضاه أن تكون هذه الاصنام تماثيل أنسانية لكن
 نقل الواقدي ان ودا كان على صورة رجل وسواعا على صورة امرأة ويعوث
 على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسرا على صورة نسر وهذا
 يصحح ما ذكره أبو المنذر وابن اسحق من أن الاصنام المذكورة ليست هي
 الاصنام التي عبدها قوم نوح وانما سميت باسمائها

بر' هاطِرٍ من أرض يَذْبُجُ يَبْدُهُ من يليه من مضر بن نزار وكانت سَدَنَتُهُ
بنى لحيان وكانوا يحجون اليه وينحرون عنده ويعكفون عليه وفي ذلك
يقول الشاعر

تراهم حول قبلتهم عكوا كما عكفت هذيل على سواع

تظل جبا به صرعى لديه عتائر من ذخائر كل راع

وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لهدمه عمرو بن العاص قال عمرو
فلما انتهيت اليه وعنده السادن فقال ما تريد فقلت أمرني رسول الله أن أهدمه
قال لا تقدر على ذلك قلت لم قال تمع فقلت ويحك وهل يسمع أو يبصر قال
فدنوت منه فكسرتة ثم قلت للسادن كيف رأيت قال أسلمت لله

الشارق - صنم كانت تعبده هذيل وبه سمى عبد الشارق (عن تاج العروس)

شمس - صنم قديم كان في الجاهلية وبه سمى عبد شمس وهو بطن من
قريش وأول من تسمى به سبأ بن يشجب (عن تاج العروس)

ضمار (١) - صنم عبده العباس بن مرداس ورهطه (سيرة ابن هشام)

الضينرن - صنم كان يعبد من دون الله في الجاهلية (عن المخصص)

الضيزنان - صنمان كانا للمنذر الاكبر كان اتخذهما بباب الحيرة ليسجد

لهما من دخل الحيرة امتحانا للطاعة (عن المخصص)

عائم - بالهمز صنم كان لازد السراة وأقسم زيد الخير به فقال

نخبر من لا قيت ان قد هزمتهم ولم تدر ما سيأثم لاوعائم

عبد مرحب - صنم كان بمحضر موت

عمععب - بالعين المهمة ويقال بالمعجمة صنم كانت قضاة تعبده (عن المخصص)

العزى - صنم عبده العرب واتخذ عليه بيت قال ابو المنذر (وهى

(١) قال السهيلي ضمار بكسر الراء مثل حذام ورقاش ولا يكون مثل

هذا البناء الا فى أسماء المؤنث وكانوا يجعلون آلهتهم اناثا كاللات والعزى ومناة

لاعتقادهم الخبيث فى الملائكة انها بنات

أحدث من اللات ومناة وذلك انى سمعت العرب سمت بهما قبل العزى
فوجدت تميم بن مر سمي ابنه زيد مناة بن تميم بن مر بن اد بن طابخة وعبدمناة
ابن اد وباسم اللات سمي ثعلبة بن عكابة ابنه تيم اللات وتيم اللات بن ربيعة
ابن ثور وزيد اللات بن ربيعة بن ثور بن وبرة بن مر بن أد بن طابخة وتيم
اللات بن النمر بن قاسط . وعبد العزى بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم
فهى أحدث من الاوليين . وعبد العزى بن كعب من أقدم ما سمت به العرب
وكان الذى اتخذ العزى ظالم بن أسعد (١) وكانت بواد من نخلة الشامية يقال
له حراض بازاء الغمير عن يمين المصعد الى العراق من مكة وذلك فوق ذات
عرق الى البستان بتسعة أميال فبنى عليها بيتا وكانوا يسمعون فيه الصوت
وكانت العرب وقريش تسمى بها وكانت أعظم الاصنام عند قريش وكانوا
يروونها ويتقربون عندها بالذبائح وكانت قريش قد حمت لها شعبا من وادى
حراض يقال له سقام يضاهون به حرم الكعبة فذاك قول ابى جندب الهذلى
فى حلف امرأة كان يهواها بها

لقد حلفت جهدا يمينا غليظة بفرع اتى أحمت فروع سقام
وكان لها منحرج ينحرون فيه هداياها يقال له الغنغب (٢) وفيه يقول
نهيكة الفزارى لعاصم بن الطفيل

يا عام لو قدرت عليك رماحنا والراقصات الى منى فالغنغب
وكانت قريش تخصها بالاعظام فلذلك يقول زيد بن عمرو بن نفيل وكان
قد تأله فى الجاهلية وترك عبادتها وعبادة غيرها من الاصنام
تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل الصبور
فلا العزى ادين ولا ابنتيها (٣) ولا صنمى بنى غنم أزور
ولا هبلا أزور وكان ربا لما فى الدهر اذ حلنى صغير

(١) ننقل عن ابن العربى عند الكلام على اللات ان اول من دعا لعبادة
العزى عمرو بن ربيعة والحارث بن كعب (٢) قال السهيلي الغنغب هو المنحرج
ومراق الدم كأنه سمي بحكاية صوت الدم عند انبعائه (٣) رواية ولا ابتغيها

وكان سدنة العزى بنو شيبان بن جابر بن مرة من بني سليم وكان آخر من سدنوها منهم ديبة بن حرمي السلمي . فلم تزل العزى كذلك حتى بعث الله نبيه فعابها وغيرها من الاصنام ونهاهم عن عبادتها ونزل القرآن فيها فاشتد ذلك على قريش ومرض أبو أحيحة مرضه الذي مات فيه فدخل عليه أبو لهب يعودده فوجده يبكي فقال ما يبكيك يا أبا أحيحة أمن الموت تبكي ولا بد منه قال لا ولكني أخاف ألا تعبد العزى بعدي قال أبو لهب والله ما عبدت حياتك لاجلك ولا تترك عبادتها بعدك لموتك فقال أبو أحيحة الآن علمت ان لي خليفة . وأعجبه شدة نصبه في عبادتها فلما كان يوم الفتح دعا النبي خالد بن الوليد فقال انطلق الى شجرة بيطن نخلة فاعضدها فانطلق فقتل ديبة سادنها (وذكر ابن هشام انها كانت بيتا يعظمه هذا الحى من قريش وكنانة ومضر فلما علم سادنها السلمي بمسير خالد اليها علق عليها سيفه وأسند في الجبل الذي هى فيه وهو يقول

اياز شدى شدة لا نوى بها (١) على خالد القى القناع وشمرى
فانك الا تقتلى اليوم خالدا فبؤئى بذل عاجلا وننصرى
فلما انتهى اليها خالد هدمها وقال بعضهم ان خالدا حمل على العزى وهو يقول

يا عز كفرانك لا سبحانك انى رأيت الله قد أهانك
ثم قتل ديبة السادن وقطع الشجرة وكان من سدنيتها أفلح بن النضر السلمي من بني سليم حكى سميد بن عمرو الهذلى ان أفلح سادنها لما حضرته الوفاة دخل عليه أبو لهب يعودده وهو حزبن فقال مالى أراك حزينا قال أخاف ان تضيع العزى بعدي فقال له لا تحزن فاني أقوم عليها بعدك . فجعل أبو لهب يقول لكل من لقي أن تظهر العزى كنت قد أخذت عندها يدا وان يظهر محمد على العزى وما أراه يظهر فابن أخى . فانزل الله تعالى (تبت يدا أبا لهب) وروى ابن العربي من حديث أبي الوليد ان سدنة العزى بنو شيبان بن سليم حلقاء (١) رواه خزائن الادب : عزى شدى شدة لا تكذبى .

بنى هاشم . وكانت قريش وبنو كنانة وخزاعة وجميع مضر تعظمها فاذا فرغوا من حجهم وطوافهم بالكعبة لم يحلوا حتى يأتوا العزى فيطوفون بها ويحلون عندها ويعكفون عندها يوما وقال أبو المذر (ولم تكن قريش بمكة ومن أقام بها من العرب يعظمون شيئا من الاصنام اعظامهم العزى ثم اللات ثم مناة فاما العزى فكانت تخصها دون غيرها بالزيارة والهدية وذلك فيما أظن لقربها منها . وكانت ثقيف تخص اللات كخاصة قريش العزى وكانت الاوس والخزرج تخص مناة كخاصة هؤلاء الآخرين وكلهم كان معظما للعزى ولم يكونوا يرون في الحصة الاصنام التي دفعها عمرو بن لحي وهي التي ذكرها الله تعالى في القرآن المجيد حيث قال (ولا تذرون ودا ولا سواعا ولا يغوث ولا يعوق وسرا) كرايمهم في هذه ولا قريبا من ذلك فظننت ان ذلك كان لبعدها منهم وكانت قريش تعظمها وكانت غنى وباهلة يعبدونها معهم » وروى ابن العري لسمده عن ابن عباس ان خالد بن الوليد بعد أن هدم العري رحع الى رسول الله . وقال الحمد لله الذي أكرمنا بك يا رسول الله وأقدنا من الهلكة لقد كنت أرى أبي يأتي العري بخير ماله من الابل والغنم فيذبحها للعزى ويقيم عندها ثلاثا ثم يمصرف اليها مسرورا فمظرت الى مامات أبي عليه والى ذلك رأى الذي كان يعيش في فضله حتى يذبح لما لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع . فقال رسول الله ان هذا الامر الى الله فمن يسره للهدى تيسر له ومن يسره للضلالة كان لها . وكان هدمها لخمس ليال بقين من رمضان سنة ثمان وجاء حسان بن ثابت الانصارى الى رسول الله وهو في المسجد فقال يا رسول الله ائذن لي أقول فاني لا أقول الا حقا فقال قل فانشأ يقول

شهدت باذن الله ان محمدا رسول الذي فوق السموات من عل

فقال النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أشهد فقال حسان

وان ابايحي ويحيي كليهما له عمل في دينه متقبل

فقال عليه الصلاة والسلام وأنا أشهد فقال حسان

وان الذى عادى اليهود ابن مريم رسول أتى من عند ذى العرش مرسل
فقال عليه الصلاة والسلام وأنا أشهد فقال حسان

وان أخا الاحقاف اذ يعذلونه يجاهد فى ذات الاله ويعدل

فقال عليه الصلاة والسلام وأنا أشهد فقال حسان

وان التى بالجزع من بطن نخلة ومن دانهافل عن الحق معزل (١)

فقال عايه الصلاة والسلام وأنا أشهد قال سفيان يعى العزى

عميانس (٢) — قال أبو المنذر وكان لخولان صنم يقال له (عميانس)

بارض خولان يقسمون له من أنعامهم وحرثهم قسما بذنه وبين الله تعالى بزعمهم
فادخل فى حق الله تعالى من حق عميانس ردوه عليه وما دخل فى حق الصنم
من حق الله الذى سموه له تركوه ووهم اليممرى فى عيون الاثر وابن هشام فى
سيرته فسمياه « عم انس » وقد تبعهما احمد البدوى الشنقيطى فى كتابه عمود
النسب فقال بعد ذكر خولان

أضاهم صنمهم عم أس كانوا اذا ما الغيث عنهم احتبس

توسلوا اليه بالذبائح فامطروا وأعظم القبائح

ان جعلوا له ولله نصيب من ما لهم وان تغيب النصيب

أعطى للصنم حظ الله وحظه لم يعط للاله

ومن حديث هذا الصنم أن النبی علیه السلام قال لخولان ما أعظم ما رأيتم
من فتنته قالوا له يا رسول الله لقد رأينا وقد استنمنا حتى أكلنا الرمة وهلك
ثاغيتنا وراغيتنا وحافرنا فقلنا قربوا لعميانس قرباناً يشفع لكم فنغنثوا فتنعونا
فجمعنا ما قدرنا عليه من عين مالاً ثم ذهب داهبنا فاباع مائة نور ثم حشرها
علينا فنحرنها فى غداة واحدة وتركناها للسباع ونحن أحوج اليها من
السباع فجاءنا الغيث من ساعتنا فأى فتنه أعظم من هذه فلقد رأينا الغيث
يوارى الرجال ويقول قائلنا أنعم علينا عميانس وسأبوه عليه السلام عما قسموا

(١) قال هشام الفل من الارض المجذبة التى لاخير فيها ولا ركة فشبهها بذلك

(٢) فى القاموس عميانس بالضم والياء المثناة تحت بعدها الف ونون صنم لخولان

له من ما لهم فذكر لهم ان الله أنزل عليه في ذلك « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله نزعمهم وهذا لشركائنا فاكان لشركائهم فلا يصل الى الله . وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون » وفي سيرة ابن هشام عن ابن اسحاق ان ذلك الصنم كان لبطن من خولان يقال لهم الاديم . عوص - ذكر ابن هشام ان ابن السكبي لم يذكره في كتاب الاصنام وقال عوض اسم صنم كان لبكر بن وائل وفيه يقول رشيد بن رميض بالتصغير فيهما العزى

حلفت بمائرات حول عوض وأنصاب تركن لدى السعير

حلف بالانصاب التي حول السعير وولد الماء الجاريات حوله وكانوا يذبحون للاصنام (عن البغدادى فى خزانة الادب)
العوف - صنم (عن القاموس)

غمغب - انظر غمغب

غمدان - بيت غمدان بناه الضحاك بمدينة صنعاء اليمن على اسم الزهرة وخر به عثمان ذو النورين (عن الملل والنحل للشهرستانى)
الغلس - قال أبو المنذر . وكان لطيف صنم يقال الغلس وكان اتقا أحر فى وسط جبلهم الذى يقال له أجأ اسود كانه تمثال انسان . وكانوا يعبدونه ويهدون اليه ويعترون عنده عتائرهم ولا يأتية خائف الا أمن عنده ولا يطرد أحد طريدة فيلجأ بها اليه الا تركت له ولم تخفر حويته (١) وكانت سدنته بنو بولازوهو الذى بدأ بعبادته فكان آخر من سدنه منهم رجل يقال له صبي فأتى فطرد ناقة خلية (٢) لامرأة من كلب من بنى عليم وكانت جارة لملك ابن كلثوم الشمجى وكان شريفاً فانطلق بها حتى وقفها بفناء الغلس . وخرجت جارة مالك فاخبرته بذهابه بناقتها فركب فرساً عربياً وأخذ رمحاً وخرج فى (١) الحوية كغنية استدارة كل شئ - والمعنى ان ماصار فى حرمة يترك له (٢) الخلية من معانيها الناقة التى تنتج وهى غزيرة فيجر ولدها من تحتها فيجمل تحت أخرى وتخلى هى للحلب

أثره فأدركه وهو عند الفليس والناقاة موقوفة عند الفليس فقال له خل سبيل ناقاة جارتى . فقال انها لربك . قال : خل سبيلها قال أتخفى الهك فبوا له الرمح (١) خل عقاها وانصرف بها مالك وأقبل السادن على الفليس ونظر الى مالك ورفع يده وقال وهو يشير بيده اليه

يارب ان مالك بن كلثوم أخفرك اليوم بنابءكوم (٢)

وكننت قبل اليوم غير مغشوم

يحرضه عليه وعدى بن حاتم يومئذ قد عتر عنده وجلس هو ونقر معه يتحدثون بما صنع مالك وفزع لذلك عدى بن حاتم وقال انظروا ما يصيبه في يومه هذا فضت له أيام لم يصبه شئ فرفض عدى عبادته وعبادة الاصنام وتنصر فلم يزل متنصرا حتى جاء الله بالاسلام فاسلم فكان مالك أول من أخفره فكان بعد ذلك السادن اذا أطرده طريدة أخذت منه فلم يزل الفليس يعبد حتى ظهرت دعوة النبي عليه السلام فبعث اليه على بن أبى طالب فهدمه وأخذ سيفين كان الحارث بن أبى شمر الغساني ملك غساسق قد اياهما يقال لهما مخذم ورسوب فقدم بهما على بن أبى طالب على النبي صلى الله عليه وسلم فتقلد أحدهما ثم دفعه الى على بن أبى طالب فهو سيفه الذى كان يتقلده

القيس - كنيسة بناها أبرهة الاشرم (انظر صفحة ١٣٤)

القيس - صنم لم يذكره ابن الكلبي وبه سمى امرؤ القيس أى رجل ذلك الصنم ولذلك كان الاصمعي يكره أن يروى قوله في مملقته - عقرت بعيرى يا امرؤ القيس فانزل - فكان يقول يا مرأ الله

كثرى - صنم لجديس وطسم كسره نهشل الربيش بن عرعة ولحق بالنبي عليه الصلاة والسلام فأسلم وكتب له كتاباً وقال عمرو بن صخر بن اشنم حلفت بكثرى حلقة غير برة لتستلبن أثواب قيس بن عازب الكسعة - صنم عبدوه فى الجاهلية (عن تاج العروس)

(١) بوا الرمح نحوه قابله به (٢) أخفره نقض عهده وغدره (الساب) الناقاة المسنة و(الكلثوم) الشديدة

الكعبة - هي بيت الله الحرام وهو أول بيت وضع لداس مبارك وهدى للعالمين بناه بالوحى الالهى ابراهيم واسماعيل قال الشهرستاني وكذب من قال ان بيت الله الحرام انما هو بيت زحل بناه الباني الاول على طوائع معلومة واتصالات مقبولة وسماه بيت زحل ولهذا المعنى اقترن الدوام به بقاء والتعظيم له لقاء لان زحل يدل على البقاء وطول العمر أكثر مما يدل عليه سائر الكواكب وهذا خطأ لان البناء الاول كان مستمدا الى الوحى على يدى أصحاب الوحى كعبة نجران كانت ابني الحارث . قال أبو الفرج الاصفهاني انها يبعة بناها بنو عبد المذان على بناء الكعبة وعظموها مضاهاة للكعبة . وسموها كعبة نجران . وكان فيها أساقفة يقيمون وهم الذين جاءوا الى النبي ودعاهم الى المباحلة . وقيل انها قبة من ثلاثمائة جلد لعبد المسيح بن دارس بن عدى وسمتها العرب كعبة نجران لانهم كانوا يقصدون زيارتها كما يقصدون زيارة الكعبة . فكان اذا نزل بها مستجير احير أو خائف أمن أو أمسترفد اعطى ماطلب أو جائع شبع أو طالب حاجة قضيت وفيها يقول الاعشى بخاطب اقته فلكعبة نجران حتم عليك حتى تنأخى بأبوابها

نرور يريد وعبد المسيح وقيساهمو خير أربابها

قال أبو المندر « وكان ابني الحارث بن كعب كعبة بنجران يعظمونها وهى التى ذكرها الاعشى وقد زعموا انها لم تكن كعبة عبادة وانما كانت غرفة لاولئك القوم الذين ذكرهم وما أشبه ذلك عندي بان يكون كذلك لاني لا أسمع بنى الحارث تسموا بها فى شعر وكان لا ياد كعبة أخرى بسنداد من أرض بين الكوفة والبصرة فى الظهر وهى التى ذكرها الاسود بن يعفر (١) وقد سمعت ان هذا البيت لم يكن بيت عبادة انما كان منزلا شريفا فذكره »

كعب وامراته - صنمان لم يذكرهما ابن الكلبي كانا فى كنيسة القليس وكان كعب خشبة من ساج منقوشة طولها سنون ذراعا وكانت امرأته

(١) قول الاسود بن يعفر المشار اليه هو

أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذى الشرفات من سنداد

خشبة من الساج مثلها في الطول وكانوا يتبركون بهما في الجاهلية
اللات - صخرة بالطائف اتخذها العرب عليها بيتا قال أبو المنذر وهي أحدث
من مناة وكانت صخرة مربعة وكان يهودى يلت عندها السوق وكان سدنها
من ثقيف بنو عتاب (١) بن مالك وكانوا قد بنوا أمامها بناء وكانت قریش
وجميع العرب تعظمها وبها كانت العرب تسمى زيد اللات وتيم اللات وكانت
في موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم وهي التي ذكرها الله في القرآن
فقال (افرايم اللات والعزى) وفيها يقول عمرو بن الجميد

فاني وتركى وصل كأس لكالدى تبرأ من لات وكان يدينها
وقال السهيلي « ان عمرو بن لحي هو اللات الذي يلت السوق للحميج
على صخرة معروفة تسمى صخرة اللات ويقال ان الذي يلت كان من ثقيف
فلما مات قال لهم عمرو انه لم يمت ولكن دخل في الصخرة ثم أمرهم بمبادتها
وأن يبنيوا عليها بيتا تسمى اللات . ودام أمره وأمر ولده على هذا بمكة
ثلثمائة سنة فلما هلك سميت تلك الصخرة اللات مخففة التاء واتخذنا يعبد »
وحكى ابن العربي من حديث أبي الوليد بسنده عن ابن عباس قال : « ان رجلا
من مضي كان يقعد على صخرة لثقيف يبيع السمن من الحجاج اذا مر يلت
سويقهم وكان ذا غنم فسميت صخرة اللات فلما فقده الناس قال لهم عمرو ان
ربكم اللات قد دخل في جوف الصخرة . وكانت العزى ثلاث شجرات نخل
وكان أول من دعا الى عبادتها عمرو بن ربيعة والحارث بن كعب وقال لهم عمرو
ان ربكم يصيف باللات لبرد الطائف ويشتى بالعزى لحرها فبنوا على صخرته
بيتا يعبد به أهل الطائف وهم ثقيف ويسترونه بالثياب ويهدون له الهدى
ويطوفون حوله ويسمون به الربة يضاهون به بيت الله الحرام بمكة ولهدمه خبر
مفصل وهو انه لما قدم وفد ثقيف على رسول الله بعد فتح مكة لاصلاح
لتيقنهم الاطاعة لهم بقتاله وهم بضعة عشر رجلا من أشرفهم فيهم كنانة
وعبد بالليل وهو رئيسهم يومئذ وصاحب أمرهم فعرض عليهم النبي الاسلام

(١) جعل ابن اسحاق سدنها بنى معتب

فقالوا له أرأيت الزنا فانا قوم نفترب ولا بد لنا منه قال هو عليكم حرام . قالوا فالربا فانه أموالنا كلها قال والربا حرام ولكم رءوس أموالكم . قالوا فالخمر فانها عصير أرضنا ولا بد لنا منها قال ان الله قد حرّمها وتلا عليهم بذلك كله قرآنا قالوا أرأيت الربة ماذا نصنع فيها . قال اهدمناها . قالوا هيها تلو تلم الربة انك تريد هدمها قتلت أهلها . فقال عمر بن الخطاب ويحك يا عبد ياليل ما أحقك انما الربة حجر قالوا انا لم نأتك يا ابن الخطّاب ثم قالوا يا رسول الله تول أنت هدمها فلما نحن فلا نهدمها أبداً . فقال سأبعث من يكفيكم هدمها فرجعوا الى بلادهم وبعث رسول الله سرية منهم أبو سفيان بن حرب ومنهم المغيرة ابن شعبة وأمر عليهم خالد بن الوليد فلما قدموا عليهم عمدوا الى اللات ليهدموها وأنكفت ثقيف كلها الرجال والنساء والصبيان حتى خرج العواتق من الحجال وهم لا يرون انها تهدم ويظنون انها ستمتنع فاخذ المغيرة بن شعبة فأساً كبيرة وقال لاصحابه لاضحككنكم من ثقيف قالوا بلى فضرب بالمعول ضربة ثم صاح وخر مغشياً على وجهه فارتجت الطوائف بالصياح سرورا بان اللات قد صرعت المغيرة وأقبلوا يقولون كيف رأيتها يا مغيرة دونكها ان استطعت ألم تعلم انها تهلك من عاداها . من شاء منكم فليقترب وليجد على هدمها فوالله لا تستطاع ابدا . فوثب المغيرة يضحك منهم ويقول والله يا معشر ثقيف ما قصدت الا الهزء بكم انما هي لكاع حجارة ومدر ثم ضرب الباب فكسره ثم علوا سورها فزالوا يهدمونها حتى سووها بالارض . وجعل صاحب المفاتيح يقول ليغضبن الاساس فليخسفن بهم الارض فلما سمع ذلك المغيرة قال لخالد : دعني أحفر أساسها خفروها حتى أخرجوا ترابها وحرقتها بالنار ثم أخذوا حايها وثيابها وكسوتها فقدموا به على رسول الله فقسمه من يومه وحمدوا الله عز وجل على نصر نبيه واعزاز دينه وروى ان المغيرة لما قام يهدمها قام قومه دونه بنو معتب خشية أن يرمى أو يصاب . وخرج نساء ثقيف حسرا يبكين عليها ويقلن

لتبكين دفاع أسلمها الرضاع (١) لم يحسنوا المصاع (٢)

وفي اللات يقول كعب بن مالك الانصارى من قصيدة

وننسى اللات والعزى وودا ونسلبها القلائد والشنوفا

ويقول شداد بن عارض الجشمى ينهى ثقيفا عن العود اليها

لا تنصروا اللات ان الله مهلكها وكيف نصركم من ليس ينتصر

ان التي حرقت بالمار فاشتعلت ولم تقاتل لدى أحجارها هدر

ان الرسول متى ينزل بساحتكم يظعن وليس بها من أهلها بشر

المحرق - صنم لبكر بن وائل كان بسلدان (عن تاج العروس)

المدان - صنم وبه سمى عبد المدان وهو أبو قبيلة (عن تاج العروس)

مرحب - صنم كان بمحضر موت اليمين وذو مرحب ربيعة بن معديكرب

كان سادته اى حافظه (عن تاج العروس)

مناة - صنم من أصنامهم قدم به عمرو بن لحي من البلقاء من أرض

الشام الى مكة ونصبه حول الكعبة . قال أبو المنذر . ان العرب دانت للاصنام

واتخذوها فكان أقدمها كلها مناة وسمت العرب عبد مناة وزيد مناة وكان

منصوباً على ساحل البحر من ناحية المثلث بقديد بين المدينة ومكة . وكانت

العرب جميعاً تعظمه وتذبح حوله . وكانت الاوس والخزرج ومن ينزل المدينة

ومكة وما قارب من المواضع يعظمونه ويدبحون له ويهدون له . وكان أولاد

معد على بقية من دين اسماعيل . وكانت ربيعة ومضر على بقية من دينه ولم

يكن أحد أشد أعظاما له من الاوس والخزرج ومناة هي التي ذكرها الله

تعالى في قوله ومناة الثالثة الاخرى (٣) وكانت لهذيل وخزاعة وكانت قريش

(١) اى أسلمها اللثام (٢) فى رواية اذ كر هوا المصاع - والمصاع القتال

(٣) قال السهيلي مناة وزنه فعلة من منيت الدم وغيره اذا صببته لان

الدماء كانت تمنى عنده تقرباً اليه ومنه سميت الاصنام الدمى وجعلها ثالثة اللات

والعزى وأخرى بالاضافة الى مناة التي كان يعبدونها عمرو بن الجموح وغيره من

قومه فهما مناتان واحداً غير الاخرى بالاضافة الى صاحبتهما

وجميع العرب تعظمه فلم يزل على ذلك حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة سنة ثمان من الهجرة وهو عام الفتح فلما سار من المدينة أربع ليال أو خمس ليال بعث عليا (١) اليها فهدمها وأخذ ما كان لها فأقبل به الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان فيما أخذ سيفان كان الحارث بن أبي شمر ملك غسان أهدهما اسم أحدهما مخزم والآخر رسوب وهما سيفا الحارث اللذان ذكرهما علقمة في شعره فقال

مظاهر سر بالي حديد عليهما عقيلا سيوف مخذم ورسوب

فوهبهما لعلي . فيقال ان ذا الفقار سيف على أحدهما . ويقال ان عليا وجدتهما في الفلس صنم لطبي حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم لهدمه وكانت الاوس والخزرج يخصوصونها دون غيرها بالزيارة والهدية »

وروى ابن العربي عن ابن اسحاق ان عمرو بن لحي نصب مناة على ساحل البحر مما يلي قديد وكانت الازد وغسان يحجونها ويعظمونها . فاذا طافوا بالبيت وأفاضوا من عرفات وفرغوا من منى لم يحلوا الا عند مناة . وكانوا يهلون لها ومن أهل لها لم يطف بين الصفا والمروة لمسكان الصميين

مناف - صنم به سمى عبد مناف قال أبو المنذر ولا أدري أين كان ولا من نصبه

منهب - صنم ذكره الجاحظ في الترييع والتدوير

نائلة - صنم (انظر أساف)

نسر - صنم قال أبو المنذر واجابت عمرو بن لحي حمير فدفع الى رجل من ذى رعين يقال له معد بكرب نسرا فكان بموضع من أرض سبأ يقال له بلخع تعبدته حمير ومن والاها فلم يزل يعبدونه حتى هودهم ذو نواس ولم أسمع حمير سميت به أحدا ولم أسمع له ذكرا في أشعارها وأشمار العرب وأظن ذلك كان لا تنقل حمير عن عبادة الاصنام الى اليهودية »

(١) في قول آخر ان النبي بعث لهدمها أبا سفيان بن حرب فهدمها وذكر

القولان ابن هشام

(وأقول) ذكره في الشعر عمرو بن عبد الجن الجاهلي فقال

أما والدما المائرات تحاها على قنة العزى والنسر عند ما
نصّر - صنم (عن المخصص)

نهم - صنم عبدة مزينة وبه سميت عبدتهم وكان سادته خزاعي بن عبد
نهم من مزينة فلما سمع ببعثة رسول الله شرح الله صدره الاسلام فكسر
صنمه وانها يقول

ذهبت الى نهم لا ذبح عنده عتيرة نسك كالذي كنت أفعل
فقلت لنفسى حين راجعت عقلها أهذا إله أباكم ليس يعقل
أبيت فديني اليوم دين محمد إله السماء الماجد المفضل
ثم لحق بالنبي فأسلم وضمن قومه مزينة

هبل - كان من أعظم الاصنام عند قريش وكان من عتيق أحر على صورة
الانسان مكسور اليد اليمنى أدركته قريش كذلك فجعلوا له يداً من ذهب وكان
أول من نصبه خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر . وكان يقال له هبل خزيمة
ذكر ذلك أبو المنذر وحكي ابن هشام أن هبل قدم به عمرو بن لحي من مأرب
فنصبه في مكة وأمر الناس لعبادته وتمظيمه واختلف في موضعه فالحشرستاني
ذهب الى انه كان على ظهر الكعبة وابن اسحاق ذهب الى انه كان عند البئر
التي كانت في جوف الكعبة على يمين من دخلها . وكان عمقها ثلاث أذرع حفرها
ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ليحفظ فيها ما يهدي الى الكعبة . وكانت
تسمى الاخسف وكان قدامه سبعة أفدح يضربونها عنده اذا اختصموا في
أمر أو أرادوا سفراً أو عملاً فما خرج عملوا به وانتهوا اليه

ود - صنم عبدة كلب بدومة الجندل قال أبو المنذر « ان عمرو بن لحي أثنى
شط جده فاستنار الاصنام ثم حملها حتى ورد تهامة وحضر الحج فدعا العرب
الى عبادتها قاطبة فأجابه عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن
كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة فدفع اليه
وداً فجعله الى وادي القرى فأقره بدومة الجندل وسمى ابنه عبد ود فهو أول

من سمي به ثم سمت العرب به بعد وجعل غوف ابنه عامرا الذي يقال له عامر
الاجدار سادته له فلم يزل بنوه يسدونونه حتى جاء الله بالاسلام . قال السكبي
فحدثني مالك بن حارثة الاجداري انه رأى ودا قال وكان أبي يبعثني بالبن اليه
فيقول اسقه الهك فاشربه قال ثم رأيت خالد بن الوليد كسره فجعله جذازا وكان
رسول الله بعث خالد بن الوليد من غزوة تبوك لهدمه فخلت بينه وبين هدمه
بنو عبد ود وبنو عامر الاجدار فقاتلهم حتى قتلهم وهدمه وكسره قال السكبي
فقلت لمالك بن حارثة صف لي ودا حتى كافي أنظر اليه قال كان تمثال رجل
كاعظم ما يكون من الرجال قد ذبر عليه (١) حلتان متزر بحلة ومترد بأخرى
عليه سيف قد تقلده وقد تشكب قوسا وبين يديه حربة فيها لواء ووفضة (٢)
فيها نبل « وفي ود يقول الشاعر

حياك ود فانا لا يحل لنا لهو النساء وان الدين قد عزمنا
ودع - صنم (عن المخصص)

ياليل - وزن هابيل صنم سمت العرب به عبد ياليل (عن تاج العروس)
اليعسوب - كان لجديلة طيبي صنم فأخذته منهم بنو أسد فاتخذوا بعده
اليعسوب صنما عبده فلذلك قال عبيد
فتبدلوا اليعسوب بعد الههم صنما فقرأوا يا جديل وأعذبوا
أى لا تأكلوا على ذلك ولا تشربوا

يعوق - صنم قال أبو المنذر (وأجابت عمرو بن لحي همدان فدفع الى مالك
ابن مرثد بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان يعوق
فاتخذته خيوان فكان بقربة يقال لها خيوان (٣) من صنم على ليلتين مما بلى مكة
تعبده همدان ومن والاها من أرض اليمن ولم أسمع همدان سمت به ولا غيرها
من العرب ولم أسمع لها أو لغيرها فيه شهرا وأظن ذلك لانهم قربوا من صنم
واختلطوا بحمير فدانوا معهم باليهودية أيام تهود ذو نواس فتهودوا معه)

(١) رواية زبر أى نقش (٢) الوفضة الجمبة (٣) خيوان بطن من همدان
كما في ابن هشام

أقول قد ذكره في الشعر مالاك بن نمط الهمداني في قوله :

يريش الله في الدنيا ويبري ولا يبري يعوق ولا يريش (١)
 يغوث صنم - قال أبو المذر اتخذته مذحج وأهل جرش وفيه يقول الشاعر
 وسار بنا يغوث الى مراد فناجزناهم قبل الصباح
 ودفعه عمرو بن لحي الى أنعم بن عمرو المرادي فسكران بأكمة باليمن يقال لها
 مذحج تعبدته مذحج ومن والاها

* كثرة الاصنام *

ليس في الاستطاعة حصر أصنامهم في الجاهلية فكثرتها تتجاوز العد .
 وقد كان للقبيلة أكثر من صنم وكان منها عند الكعبة كثير حكى الزمخشري
 انه كان حولها ثلثمائة وستون صنما لكل قوم صنم بحياهم . ولما دخل
 رسول الله يوم فتح مكة المسجد والاصنام منصوبة حول الكعبة جعل
 يطعن بسية قوسه (٢) في عيونها ووجوهها ويقول جاء الحق وزهق الباطل
 ان الباطل كان زهوقا ثم أمر بها فكفئت على وجوهها وارتقى على بن أبي
 طالب على منكبه الشريف حتى صعد الكعبة فقال له عليه السلام ان صنمهم
 الاكبر وكان من نحاس وقيل من زجاج وألقى كل ما عليها من الاصنام ولم يبق
 الا صنم خزاعة موندا بأوتاد من حديد فما زال يعالجه حتى تم كنه منه فقذفه
 فتكسر ثم أخرجت من المسجد فخرقت وفي تكسيرها يقول فضالة بن عميز
 ابن الملوح الليثي (٣)

قالت هلم الى الحديث فقلت لا يا أبا عليك الله والاسلام

() يريش ويبري من رشت السهم وبريته ثم استعير في النفع والضر

قال سويد

فرشني بخير طالما قد برينني وخير الموالي من يرش ولا يبري
 (٢) سية القوس ماعطف من طرفها (٣) نسبها ابن الكلبي في كتاب

الاصنام لراشد بن عبد الله السلمي

أو ما رأيت محمداً وجنوده (١) بالفتح يوم تكسر الاصنام
لرأيت دين الله أضحى بينا (٢) والشرك يفضى وجهه الاظلام
وقال تميم بن أسد الخزاعي

وفي الاصنام معتبر وعلم لمن يرحو الثواب أو العقاب
وأصنامهم سفرا وحضرا تجل عن الحضر أما في الحضر فذكر ابن اسحاق
ان أهل كل دار اتخذوا في دارهم صنما يعبدونه فاذا أراد أحدهم السفر كان آخر
ما يصنع في منزله أن يتمسح بصنمه واذا قدم من سفره كان أول ما يصنع
إذا دخل منزله أن يتمسح به فلما بعث الله تعالى نبيه ودعاهم لمباداة الله
وحده قالوا أجعل الآلهة إلها واحداً ان هذا شيء عجاب . وأما في السفر
فكان الرجل منهم اذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار فنظر الى أحسنها
فاتخذها رباً وجعل الثلاثة اثنى لقدره واذا ارتحل تركه فاذا نزل منزلاً آخر
فعل مثل ذلك قال أبو المنذر « واستهترت العرب في عبادتها فمنهم من اتخذ بيتاً
ومنهم من اتخذ صنماً ومن لم يقدر على اتخاذ صنم أو بناء بيت نصب حجراً اما
من الحرم واما من غيره مما استحسن ثم طاف به كطوافه بالبيت وسموها
الانصاب وسموها طوافهم الدوار » واتخذ كثير منهم في داره صنماً وكثيراً ما
يسميه بأسم الصنم الذي تعبد به القبيلة ويتخذ على مثاله ليتمكن من عبادته
وهو في داره حكى ابن هشام في سيرته ان عمرو بن الجوح أحد سادات بني
سلة وأشرافهم كان قد اتخذ في داره صنماً من خشب يقال له مناة كما كانت
الاشراف يصنعون تتخذها إلها تعظمه وتطهره فلما أسلم فتيان بني سلة كانوا
يدلجون (٣) بالليل على صنمه فيجملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلة
وفيها عذر الناس منكساً على رأسه فاذا أصبح عمرو قال : ويلكم من غدا (٤)
على آلهتنا هذه الليلة قال ثم يقدو يلتمسه حتى اذا وجده غسله وطهره وطيبه

(١) رواية وقبيلة (٢) رواية نور الله أضحى ساطعاً (٣) أدلج سار أول
الليل وأدلج سار آخر الليل وقيل الادلاج سير الليل كله (٤) الاصل ان معنى
غدا عليه بكر ثم كثر حتى استعمل في الذهاب والانطلاق في أي وقت كان

ثم قال أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لآخزينه فإذا أمسى ونام عمرو غدوا عليه ففعلوا به مثل ذلك فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى فيفسله ويطهره ويطيبه ثم يغدون عليه إذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقوه يوما ففسله فطهره وطيبه ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال له اني والله ما أعلم من يصنع بك ماترى فإن كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك فلما أمسى ونام عمرو غدوا عليه فأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل ثم ألقوه في بئر من آبار بنى سلامة فيها عذر من عذر الناس وغدا عمرو بن الجموح فلم يجده في مكانه الذي كان به فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر منكساً مقرونا بكلب ميت فلما رآه أبصر شأنه وكلمه من أسلم من قومه فأسلم وحسن اسلامه وقال حين أسلم يذكر صنمه وما أبصر من أمره

والله لو كنت إلها لم تكن أنت وكلب وسط بئر في قرن (١)

أف للملئك إلها مستدنف الآن فتشناك عن سوء الغبن (٢)

الحمد لله العلى ذى المنن الواهب الرزاق ديان الدين (٣)

هو الذى أنقذنى من قبل أن أكون فى ظلمة قبر مرتين

ومثله فى ترك عبادة صنمه حين رآه عاجزا عن الدفاع عن نفسه غاوى بن ظالم فقد كان يأتى صنمه بالخبز والزبد فيضعه عند رأسه ويقول له أطعم وقيل انه كان سادنا له فجاء ثعلبان (وهو ذكر الثعلبان) فأكل الخبز والزبد ثم بال على رأس الصنم فلما رأى ذلك غاوى بن ظالم تبين له الحق فقال لقد خاب قوم أملوك لشدة أرادوا زوالا ان تكون تحارب فلا أنت تغنى عن أمور تواترت ولا أنت دفاع اذا حل نائب

(١) القرن الحبل (٢) مستدنف من السدانة وهى خدمة البيت وتعظيمه و (الغبن) يكون فى رأى يقال غبن رأيه بمعنى خسر نفسه وأوبقها (٣) قال السهيلي الدين جمع دينة وهى العادة ويقال لها دين أيضا ويجوز أن يكون أراد بالدين الأديان أى هو ديان أهل الأديان ولكن جمعها على الدين لأنها ملل ونحل

أرب يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من بآلت عليه للشعاب
ثم ضرب الصنم فكسره وآتى النبي فآمن وسأله عليه الصلاة والسلام
عن اسمه فقال غاوى بن ظالم . قال لا بل أنت راشد بن عبد ربه
(وكانوا) لا يتخذونها من مادة معينة . قال أبو رجاء العطاردي كنا نعبد
الحجر في الجاهلية فإذا وجدنا حجرا أحسن منه نلقى ذلك ونأخذه فإذا لم
نجد حجرا جمعنا حفنة من تراب ثم جئنا بغنم فخابناها عليه ثم طفنا به . وقال
أيضا كنا نعمد الى الرمل فنجمعه ونحلب عليه فنعبده وكنا نعمد الى الحجر
الابيض فنعبده زمانا ثم نلقيه .

وقد اتخذت بنو حنيفة صنما من حيس فعبدوه دهرآ طويلا ثم أدركتهم
مجاعة فأكلوه . وفيهم يقول الشاعر

أكلت حنيفة ربهما زمن التقحم والمجاعة

لم يحذروا من ربهما سوء العواقب والتباعة

وقال رجل من بني تميم

أكلت ربهما حنيفة من جو ع قديم بها ومن أعواز

عبادة الاصنام وما يتقرب به لها

عبد أكثر العرب الاصنام لا لذاتها بل لنقربهم الى الله زلنمى وتشفع لهم
عنده . روى انهم كانوا يقولون فى طوافهم بالكعبة واللات والعزى ومناة
الثالثة الاخرى فانهم الفرانيق العلى وان شفاعتهم لترتجى فجعلا عبادتها
وسيلة لعبادته ولما كان ذلك من الشرك انكره الله تعالى عليهم فى غير ما آية من
كتابه كما انكر عليهم اعتقادهم انها بنات الله فى قوله (أفرايتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى الحكم الذكر وله الانثى تلك اذن قسمة ضيزى ان هى الا
أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بهامن سلطان) وما أسرع تزلزل هذه
المقيدة عند مبدأ النظر فقد روى ان قريشا قالت قيصوا لابي بكر رجلا
يأخذه فقيصوا له طلحة بن عبيد الله فأتاه وهو فى القوم فقال يا أبا بكر قم الى
فقال الام تدعونى قال أدعوك الى عبادة اللات والعزى فقال أبو بكر من اللات

والعزى قال بنات الله قال فن أمهم فسكت طلحة وقال لأصحابه أجيئوا صاحبكم فسكتوا فقال طلحة قم يا أبا بكر فاني أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله (فكانوا) يعظمونها ويلبسونها أحسن الثياب وحلف الشنفرى بثياب الاقيصر فقال

وان امرأ اجار عمرا ورهطه على وأثواب الاقيصر يلغنف (وكانوا) يتقربون لها بالمناسك والمشاعر وحملوا لها وحرموا وسيبوا لها السوائب والبجائر (وكانوا) يحجون اليها فلذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجده عليه السلام والمسجد الحرام والمسجد الاقصى لان الله ضاعف أجر العبادة فيها (وكانوا) يطوفون بها تقربا اليها وشاهده قول اسرى القيس يشبهه قطيعا من البقر يلوذ بعضه ببعض ويدور كما تدور العذارى حول الصنم دوار

فمن لنا سرب كان نعاجه عذارى دوار في الملاء المذيل

(وكانوا) يسبحون ويهللون لها قال ربيع بن صبيغ الفزارى

واننى والذي نغم الانام له حول الاقيصر تسبيح وتهليل

(وكانوا) يستقسمون عندها بالارلام (وكانوا) يجعلون لها نصيبا من انعامهم وحروثهم (وكانوا) يقفون لها الاوقاف ويهدونها أقواتهم يرجون بذلك الخير والبركة * روى نافع عن أبي نعيم قال : كان أبو طالب يعطى عليا قدحا من اللبن يصبه على اللات فكان على يشرب اللبن ويبول على اللات -

(وكانوا) يسمون أنفسهم باسماء مضافة اليها بالعبودية أو الاختصاص كعبد اللات وعبد العزى وامرئ القيس فغير النبي عليه الصلاة والسلام ما كان من أسماء أصحابه كذلك بعبد الله وعبد الرحمن و (كانوا) يقسمون بها فيقول الحالف واللات أو وهبل مثلا ويرون ان الجلف بها كذبا يستوجب نقصا في الاموال والانفس والثمرات فلا يقدمون على ذلك . ويستحلف الاخصام بعضهم بعضا باسمائها فبهوا عن ذلك بقوله عليه السلام من حلف بغير الله فقد أشرك (وكانوا) يندرون لها النذور ومنها مولى السائبة وهو ما سيب نذر اللائحة

فلا يمنع من ماء ولا كلاء وان كان رقيقا وأعتقه مالكه سائبة فلا يعقل عنه ولا يورث ولا ولاء عليه لاحد . ومن اعتق سائبة سالم مولى أبى حذيفة اعتقه قتيبة بنت يمار وقيل اسمها ثبيثة بنت يمار فاقطع سالم الى أبى حذيفة ابن عتبة بن ربيعة فتنبأه فقيلا سالم مولى أبى حذيفة

(و) كانوا يسجدون لها وينكسون رأسهم عندها قال الشاعر

فبات يجتاب شقارى كما يقر من يمشى الى الجلسد (١)

(و) كانوا يستعينون بها فى حوائجهم من شفاء المريض وغنى الفقير وغير ذلك فأوجب الله عليهم أن يقولوا فى صلاتهم (اياك نعبد واياك نستعين) وقال تعالى (فلا تدعوا مع الله أحدا) و(كانوا) لا يمكنون الحيض من النساء من الدنو منها ولا التمسح بها انما كانت الحائض تقف ناحية منها قال بلعاء بن قيس بن عبد الله بن يعمر وهو الشداخ الاثني

وقرن قد تركت الطير منه كمعتز العوارك من مناف (٢)

(و) كانوا يجعلون لاصنامهم أعيادا وروينا حديث أم أيمن فى ذلك عند ذكر الصنم بوانة و(كانوا) يهدون لها الهدايا ويقربون لها القرابين فمها (الفرع) وفسره الشافعى بأنه أول نتاج البهيمة كانوا يذبحونه ولا يملكونه لاحد رجاء البركة فى الام وكثرة نسلها وفسره أبو على القالى بأنه ذبح كان أهل الجاهلية يذبحونه على أصنامهم ويلبسون جلده سقبا آخر وفى المحكم الفرع أول نتاج الابل والغنم كان أهل الجاهلية يذبحونه لا سمامهم ثم يأكلونه ويلقى جلده على الشجر وعن أبى مالك انه البكر ينحره الرجل للصنم اذا بلغت ابله مائة ويقال انه ذبح كانوا اذا بلغت الابل مائتاه صاحبها ذبحوه وكذلك اذا بلغت ابله مائة يعتز منها بعير كل عام ولا يأكل منه هو ولا أهل بيته ويطلق الفرع أيضا على الطعام الذى يصنع لنتاج الابل كالخرس للولادة وقال الميدانى فى مجمع الامثال عند قولهم فى المثل (أول الصيد فرع) مانصه الفرع أول

(١) البقرة أن يمدو الرجل منكسا رأسه و (الجلسد) صنم (٢) المعتز

المتنحى فى ناحية - و(مناف) صنم

ولد تفتحه الساقة كانوا يذبحونه لأهلهم يتبركون بذلك وكان الرجل يقول
إذا تمت ابلى كذا نحر أول نقيج منها (كاوا) إذا أرادوا نحره زينوه
والبسوه ولذلك قال أوس بن حجر يذكر أزمة في شدة البرد

وشبه الهيدب العمام من الاقوام سقياً مجللاً فرعاً (١)

وأفرع القوم إذا ذبحوا الفرع يقال أفرع إذا أراق الدم مأخوذ من الفرع
ومنه قولهم للضبع اذ وقعت في الغنم

أفرعت في قوارى كائما ضرارى أردت يا جمار (٢)

ومنها (العتيرة) بوزن عظيمة وهي كما قال أبو عبيد . ذبيحة كانوا يذبحونها
في الجاهلية في رجب يتقربون بها لاصنامهم وهي الرجبية . ولغيره انهم كانوا
ينذرون من بلغ ماله كذا أن يذبح من كل عشرة منها في رجب عتيرة . وفي
الصحاح العتيرة هي أن الرجل كان يقول في الجاهلية ان بلغ ابلى مائة عترة
منها عتيرة في رجب ونقل أبو داود تقييدها بالعشر الاول من رجب . وروى
الحميدى انها الشاة التي تذبح عن أهل بيت في رجب وسميت بذلك لذبحها وهو
العترة . وفسرها الموهوب بأنها ذبيحة كانوا يذبحونها في العشر الاول من رجب
ويسمونها الرجبية وفيها يقول السابغة الجعدي وكان من المعمرين

قالت أمانة كم عمرت زمانة وذبحت من عترة على الاوثان

وقد أبطلت الشريعة المطهرة كلا من الفرع والعتيرة لقوله عليه السلام
في الحديث الصحيح لا فرع ولا عتيرة وهذا النهى محمول على ما اذا كان
ذبحهما لطواغيتهم وآلهتهم كما كانوا يصنعون في الجاهلية أما اذا لم يقصد
بذبحهما غير وجه الله تعالى فلا حظر فيه وعليه يحمل ما رواه البيهقي بسنده .
عن الحارث بن عمر قال أتيت النبي بعرفات أو قال بعنى وسأله رجل عن العتيرة
فقال من شاء عترة ومن شاء لم يعتر ومن شاء فرع ومن شاء لم يفرع ولكنهم
نهوا عن تخصيص ذبح العتيرة في رجب لحديث ان رجلاً نادى رسول الله

(١) الهيدب النوى الثقيل و (العمام) المعبي الثقيل و (السقب) الذكر

من ولد الناقة ساعة يولد (٢) القرار الغنم و (جمار) كقطعام الضبع

انا كننا نعتز عتيرة في الجاهلية فما تأمرنا قال اذبحوا لله في أى شهر كان لما في التخصيص من تفضيل بعض الاوقات على بعض وتميزها بالعبادة من غير نص من الشارع كما نهوا عن تخصيص ذبح الفرع أول ما يولد لان رسول الله لما سئل عن الفرع قال الفرع حق وأن تتركوه حتى يكون بكرا أو ابن مخاض أو ابن لبون (١) فتعطيه ارملة أو تحمل عليه في سبيل الله خير من أن تذبحه ويلزق لحمه بوبره (٢) وتكفيء اناءك (٣) وتوله ناقتك (٤) ومنه تعلم ان الفرع كان يصلح عندهم للنسك ولو ذبح صغيرا أما غيره فلا يصلح لذلك الا اذا ذبح كبيرا وشاهده قول أبي على القالى في أماليه (الحلان والحلام فويق الجدى وأنشد لابن احر

تهدى اليه ذراعُ الجدى تمكرمة اما ذبيحا واما كان حلانا
فالدبيح الذى يصلح للنسك والحلان الصغير الذى لا يصلح للنسك ثم قال
وانشدنا أبو عبيدة قول مهلهل

كل قتيل في كليب حُلام حتى ينال القتل آل همام
يقول كل قتيل صغير ليس هو بوفاء من كليب بمنزلة الحلام الذى ليس بوفاء أن
يذبح للنسك حتى ينال القتل آل همام فانهم وفاء به «
(و كانوا) يذبحون قربانهم عند الاصنام اذا كانوا بمقربة منها وحينئذ
يلطحونها بدمائها يلتمسون بذلك الزيادة في أموالهم ودفع المكروه عنهم
وشاهده قول زهير بن أبي سلمى
فزَل عنها وأوفى رأس مرقبة كمنصب العتردى رأسه النسك (٥)

(١) البكر الفتى من الابل والاثنى بكرة (٢) ابن المخاض (٣) الفصل اذا
لقت أمه وقيل مادخل في السنة الثانية لان أمه لحقت بالمخاض أى الحوامل
وان لم تكن حاملوا (ابن اللبون) ولد الناقة اذا كان في العام الثاني واستكملته
وفيل اذا دخل في الثالث والاثنى ابنة لبون لان أمه وضعت غيره (٢) يريد
انه لا شبع فيه (٣) يشير به الى ذهاب اللبن لان ذهاب ولدها يدفع لبنها
فكانه اذا فعل ذلك كفى اناؤه وأراقه (٤) يعنى تفجعها بولدها (٥) معنى البيت

وقد هجا شاعرهم رجلا فشبهه برأس بقرة قد قاربت أن يذهب بصرها
فلا تصلح الا للذبح والسك فقال

لقد أنكحت أسماء رأس بقيرة من الادم أهداها أمرؤ من بني غنم
رأى قدعا في عينها اذ يسوقها الى غناب العزى فوسع في القسم (١)
وكذلك كانوا يصنعون اذا انحروا هديا قسموه فيمن حضرهم و (كانوا)
يهلون بأسمائها عند الذبح فيقولون باسم اللات أو العزى مثلا وغلوا في ذلك
حتى قالت كفار قریش ما ذكر اسم الله عليه فلا تأكلوه وما ذبحتم لغيره فكلوه
حرم الله ذلك واعتبر ذبيحتهم نجسة يحرم أكلها بقوله (ولا تأكلوا مما لم
يذكر اسم الله عليه وانه لنفسق (٢)) وتبع نصارى العرب كفار قریش في
تعمد ترك اسم الله تعالى عند الذبح ولذلك نهى عليه الصلاة والسلام عن ذبيحة
نصارى العرب على أن من العرب من فتح الله بصيرته فلم سوء صنيعهم هذا
من هؤلاء زيد بن عمرو بن ثعلبة وكان ممن اعتزل عبادة الاوثان وحرم أكل
ذبائح المشركين ومن قوله في ذلك (يا معشر قریش أيرسل الله قطر السماء وينبت
بقل الارض ويخلق السائمة فترعى فتذبحونها لغير الله)

ومن أنواع قرابينهم في الجاهلية البجيرة والسائبة والوصيلة والحامى وورد
ذكر الثلاثة الاخيرة في قول الشاعر

حول الوصائل في شريف حقة والحاميات ظهورها والسائب (٣)

زل الصقر عن القطة وأشرف على رأس (سرقبة) وهى المكان المرتفع حيث
يرقب الرقيب وقوله (كمنصب العتر) أى كأن الصقر مما به من الدم الحجر
الذى يمتد عليه وهو النصب و (العتر) ذبح كان يذبح في رجب (١) القدح
ضعف البصر من ادمان النظر و (الغناب) المنحر مهراق الدماء (٢) فسر النفسق
بمتروك التسمية عمدا لقوله تعالى أوفسق أهل لغير الله به (٣) حول جمع حائل
ويقال فى جمعها أيضا حوال والحائل كل أنثى لاتحمل و (الشريف) اسم موضع
واذا طعنت الابل فى الرابعة فهى حق وحقة و (وصائل) ووصل جمع وصيلة
و (سيب) وسوائب جمع سائبة - وفى نسخة حول الفصائل

وتتميز كل واحدة منها عما عداها بعلامة كما قال الجاحظ « وقد أعلم العرب البحيرة بغير علم السائبة لتمييز عنها واعلموا الخاي بغير علم الفحول وكذلك الفرع والرجبية والوصيلة والعتيرة من الغنم وكذلك سائر الاغنام السائمة » ولابن معانيها فنقول ، أما البحيرة فهي فعيلة بمعنى مفعولة من البحر وهو الشق جمعها بحائر وبحر . وفسرها الزجاج بأهل الجاهلية كانوا اذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنوا وحرموا نحرها وركوبها ولا تطرد من ماء . ولا تمنع من مرعى واذا لقبها المعى لم يركبها وفسرها ابن اسحاق بأنها بنت السائبة (١) وتلقبها ابن هشام بأنها عند العرب ليست كذلك بل البحيرة عندهم الناقة تشق أذنها فلا يركب ظهرها ولا يجز وبرها ولا يشرب لبنها الاضيف ولا يتصدق به وتهمل لآلهتهم

وقال الكلبي كانت الناقة اذا نتجت خمسة أبطن فكان الخامس ذكرا أكله الرجال دون النساء وان كان أنثى بحروا أذنوا وشقوها وترك لا يشرب لها لبن ولا تركب قيل ولا يجز لها وبر ولا يحمل عليها شيء ولا يذكر اسم الله عليها ان ذكيت وتكون ألبانها للرجال دون النساء وان كانت سبعة اشترك فيها الرجال والنساء . وقيل البحيرة الناقة التي ولدت خمسة أو سبعة وقيل بل عشرة أبطن وترك هملا واذا مات حل لحمها للرجال خاصة وقيل هي في الشاة خاصة اذا نتجت خمسة أبطن بحرت . وعن ابن المسيب انها التي منع لبنها للطواغيت فلا تحلب . وقيل هي السبق الذي اذا ولد شقوا أذنه وقالوا اللهم ان عاش ففقتي وان مات فذكي فاذا مات أكلوه . وقيل التي ترك في المرعى بلا راع

أما السائبة فهي فاعلة من سيبت أي تركته وأعملته فهو سائب وهي سائبة قال ابن اسحاق هي الناقة اذا تابعت بين عشر أناث ليس بينهن ذكر سيبت فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الاضيف فما نتجت بعد ذلك من أنثى شقت أذنها ثم خلى سبيلها مع امها فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الاضيف كما فعل بأمها فهي البحيرة بنت السائبة وتلقبها

(١) من معانيها في القاموس انها ابنة السائبة وحكمها حكم أمها

ابن هشام بلذ السائبة عند العرب هي التي ينذر الرجل أن يسيبها أن يرى من مرضه أو أن أصاب امرا يطلبه فإذا كان ذلك اسلب ناقة من آبله أو جهلا لبعض آهتهم فسابت فرغت لا ينتفع بها وعن أبي عبيدة كان الرجل إذا قديم من سفر بعيد أو نجته دابته من مشقة أو حرب . قال هي سائبة أو كان ينزع من ظهرها فقارة أو عظما (١) وكانت لاتنعم من ماء ولا كلاء ولا تركب وكان هذا نذرا من نذورهم وقيل هي البعير الذي يدرك تتاج نتاجه فيترك ولا يركب وقيل ماترك ليحج عليه وعن ابن عباس وابن مسعود أنها التي تسبب للانصنام فتعطى للسدنة ولا يطعم من لبنها الا أبناء السبيل ونحوهم والسائبة أيضا العبد يمتق على ألا يكون عليه ولاء ولا عقل ولا ميراث

وأما الوصيلة فهي فعيلة بمعنى فاعلة على الاظهر وقيل بمعنى مفعولة وفسرها ابن اسحاق بأنها الشاة إذا تأمت عشر أناث متتابعات في خمسة أبطن ليس بينهن ذكر جعلت وصيلة قالوا قد وصلت . فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور منهم -م دون أناتهم (٢) الا ان يموت منها شيء فيشترك في أكله ذكورهم وأناتهم . وتعبه ابن هشام بان الوصيلة عند العرب هي التي تلدها اثنين في كل بطن فيجعل صاحبهما لآلته الاناث منها ولنفسه الذكور فتلدها (٣) أمها ومعها ذكر في بطن فيقولون وصلت أخاها فيسبب أخوها معها فلا ينتفع بهما

وقال الفراء هي الشاة تنتج سبعة أبطن عناقين (٤) عناقين واذا ولدت في آخرها عناقا وجديا قيل وصلت أخاها فلا يشرب لبن الام الا الرجال دون النساء وتجري مجرى السائبة . وعن ابن عباس هي الشاة تنتج سبعة أبطن فان

(١) نقل القلقشندي في صبح الاعشى سببا آخر لاغلاق الظهر اذ قال كان الرجل منهم اذا بلغت ابلة مائة عهد الى البعير الذي كملت به المائة فاغلاق ظهره بأن ينزع شيئا من فقراته ويعقر سنامه كي لا يركب ليعلم ان ابلي صاحبه قد أمأت (٢) بروي فكان ما ولدت بعد ذلك لذكور بينهم دون أناتهم (٣) أي الانثى (٤) العناق كسحاب الانثى من أولاد المزمجمة أعنق وعنوق

كان السابع انى لم ينتفع النساء منها بشى الا أن تموت فيأكلها الرجال والنساء وكذا ان كان ذكرا وانى قالوا وصلت أخاها فترك معه وينتفع بها الرجال دون النساء فان ماتت اشتركوا فيها . قال ابن قتيبة ان كان السابع ذكرا ذبح وأكلوا منه دون النساء . وقالوا خالصة لذكورنا محرمة على أزواجنا وان كان انى تركت في الغنم وان ذكرا وانى فكقول ابن عباس

وقال الزجاج هي الشاة اذا ولدت ذكرا كان لآلهتهم واذا ولدت انى كانت لهم واذا ولدت ذكرا وانى قالوا وصلت أخاها أى دفعت عنه الذبح فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم . وقيل هي الشاة تنتج خمسة أبطن أو ثلاثة فان كان جديا ذبحوه وان كان انى أبقوها وان كان ذكرا وانى قالوا وصلت أخاها . وقيل الوصلة من الابل هي الناقة التي وصلت بين عشرة أبطن لا ذكر بينها . وقيل أنها الناقة التي تمكر فتلد أنى ثم تنثى بولادة أنى أخرى ليس بينهما ذكر فيتركونها لآلهتهم ويقولون قد وصلت أنى بأنى ليس بينهما ذكر

وأما الحامى فهو فاعل من الحمى بمعنى المنع واختلف فيه . فقال ابن اسحاق انه الفحل اذا نتج له عشر أنثى متتابعات ليس بينهما ذكر حتى ظهره . فلم يركب ظهره ولم يحز وبره وخلقى في ابله يضرب فيها لا ينتفع منه بغير ذلك وقيل هو الفحل ينتج له سبع أنثى متواليات فيحمى ظهره . وقال الشافعى انه الفحل يضرب في مال صاحبه عشر سنين وقال الفراء هو الفحل اذا لقح ولد ولده فيقولون حمى ظهره فيهمل ولا يطرد من ماء ولا مرعى . وقال ابو عبيدة والزجاج انه الفحل يولد من ظهره عشرة أبطن فيقولون حمى ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى . وروى هذا القول عن ابن عباس وابن مسعود

وكانوا يرون أن الضرورة تبيح المحظور . وشاهده ما رواه المفضل الضبي أن جبيلة بن عبد الله أخا بنى قريع بن عوف أغار على ابل جرية بن أوس بن عاصم يوم سلق فاطرد ابله غير ناقة كانت مما يحرم أهل الجاهلية ركوبها وكان لجرية ابن أخت يرعى ابله فبلغ الخبر خاله والقوم قد سبقوا

بالأبل غير تلك الناقة الحرام فقال جرية للسلام رد على تلك الناقة لاركبها في أثر القوم فقال الغلام انها حرام فقال جرية «حرامه يركب من لاحلال له» فخرجت مثلاً لمن اضطر الى ما يكرهه

واختلاف أئمة اللغة والمفسرين في معناها يرجع لاختلاف القبائل في ذلك فنقل بعضهم عن قبيلة معنى يخالف ما نقله غيره عن قبيلة أخرى وبهذا تعلم أن لا وجه لابن هشام في تعقبه ابن اسحاق ويؤيد ما ذهبنا اليه ما رواه أبو هريرة ان النبي عليه السلام قال ان عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف أول من غير دين اسماعيل وبحر البحيرة وسيب السائبة وحى الحامى وما رواه زيد بن أسلم أن رسول الله: قال قد عرفت أول من بحر البحائر رجل من مدلج كانت له ناقتان جدد آذانهما وحرم ألبانهما وظهورهما وقال هاتان لله ثم احتاج اليهما فشرب ألبانهما وركب ظهورهما قال فلقد رأيته في النار يؤذى أهل النار ريح قصبه فقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام في حديث أبي هريرة أن أول من بحر البحيرة عمرو بن لحي وهو أبو حزاعة من القحطانية (١) وآخر في حديث زيد بن أسلم أن أول من بحرهما رجل من مدلج وهم بطن من كنانة بن خزيمة بن مدركة من العدنانية وأوليتهما انما هى بالنسبة لمن اتبهما فيما ابتدعا فلا ينأى أولية غيرهما فاختلف المعنى لاختلاف الواضعين وقد أبطل الشارع ذلك وحرمه لقوله تعالى (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون) وقوله (وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعيمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء (٢) سيجزيهم

(١) قال القاضى عياض المعروف فى نسب خزاعة انه عمرو بن لحي ابن قعدة بن الياس بن مضر وعليه فهو من العدنانية وان لم يكن من بنى مدلج (٢) الحجر الحرام كانوا لا يطعمون ما جرّموا من الحرث والانعام الا من

وصفهم (١) انه حكيم عليم »

الاستقسام بالازلام

من عاداتهم معرفة ما قدر لهم بالاستقسام بالازلام أى القداح فاذا أراد أحدهم سفرا أو غزوا أو تجارة أو أمرا من معازم الامور ضرب بالقداح وهى ثلاث قطع من الخشب مكتوب على بعضها نهانى ربى وعلى بعضها أمرنى ربى وبعضها غفل كذا قال الفراء فان خرج الآسرمضى لطيته وان خرج الناهى أمسك وان خرج الغفل أجالها عودا . وقيل كان يستقسم بقدحين مكتوب على أحدهما افعل وعلى الثانى لا تفعل . فان خرج افعل مضى وان خرج لا تفعل ترك وقيل كان لا يمضى حتى يخرج له لا تفعل ثلاث مرات فان خرج له مرة افعل ومرة لا تفعل ولم يخلص له أحدهما ثم مضى فى ذلك فقد مضى وهو يرحو ويخاف . وذهب ابن ظفر الى أن الازلام سبعة قداح مكتوب على أحدها نعم وعلى الآخر لا وعلى قدح منكم وعلى قدح من غيركم وعلى قدح ملصق وعلى قدح العقل وعلى قدح فضل العقل وكانت بيد سادن الاصنام فيأتيه ذو الحاجة بدراهم فيسأل الصنم أن يوضح له ما سأل عنه بضرب القداح . وجعلها ابن هشام سبعة أيضا لكنه اسقط فضل العقل وجعل سابعها للمياه اذا أرادوا أن يحفروا المياه ضربوا به فما خرج عملوا به وذكر انها كانت عند الصنم هبل شياءوا من خدمة الاوثان والرجال دون النساء . وكانوا يحرمون ظهور السوائب والبحائر والحوامى وكانوا يحرمون ذكر اسم الله على بعض الانعام فلا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها كما حرموا ذكر اسمه تعالى على ما ذبح للإصنام وجعلوا ما فى بطونها للذكور دون الاناث . وفى الآية من الفقه الزجر عن التشبه بهم فى تخصيصهم الذكور دون الاناث بالهبات حكى البخارى فى التاريخ ان عمرة روت عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يعمد أحدكم الى المال فيجعله عند ذكور ولده ان هذا الا كما قال الله تعالى « وَقَالُوا مَا فِى بَطْنِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذَكَرِنَا » (١) أى سيجزيهم الله بما كذبوا عليه فى التحليل والتحرير.

فكانوا يذهبون اليه اذا أرادوا أسرا مما يستشار فيه ويعطون الذي يضرب بالقداح مائة درهم وجزور فان شكروا في نسب أحد قربوا من يشكون في نسبه ثم قالوا يا إلهنا هذا فلان ابن فلان قد أردنا به كذا وكذا فأخرج الحق فيه ويأمرون صاحب القداح أن يضرب بالقداح الموسومة بمنكم ومن غيركم وملصق فان خرج منكم أضافوا نسبه الى أنفسهم وان خرج من غيركم كان حليفا وان خرج عليه ملصق كان على منزلته فيهم لان نسب له ولا حلف واذا تنازعا في العقل وهي دية المقتول أحضروا المتهم بالقول واستقسم لهم الامين بقدحين أحدهما موسوم بالعقل والآخر غفل فان خرج الموسوم بالعقل تحمل الدية وان خرج الغفل لا وان اشتبهوا فيمن يحمل العقل منهم ضربوا بهذين القدحين أيضا فان خرج على قوم العقل برئ منه الآخرون وان عقلوا ففضل شيء فان اختلفوا فيه ضرب بالقدح الموسوم بفضل العقل فان خرج عليه أداه واذا أرا. وا معرفة ما في فعل أسر من خير أو شر أجال لهم أمين القداح قدحى أمرني ربي ونهاني ربي (١) فان خرج قدح الامر ائتمروا وباشروا المسئول عنه من حرب أو سفر أو زواج أو ختان أو بناء أو نحو ذلك وان خرج قدح المهى أخروا ذلك العمل الى سنة أخرى فاذا انقضت استقسموا مرة أخرى

هذا ما ذكره الثقات ويتأخص من كلامهم ان الاستقسام عام وخاص فالعام ما يزاوله كل واحد بان يعمد الى ثلاث قداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الآخر نهاني ربي والثالث غفل فيضعها في خريطة ويحيطها ثم يخرج منها واحدا فان خرج الامر فعل وان خرج الداهي ترك وان خرج الغفل أعاد . والخاص وهو ما يراد منه الحكم لا مجرد الاستشارة ويكون لدى سادن الصنم كما اذا أرادوا معرفة من عليه العقل أو غير ذلك وقال ابن اسحاق كان لهبل سبعة قداح يضرب بها على الميت والعذرة والسكاح وكان قربانه مائة بعير . وكان له حاجب . وكانوا اذا جاءوا هبل بالقربان ضربوا بالقداح وقالوا (١) يروى ان الاستقسام حينئذ بقدحين كتب على احدهما نعم وعلى

الآخر لا

انا اختلافنا فهب السراحا ثلاثة ياهبـل فصاخا
الميت والعذرة والنكاحا والمبرئ المريض والصباحا
ان لم تقله فر القداحا

ولم يقصرها الفلقشندى فى صبح الاعشى على سبعة لقوله « كانوا اذا ارادوا فعل امر ولا يدرون ما الامر فيه أخذوا قداحا مكتوباً على بعضها افعل . وعلى بعضها لا تفعل وعلى بعضها نعم وعلى بعضها لا وعلى بعضها خذ وعلى بعضها سر وعلى بعضها سريع فاذا أراد احدهم سفراً مثلاً أتى سادن الارثان فيضرب له بتلك القداح ويقول اللهم أيها كان خيراً له فآخِرْه فما خرج له عمل به واذا شكوا فى نسب رجل أجالوا القداح وفى بعضها مكتوب سريع وفى بعضها مكتوب ملحق فان خرج السريع اثبتوا نسبه وان خرج الملحق نقوه وان كان بين اثنين اختلاف فى حق سمي كل منهما له سهماً وأجالوا القداح فمن خرج سهمه فالحق له » ومن شواهد الاستقسام عند النصب قول طرفة بن العبد

للفتى عقل يعش به حيث تهدى ساقه قدمه

أخذ الازلام مقتسماً فأنى اغواهما زلمه (١)

عند انصاب لها زفر فى صعيد حمة ادمه (٢)

واخبار استقسامهم كثيرة فمنها ما حكاه الاصمغانى وغيره انهم كانوا يستقسمون عند ذى الخلصة وان امراً القيس لما قتل بنو أسد اباه حجراً اخذ أزالامه وأتى الصنم ذا الخلصة فاستقسم فخرج له القدح الذى يكره فكسر الازلام وضرب بها وجه الصنم وقال لو كان ابوك قتل ماعقتنى ثم انشد لو كنت يا ذا الخلصة الموتورا مثلى وكان شيخك المقبوراً

(١) يروى : فافاض القدح مقتسماً و (اغواهما) من الغواية وثنى الضمير

فى اغواهما وهو للازلام لان الشمر لحكم قافيته يحتمل ما لا يحتمله النثر و (الزلم) واحد الازلام

(٢) الانصاب الحجارة التى كانوا يذبحون عليها و (الصعيد) التراب و

(حمة) كثيرة و (ادمه) جلوده يعنى جلود ما حمل الرجل الى الانصاب

لم تنه عن قتل العداة زورا

ثم خرج فظفر بنى أسد . قال أبو المذر فلم يستقسم أحد عند ذى الخليفة بعد ذلك حتى جاء الاسلام فكان امرؤ القيس أول من أحفر

ومن ذلك ما حكاه ابن اسحاق «أن عبد المطلب بن هاشم شرع فى حفر بئر زمزم فلما تمالى به الحفر وجد فيها غزالين من ذهب وهما الغزالان اللذان دفنت جرم فىهما حين خرجت من مكة ووجد فيها أسيافا قلعية (١) وأدراعا فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا معك فى هذا شرك وحق قال لا ولكن هلموا الى أمر نصف بينى وبينكم نضرب عليها بالقداح . قالوا وكيف تصنع قال أجعل للكعبة قدحين ولى قدحين ولكم قدحين فن خرج له قدحاه على شئ كان له ومن تخلف قدحاه فلا شئ له قالوا أنصفت فجعل قدحين أسودين له وقدحين أصفرين للكعبة وقدحين أبيضين لقريش وضرب صاحب القداح بها عندهبل أعظم أصنامهم وهو الذى عناه أبو سفيان بن حرب يوم أحد حين قال اعل هبل أى أظهر دينك فخرج الأصفران على الغزالين وخرج الاسودان على الإسياف والادراع لعبد المطلب وتخلف قدحا قريش فضرب عبد المطلب الاسياف بابا للكعبة وضرب فى الباب الغزالين من ذهب فكان أول ذهب حليته الكعبة فينا يزعمون

ومنها ان قريشا استقسمت فى غزوة بدر الكبرى عند هبل للخروج للحرب رسول الله فاستقسم أمية بن خلف وعتبة وشيبة نحر القدح الهاوى فاجمعوا المقام حتى أزعجهم أبو جهل وخرج زمعة بن الاسود حتى اذا كان بذى طوى أخرج قداحه واستقسم بها نحر القدح الهاوى عن الخروج فلقي غيظا ثم أعادها الثانية فلقى مثل ذلك فكسرها وقال ما رأيت كاليوم قدحا كذب ومن الشواهد على استقسام الرؤساء بالازلام قول شمعلة بن أخضر الضبي جلبنا الخيل من أطراف فلج ترى فيها من الغزو أقورارا (٢)

(١) نسبة الى القلعة بلد ببلاد الهند واليه ينسب السيوف (٢) فلج اسم

بلد و (الاقورارا) الضمور والتغير

بكل طمرة وبكل طرف يزبن سواد مقلته العذارا (١)
حوالى عاصب بالرأس منا جمين أغر يستلب الدرارا (٢)
رئيس ما ينازعه رئيس سوى ضرب القداح اذا استشارا
على أن منهم الحازم الذى لا يستشير قداحه بل اذا هم بالامر مضى فيه
كجذع بن سنان حيث يقول

أتانى قائم وبنو أبيه وقد جن الدجى والليل لاحا
وحذرنى أمورا سوف تأتى أهر لها الصوارم والرماحا
سامضى للذى قالوا بمزيم ولا أبنى لذلك قداحا

وقد حدث الاستقسام بالازلام فيهم بعد أن كانوا يعتمدون فى المعرفة
على الرؤيا المنامية . وقد رأى رسول الله صورة ابراهيم واسماعيل وفى
أيديهما الازلام فقال لقد علموا أنهما لم يستقما قط وقد حرمه الله تعالى
وجعله رجسا أى مأثما وفسقا فى قوله (اما الحجر والميسر والانصاب والازلام
رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) وقال (وان تنقسموا بالازلام ذلكم فسق)
واما حرمه لانه تهجم على علم الغيب الذى استأثر به علام الغيوب وقال (لا يعلم
من فى السموات والارض الغيب الا الله) فان الغيب لا يمكن ادراكه بصناعة
من الصناعات واقتراء على الله فى قوله أمرنى ربى ونهى ربى وما يدرى أنه
أمره ونهى . ومن الفسق أيضا الرجوع الى الكهنة والمنجمين لان مفسدته
كهذه المفسدة

❖ الاقسام ❖

اذا أراد أحدكم فعل أمر أو تركه وخشى أن تهن عزيمته قواها بالخلف
لان الخنث يوجب المؤاخذه . فكانوا يحلفون بمعبوداتهم وبشعائر دينهم

(١) الطمرة الفرس الكريم و (الطرف) الكريم الطرفين من
الامهات والآباء (٢) (الدر) النفس وجمعه الدرار يعنى أنه شجاع يقترب
النفوس

وبما عظم فيه ولما كان قصد تعظيم المحلوف به غاية التعظيم هو داعية البر في
اليمين وهذا نوع من أنواع العبادة وهي لاتليق لغير الله تعالى قال عليه الصلاة
والسلام من كان حائفا فليحلف بالله أو ليصمت فخرم الحلف بالنبي وبأحد من
ذريته وبالكعبة والصالحين والكن المسلمين خصوصا في هذه الايام لبسوا
الذين مقلوبا وفعلوا ما نهوا عنه (وكان العرب) مع اختلاف عقائدهم ونحلهم
يحلِفون بالله تعالى وبصفاته لانهم ما عبدوا الاصنام الا لتقربهم اليه بل كان
الحلف به أعظم ايمانهم قال الباقية الديباني

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب
وقال أوس بن حجر

وباللوات والعزى ومن دان دينها وبالله ان الله منهمن أكبر
ومن الحلف بصفاته تعالى قول عنتره العبسي

قسما بالذي أمات وأحيا وتولى الارواح والاجساما
وقول مهلهل التغلبي

قتلوا كليبا ثم قالوا لا تثب كلا ورب البيت ذى الاحرام

وقولهم لا ورب هذه البنية . (١) لا وقائت (٢) تقسى القصير . وقولهم
لا والذي لا أنقيه الا بقتله (٣) لا والذي أخرج العذق (٤) من الجريمة (٥)
والنار من الوثيمة (٦) لا ومة قطع القطر . لا وفالق الاصباح . لا ومهب الرياح .
لا ومنشر الارواح . لا والذي مسحت أيمن كعبته . لا والذي جلد الابل
جلودها . لا والذي شق الجبال للسيل والرجال للخيل . لا وبارئ الخلق .
لا والذي يراني من حيث ما نظر لا والذي نادى الجميع له لا والذي رقصن
ببطحائه . لا والذي أمد اليه ييد قصيرة . لا والذي كل الشعوب تدنيه .

(١) كغنية الكعبة (٢) القائت من القوت يعطيه قليلا قليلا

(٣) أى كل شيء منى مقتل من حيث شاء قتلى (٤) النخلة (٥) الدواه

(٦) هي الموثومة أى المربوطة يريد به قدح حوافر الخيل النار من

لا والذي وجهى زمم بيته (١) لا والذي شقهن (٢) خسا من واحدة لا والذي
أخرج قاتبة من قوب (٣) وقد أكثروا من الحلف بشعائر الحج ومشاهده لانهم
كانوا على اختلاف نحلهم يرون الحج من دين ابراهيم واسماعيل وحلف زهير
ابن أبي سلمى بالكعبة فقال

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجهم
وحلفوا بزمزم والحطيم قال ابن دريد وسمى بالحطيم لان أهل الجاهلية
كانوا يحلفون به فيحطم الكاذب وحلف زهير بن أبي سلمى بالمنازل من منى فقال
فأقسمت جهدا بالمنازل من منى وما سحقت فيه المقادير والقمل
حتى حلفوا بالابل التي تؤم مزدلفة فقالوا لا والراقصات ببطن جمع
وبالتي تؤم منى قال أعشى قيس

حلفت له بالراقصات الى منى اذا محرم خلفته بعد محرم
وحلفوا بشهر رجب لتعظيمهم له لانه الشهر الذي كانوا يعتمرون فيه ويذبحون
فيه العتيرة وهي الرجبية وحلف الوثنيون بالاصنام وبما ألبسته من الثياب
وبالانصاب وهي حجارة كانت في الجاهلية يهل عليها ويذبح وبما هريق لها
أو عابها من الدماء قال مهلهل بن ربيعة

قتلوا كليباً ثم قالوا ارتعوا كذبوا لقد منعوا الجياد ارتعوا
كلا وانصاب لنا عادية معبودة قد قطعت تقطيعا

وقال طرفة بن العبد يخاطب الملك عمرو بن هند
انى وجدك ما هجوتك وال انصاب يسفح بينهن دم

وقال النابغة الذبياني

فلا لعمرو الذي مسحت كعبته وما هريق على الانصاب من جسد (٤)
ما قلت من منى مم..... أتيت به اذا فلا رفعت سوطى الى يدي

(١) أى تجاهه وحذاه - (٢) يعنون الاصابع (٣) يعنون فرخا من بيضة

(٤) رواية فلا ورب الذى قد زرتة حججا و (الجسد) والجساد الثعفران

والمراد به هنا الدم

وقال رشيد بن رميض العنزي
 حلفت بمائزات حول عوض وأنصاب تركن لدى السعير
 وقال المتلث من قصيدة يهجو بها عمرو بن هند الملقب بالهرق
 أطردتني حذر الهجاء ولا واللات والانصاب لا تثل (١)
 وحلف مهلهل بن ربيعة بالحرام والحل فقال
 كذبوا والحرام والحل حتى يسب الخدر بيضه المحجولا (٢)
 وحلف عدى بن زيد وكان نصرانيا بالله والصليب فقال يخاطب النعمان
 لما حبسه

سمى الاعداء لا يألون شرا علبك ورب مكة والصليب
 ارادوا كي تمهل عن عدى ليسجن او يدهده في القليب
 وحلفت النصارى بالابيل وهو الناسك والراهب قال في لسان العرب (وكانوا
 يعظمون الابيل فيحلفون به كما يحلفون بالله) حتى حلف الاعشى بمسوح
 الراهبان فقال :

حلفت بشوبي راهب الدير والي بناها قصي والمضاض بن جرهم
 وحلفوا بانفسهم فقالوا لعمري أى وبقائي ولعمرك قال طرفة بن العبد
 لعمرك ما أمرى على بغمه نهارى ولا ليلي على بسرمد (٣)
 وحلفت العرب بالآباء قال عروة بن الورد
 فلا وائيك لو كاليوم أمرى ومن لك بالتدبر في الامور
 وكانت قريش تحلف بأبائهم فنهزم النبي عليه السلام عن ذلك بقوله لا تحلفوا
 بابائكم (وكانوا) يحلفون بالملح والرماد كقول الاعشى في حرب ذي قار فيما
 رواه الاصمهاني في الاغانى

حلفت بالملح والرماد وبالعنزي وباللات تسلم الحلفه

(١) أطردتني أى صيرتني طريدا . وىروى والله والانصاب . (و لا تثل)
 لا تنجو (٢) الحل بالكسر ما جاوز الحرم (٣) الغمة الكرب (و السرمد)
 الدائم اى اذا همت بأمر أمضيته وأمضى همى بالليل ولا ابالى طوله

حتى يظل الهمام منجدلاً ويقرع النبل طرة الدرفة
وقد اختلفوا في المراد باسمهم المقسم به من قول أعشى قيس
رضيحي لبان ثدى ام تحالفا باسم داج عوض لا تنفرق
على سبعة أقوال ذكرها ابن السيد البطليموسى فى الاقتضاب أولها هو
الرماد وكانوا يحلفون به قال الشاعر

حلفت بالملح والرماد وبالنار وبالله تسلم الحلقة
حتى يظل الجواد منعفرا وتخضب النبل غرة الدرفة

(ثانيها) هو الليل (ثالثها) هو الرحم (رابعها) هو الدم لانهم كانوا
ينمسون ايديهم فيه اذا تحالفوا حكى هذه الاقوال الاربعة يمتوب وحكى
غيره وهو (الخامس) انه حلقة الثدى وقيل وهو (السادس) زق الحمر وقيل
وهو (السابع) دماء الذبائح التى كانت تذبح للاصنام وجعله اسحما لان الدم
اذا بفس اسود قال ابن السيد وابعده هذه الاقوال من قال انه الرماد لان الرماد
لا يوصف بانه اسحم ولا داج وانما يوصف بأنه أورق ومن ذكر حلفهم بالنار
ابن قتيبة فى ابيات الممانى عند الكلام على نار التحالف حيث قال كانوا يحلفون
بالدار وكانت لهم نار يقال أنها كانت بأشواف اليمن لها سدة فاذا تقاوم الامر
بين القوم خلف بها انقطع النزاع بينهم وكان اسمها هولة والمهولة وكان سادنها
اذا أتى برجل هيمه من الحلف بها ولها قيم يطرح فيها الملح والكبريت فاذا
وقع فيها استشاطت فيقول هذه النار قد تهددتك فاحلف فان كان مريبا نكل
وان كان بريئا حلف قال أوس بن حجر يصف عيرا على مرتفع من الارض
اذا استقبلته الشمس صد بوجهه كما صد عن نار المهول حالف (١)

وقال الكميث

همخوفونا بالمعى هوة الردى كما شب نار الخالفين المهول
وقال ابو عبيدة كان فى الجاهلية لكل قوم نار وعايها سدة وكان اذا
وقع بين الرجلين خصومة جاء من ثبت عليه اليمين الى النار فيحلف عندها
(١) كحدث المحلف

وكان السدنة يطرحون بهاملحا من حيث لا يشعر يهولون بها عليه قال الكميث
وذكر امرأة

فقد صرت عما لها بالمشيب زوالا لديها هو الازول

كهولة ما أوقد المحلفون لدى الخالفين وما هولوا (١)

وفي القاموس « التهويل شيء كان يفعل في الجاهلية اذا أرادوا أن
يستحلّفوا انسانا أوقدوا نارا ليحلف عليها وكان السدنة يطرحون فيها مملحا
من حيث لا يشعر يهولون بها عليه والجمع التهويل ». والتحليف عند الدار
أو بها أثر من آثار المجوسية سرى لهم من مجاورتهم لفارس

وحلفت الكهان بما جل قدره وعظم خطره كالسما والارض والليل
والنهار والشمس والقمر وامتازوا عن غيرهم بكثرة الايمان في صدر كلامهم
وأخبارهم بالمغيبات كقول سلمى الهمدانية الحميرية

والخفو والوميض (٢) والشفق والاعريض (٣) والقلّة والحضيض ان

خزيما لمنيع الجيز (٤) وقول زبراء أمة حويلة والليل الفاسق واللوح (٥)

الخفاق والنجم الطارق والمزن الوادق ان شجر الوادي ليأدوا (٦) ختلا

وقول الكاهن الخزاعي لما تنافر اليه أمية بن عبدشمس وهاشم بن عبد مناف

والقمر الباهر. والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجومن طائر وما اهتدى

بعلم مسافر من منجد وغائر لقد سبق هاشم أمية الى المفاز ولامية أو آخر.

ولقد اقسم الله في القرآن بكثير من الارمنة والامكنة والاشياء وحاشاه ان

يحتاج في تأكيد اخباره الى القسم بشيء هو صنع قدرته بل اقسم لاغراض

منها تقرير وجود المقسم به في عقل من انكره وتعظيم شأنه عند من احتقره.

أولئك الغافل الي موضع العبارة فيه او غير ذلك من الاغراض الشريفة

(١) هاله هولا افزعه كهوله فاهتال

(٢) الخفو اللمعان الضعيف (والوميض) اشد من الخفو (٣) الاعريض

حجارة النورة (٤) الجيز الناحية (٥) اللوح بضم اللام الهواء بين السماء

والارض واللوح بفتح اللام العطش (٦) ادوت له ادوا ختلته

أما الحلف بالطلاق فما كانت العرب تعرفه ولا نستحلف به وفي محاضرات الأدباء ١ واول من استحلف به ابن مسleme وكان واليا على كرمان استحلف جنده بالطلاق فقال بعضهم

رايت هذيل احدثت في طلاقها طلاق نساء لم يسوقوا لها مهرا
وقيل ان اول من استحلف بالطلاق العباس بن عبد المطلب استحلف الانصار ليلة العقبة حين اخذ عليهم البيعة لرسول الله « ويبعد صدور ذلك عن العباس خاصة وعن العرب عامة لانهم لم يكونوا يذكرون الطلاق الا عند ارادة حل عقدة الزواج واني لم اعثر على ذكر ذلك في سيرة من السير ولو صح لنقل واستفاض وكانت بيعة رسول الله ان يقول لمن بايعه بايعتك او ابايعك على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره فحدث الحجاج كما قال ابن قيم الجوزية بيعة غير هذه تتضمن اليمين بالله تعالى والطلاق والعناق وصدقة المال والحج (كانوا) يغفلون الايمان بالحلف عند الامكنة المحترمة كالانصاب وشاهده قول طرفة بن العبد

فأقسمت عند النصب اني لهالك بمثلقة ليست بغبط ولا خفض (١)
او مكة كقول زهير بن ابى سلمى

فتجتمع أيمن ما ومنكم بمقسمة تمور بها الدماء (٢)
او الحطيم وفي القاموس « والحطيم حجر الكعبة او جداره او ما بين الركن وزمزم والمقام وزاد بعضهم الحجر او من المقام الى الباب او ما بين الركن الاسود الى الباب الى المقام حيث يتحطم الناس للدعاء وكانت الجاهلية تتحالف هناك »

وكانوا يجردون على البر في اليمين وعدم الخنث فيها حتى لقد زعم علماء كندة كما حكاه الاصمعياني في الاغانى ان جد اسرى القيس وهو الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن معاوية بن نور وهو كندة خرج الى الصيد

(١) المتلفة المفازة و (بغبط) أى تفتبط (٢) المقسمة موضع القسم

وأراد بها مكة حيث تنحر البدن فتسيل دماؤها

فألظ بقيس (١) من الظباء فأعجزه فألى الية ألاياً كل اولاً الا من كبده فطلبته الخليل ثلاثاً فأتى بعد ثلثه وقد هلك جوعاً فشوى له بطنه فتناول فلذة من كبده فأكلها حارة فمات وفى ذلك يقول الوليد بن عدى الكندى فى بنى بجيلة فشوا فكان شواهم خبطاله ان المنية لا تجل جايلاً

و (كانوا) لا يتركون المحلوف عليه الا اذا وجدوا مخرجاً من اليمين. وشاهده ما ذكره ابن رشيقي فى العمدة من ان المنذر بن ماء السماء حلف فى يوم اواره الاول ليقتلن بكرى على راس اواره حتى يلحق الدم بالحضيض فشفع لهم رضيع المنذر مالك بن كعب العجلي وقال للمنذر انا اخرجك من يمينك فصب الماء على الدم فلحق الارض وبر يمين المنذر فكف عن القتل وماروى ان الحارث ابن عباد آلى الا يصالح تغلب حتى تكلمه الارض فلما كثرت قائمته فى تغلب ورات تغلب انها لا تقوى عليه حفروا سرباً تحت الارض وادخلوا فيه رجلاً وقالوا اذا مر بك الحارث فغن بهذا البيت

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض فلما أتى الحارث على ذلك الرجل غى بذلك البيت فقيل للحارث بر قسمك فأبقى بقية قومك ففعل واصطلحت بكر وتغلب (وكانوا) يخافون عقوبة الله فى الحنث ولا نعلم من تجرأ على الله بالحلف حاشا قبل امرئ القيس فى قوله فقلت يمين الله أبرح قاعدا وإن قطعوا رأسى لديك وأوصالى (٢) حلفت لها بالله حلقة فاحر لأموا فما ان من حديث ولا صالى ولقد نحنا نحوه الشماخ بن ضرار الغطفانى فى الاسلام فقال

وجاءت سليم قضها بقضيضها تمسح حولى بالبقيع سبها (٣)

يقولونلى يا احلف ولست بحالف أخادعهم عنها لكيا أناها (٤)

(١) الظ به لازمه ولم يفارقه (٢) تعارفوا يمين الله حلفاً به تعالى (٣) قضها بقضيضها بالنصب اى منقضاً آخرهم على اولهم و (البقيع) موضع بالمدينة و (السبال) جمع سبله وهى مقدم اللحية

(٤) عنها أى عن الحلقة المفهومة من احلف اى يقولون احلف فأقول

ففرجت هم النفس عنى بحلقة . كما قدت الشقراء عنها جلالها (١)
 يقول كسفت هم النفس عنى باليمين السكاذبة وخرجت من الهم كما خرجت الفريس
 الشقراء من جلالها . ومثله قول بعضهم
 سألوني اليمين فارتعت منها ليغروا بذلك الانخداع
 ثم ارسلتها كمنحدر السيل تعالى من المكان اليفاع
 ومثله قول ابن الرومي
 واني لذو حلف كاذب اذا ما اضطررت وفي الحال ضيق
 وهل من جناح على مسلم يدافع بالله ما لا يطيق

✽ التحالف ✽

التحالف التعاقب . ولقد دعانا لذكره ما يكون عنده من الاقسام بما هو
 محترم ديناً فقد كانت قبائلهم لكثرة شتمهم الغارات وطلبهم الثارات ووقوع
 العداوة والبغضاء فيما بين بعضهم وبعض تحتاج القبيلة لحفظ كيائها ان تتحالف
 مع قبيلة او اكثر حسبما تقتضيه حاجتها الى البقاء او رغبتها في الانتصار
 على الاعداء وقد يكون التحالف لكف القتال والصلح بعد الضال .
 وكانوا يغمسون ايديهم في دم أو خلو أو رب أو غير ذلك عند الحلف كناية
 عن صبغتهم بصبغة واحدة فن التحالف بغمس اليد في الدم ما كان من تحالف
 قبائل عبد الدار ونخزوم وعدى وسهم وجمح فانهم عند ما تحالفوا على الا
 يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً اخرجوا جفنة مملوءة دم حزور نحروها وقالوا
 من ادخل يده في دمها فلحق منه فهو منا ففعلوا ذلك فسموا لعقة الدم لذلك .
 ومن ذلك ايضاً ما كان من امر الدم الذي قربوه عندما ارادوا الحلف مع
 الهجرس بن كليب وذكر خبر ذلك الاصفهاني في الاغانى قال

لا احلف حتى يقبلوها منى فاحلف فتنقطع الخصومة (١) قدت شقت والجل
 بالضم وبالفتح ما تلبسه الدابة لتصان به

« ان جساسا لما قتل كليبا وكانت اخت جساس تحت كليب فرجعت الى اهلها ووقعت الحرب بين الفريقين زمنا طويلا ثم صاروا الى المهادنة بعد ما كادت القبيلتان تتفانيان فولدت اخت جساس غلاما سمته الهجرس رباه جساس فكان لا يعرف اباً غيره فزوجه ابنته فوقع بين الهجرس وبين رجل من بني بكر بن وائل كلام فقال البكرى ما انت بمنته حتى نلحقك بأبيك فأمسك عنه ودخل الى امه كئيبا فسألته عما به فأخبرها الخبر فلما آوى الى فراشه ونام الى جنب امراته وضع انقه بين ثدييها فتنفس تنفسه تنفط ما بين ثدييها من حرارتها فقامت الجارية فزعة قد انلمتها رعدة حتى دخلت على ابيها فقصت عليه قصة الهجرس فقال جساس نائر ورب الكعبة وبات جساس على مثل الرضف حتى اصبح فارسل الى الهجرس فأثاه فقال له انما انت ولدى ومنى بالمكان الذى قد علمت وقد زوجتك ابنتى وانت معى وقد كانت الحرب فى ابيك زمانا طويلا حتى كدنا نتفانى وقد اصطاحنا وتماحزنا وقد رايت ان تدخل فيما دخل فيه الناس من الصلح وان تنطلق حتى نأخذ عليك . فلما اخذ علينا وعلى قومنا فقال الهجرس انا فاعل ولكن مثلى لا يأتى قومه الا بلائمه وفرسه خمله . جساس على فرس واعطاه لأمه ودرعا . نخرجا حتى اتيا جماعة من قومهما فقص عليهم جساس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا فيه من العافية . ثم قال وهذا الفتى ابن اختى قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه ويعقد ماعدتكم . فلما قربوا الدم وقاموا الى العقد اخذ الهجرس بوسط رمحته ثم قال . اما وفرسى واذنيه ورمحى ونصليه . وسيفى وغراريه لا يترك الرجل قاتل ابيه وهو ينظر اليه ثم طعن جساسا فقتله ثم لحق بقومه . ومن ذلك ما كان من بكر بن وائل وذلك ان جساس بن مرة لما قتل كليبا اخذه ابوه فأوثقه رباطا وجعله فى بيت ثم دعا بطون بكر بن وائل واستشارهم فى اسره . فقال سعد بن مالك بن ضبيعة البكرى لا والله ما نمطى تغلب جساسا ولنقاتلن دونه حتى نهى جميعا فدعا بحزور فنحرت ثم تحالفوا على الدم . ومن ذلك ما قيل ان حثعم وهم بطن من انمار سموا بذلك من التخمم وهو التلطلخ بالدم وذلك انهم نحروا بعيرا

وغمسوا ايديهم في دمه واحتلفوا عليه

ومن التحالف بغمس اليد في الخلق ما كان من امر بنى عبد مناف وبنى اسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة والحارث بن فهر فانهم تحالفوا على النصره وغمسوا ايديهم في جفنة مملوءة طيبانم مسحوا السكبة بأيديهم توكيدا على انفسهم فسموا بالمطييين لذلك . ومن ذلك ما روى ان منشم التي ضرب المثل بعطرها فقيل اشأم من عطر منشم ودقوا بينهم عطر منشم كانت امرأة عطارة تبيع الطيب فكانوا اذا قصدوا الحرب غمسوا ايديهم في طيبها وتحالفوا عليه بأن يستमितوا في تلك الحرب ولا يولوا أو يقتلوا

ومن التحالف بغمس اليد في الرب ما كان من أمر بنى عبد مناة بن اد بن طابخة وهم تيم وعدى وعكل وثور فانهم غمسوا أيديهم في الرب في حلف على بنى صبة فلقبوا بالرباب كذا في العقد الفريد وفي القاموس والرباب احياء ضبة لانهم أدخلوا أيديهم في رب وتعاقدوا - والرب بالضم سلاقة خثارة كل ثمرة بعد اعتصارها وتقل السمن و (كانوا) يوقدون نارا عند التحالف وذكرها الجاحظ في البيان والتبيين فقال : وكانوا يتحالفون على النار ويتعاقدون ويأخذون العهد المؤكد واليمين الغموس مثل قولهم ماسرى نجم وهبت ريح وبيل بحر صوفة وخالفت جرة درة . ولذلك قال الحارث بن حازة اليشكري . واذكروا حلف ذى المجاز وما قد دم فيه اليهود والكفلاء

حذر الخون والتعمدى وهل تنقض ما في المهارق الالهواء (١)

وقال في كتاب الحيوان « كانوا لا يعقدون حلفهم الا عند نار فيذكرون عند ذلك منافعها ويدعون الله بالحرمان والمنع من منافعها على الذى ينقض عهد الحلف ويخيس بالعهد ويقولون في الحلف الدم الدم (٢) والهدم الهدم

(١) الخون الخيانة و يروى الجور و (المهرق) الصحيفة جمعه مهارق

(٢) قال ابن قتيبة : كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار دعى دمك وهدى هدمك أى ما هدمت من الدماء هدمته انا ويقال أيضا بل اللدم اللدم والهدم الهدم وأنشد (ثم الحقى بهدى ولدى) فالدم

(بحر كون الدال في هذا الموضع) (١) لا يزيد طول الشمس الا شدا وطول الايام الى
الامدا مابل البحر صوفة وما أقام رضوى في مكانه ان كان جبلهم رضوى
وكل قوم يذكرون جبلهم وربما دنوا منها حتى تسكاد تحرقهم ويهلون على من
تخاف عليه الفدر بحقوقها ومنافعها والتخويف من حرمان منفعتها . ولقد
يحالفت قبائل من مرة بن عوف عند نارفدنوا منها حتى محشتمهم فسموا المحاش
وربما تحالفوا وتمافدوا على الملح قال الشاعر

حلفت لهم بالملح والقوم شهد وبالنار واللات التي هي أعظم
والملح شيثان أحدهما المرقة والآخر اللبن وأشدوا لشتيم بن خويلد

الغزاري

لا يبعد الله رب العباد والملح ما ولدت خالده
وانشدوا في قول أبي الطمحان

واني لارجو ملحها في بطونكم وما بسطت من جلد أشعث أغبرا
وذلك أنه كان جاورهم فكان يسقيهم اللبن كأنه يقول كنتم مهازيل
والمهزول يتكشف جلده وينقبض فبسط ذلك من جلودكم « قال ابن السيد
البطليوسي ولانهم كانوا يتحالمون على النار ذكر اعشى بكر النار عند المحالفة
في قصيدته التي امتدح بها المخلق حيث قال

لعمري قد لاحت عيون كثيرة الى ضوء نار في يفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار السدى والمخلق
رضيحي لبان ندى أم تحالما باسحج داج عوض لا تتفرق

جمع لادم وهم أهله الذين يلتدون عليه اذا مات وهو من لدمت صدره اذا ضربته
(١) قال ابن هشام الهدم بفتح الدال الحرمة وانما كفى عن حرمة الرجل
وأهله بالهدم لانهم كانوا أهل نجمة وارتحال ولهم بيوت يستخفونها يوم ظعنهم
فكلما ظعنوا هدموها والهدم بمعنى المهدوم كالقبض بمعنى المقبوض ثم جعلوا
الهدم وهو البيت المهدوم عبارة عما حوى فهو كقولهم هدمي هدمك أى رحلتى
مع رحلتك أى لا أظعن وأدعك وأنشد يعقوب (كانها هدم في الجهر منقاض)

وعلى العسكري تحالفهم على النار بأن منفعتهما تختص بالإنسان لا يفارقه فيها غيره من الحيوان. وأرى أن حلفهم بالنار وتعاقدهم عليها أثر من آثار الديانة الجوسية سرى إليهم من مجاورتهم لفارس ثم رأيت ابن عبد ربه قال في العقد الفريد في بيت الاعشى المتقدم « قوله تقاسما باسحمن داج يقول تحالفا على الرماد وهذا شيء تفعله الفرس لا يتفرقوا أبد الدهر » فإذا كان تحالفهم على الرماد الذي هو أثر النار المقدسة جاءهم من مجاورتهم الفرس فلان يكون تحالفهم على النار جاءهم من مجاورتهم الفرس من باب أولى

﴿ الدعاء ﴾

العربي ككل إنسان ذى دين إذا نزل به مكروه لجأ إلى معبوده في كشف الضر عنه وإذا أصابه قوى بمصيبة تضرع لبارئته أن ينتقم له ممن ظلمه وكانوا يعتقدون أن من دعى عليه فاضطجع لم تستجب فيه دعوة الداعي وشاهد ذلك ما حصل عند دعوة خبيب بن عدى وذلك أنه قدم رهط من عضل والقارة وهما قبيلتان من الهون بن خزيمة بن مدركة على رسول الله فقالوا يا رسول الله إن فيما أسلاما فابعث اليما من يفقهوننا في الدين فبعث إليهم ستة نفر منهم خبيب بن عدى فغدروا بهم وباعوا خبيبا من قريش بأسير من هذيل كان بمكة فابتاع خبيبا حجير بن أبي اهاب التميمي لعقبة بن الحارث بن عامر ليقتله بأبيه فأقام في أيديهم حتى انتقضت الأشهر الحرام ثم خرجوا به إلى التنعيم ليصلبوه ورفعوه على خشبة وقتلوه طعنا بحربة قال ابن اسحاق « فلما أوثقوا خبيبا قال اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدا ثم قتلوه رحمه الله فكان معاوية بن أبي سفيان يقول حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبي سفيان فلقد رأيته ياقيني إلى الأرض فرقا من دعوة خبيب وكانوا يقولون إن الرجل إذا دعى عابه فاضطجع لجنبه زالت عنه »

﴿ الصابئون ﴾

ينسب الصابئون دينهم إلى سيدنا نوح وإلى إبراهيم الخليل بالتلقى عن نوح

وعن أدريس ومنهم عبدة الأصنام والكواكب والفئة الباقية منهم على معتقدها الإلهي بعد أن مزجته بالمعاليات يتوجهون في عبادتهم للقطب الشمالى ويصلون ثمانى ركعات عند ظهور شفق الشمس الشروقى وخمسا وقت الزوال ومثلها وقت غروب الشمس يسجدون فى كل ركعة منها ثلاث سجودات بلا انحناء ويتلون فى قيامهم وسجودهم كلمات تشتمل على مناجاة ودعوات واستغفار ويصومون فى كل سنة ثلاثين يوما عدد ما تقطعه الشمس فى كل برج من بروجها يسكون فيها عن الطعام والشراب من شفق شروق الشمس الى شفق غروبها ويفطرون على غير اللحوم من الالبان والنباتات الا ما حرم منها عندهم يصومون من الثلاثين يوما أربعة عشر يوما متتالية فى فصل الشتاء موافقة لاعداد الكواكب السبعة وأفلا كها وسبعة أيام فى الربيع موافقة لاعداد الكواكب وحدها وتسعة ايام فى أواخر الصيف موافقة للافلاك السبعة مع فلسكى الثوابت والمحيط ويقدمون الضحايا فى هياكلهم ومعابدهم للسنة والفقراء ويعظمون الكواكب لاعتقادهم أنها أعظم أثر الهى فعال فى الاجرام السفلية ويمنعون توريث الفاسق من العدل ويعتقدون بعث الارواح لا الاجسام وطهارة النفس العاصية بعد تعذيبها ثلاثة آلاف سنة وان الرسل لم يبعثهم الله بل هم ملهمون من المجرىات وان الخير من الله والشر من النفوس وان الله لا تدركه الابصار لا فى هذه الدار ولا فى الدار الآخرة وحرهوا تعذيب الحيوان وقتله الا ما أحل أكل لحمه وكلاهما ثم لا يكفر الا بالضحايا المبينة فى كتبهم . ذلك هو الاصل ثم تعددت المذاهب واختلفت فبعضها يحرم من النبات والحيوان ما أحله الآخر وبعضها يحل زواج امرأة الاب التى لم تعقب منه والبعض يحرمها مطلقا وبعضها يوجب غسل جراحات القتل عند دفنه والآخر يحرمه الى غير ذلك من الفروع ثم اشتغلوا بالاهيات الحكماء وكتب الفلاسفة على أنها كتب تعليم وارشاد ككتب الرسل والصابئون يعتقدون فى الانواء اعتقاد المنجمين فى السيارات حتى لا يتحرك أحدهم ولا يسكن ولا يسافر ولا يقيم الا بنوء من الانواء ويقول مطرنا

بنوء كذا وهم ينقسمون الى مؤمن وكافر ولذلك ذكرهم الله تعالى في الامم الاربع الذين تنقسم كل أمة منهم الى ناج وهالك في قوله (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فذكرهم في آية الوعد بالجنة لذلك ولما ذكر المجوس والمشركين وليس منهم سعيده حكم عليهم بالفصل بينهم في قوله (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) وحران دار الصابئة وهم فرق فصائبة حنفاء وصابئة مشركون وصابئة فلاسفة وصابئة يأخذون محاسن ما عليه اهل الملل والنحل من غير تقييد بجملة ومنهم من يقر بالنبوات جملة ويتوقف في التفصيل ومنهم من يقر بها جملة وتفصيلا ومنهم من ينكرها جملة وتفصيلا

والمشركون منهم يعبدون الله بالتقرب للكواكب والعلويات بأنواع للعبادة من التضرع والابتهاال بالدعوات والصلوات وذبح القرابين والبخور والعزائم لتستمد نفوسهم منها بغير واسطة الرسل وأقاموا لها الهياكل للعبادة فكان كفرهم لعبادة العلويات والكواكب

عبادتهم الكواكب وآثار عبادتهم لها

نظر فريق من الناس الى الكواكب نظر المتقدمين من علماء النجوم من حيث تأثير الكواكب في هذا العالم فجعلوا الموجودات الارضية أثرا للشمس عند قوم والكواكب بتوزيع التأثير فيها عند آخرين وهذه الطائفة ترى الكواكب مدبرة لهذا العالم وعنهما يصدر ما فيه من خير وشر وسعادة ونحس وغير ذلك بسبب أوضاع الكواكب من الثلاث والتسديس والتربيع ومقارنة كوكبين أو أكثر من الكواكب السبعة السيارة في درجة واحدة من برج واحد ومن الصابئين من عدل عن معتقده الالهى فاعتقد التأثير للكواكب وهؤلاء ثلاث فرق (الفرقة الاولى) ذهب الى أن الكواكب واجبة

الوجود لذاتها غير محتاجة الى مخصص و (الفرقة الثانية) ترى أن الكواكب
آلهة و لكل منها عمل قائم به في هذا العالم يصدر عنه لا يقدر عليه غيره و أنها
أبدية الوجود أزلية الاولية تجري أحكامها لا لغاية (و الفرقة الثالثة) ترى
أن لهذه الكواكب والافلاك الهأ مبدعا أعطاهها قدرة و ارادة ذاتية نافذة
في هذا العالم و فوض اليها تدبيره و هذه الطوائف كان لها عصبية في بلاد
العرب فدانت العرب بهذا الدين و اعتقدته و بنوا الهياكل العظيمة للشمس
و قربوا لها القرايين و حجوا اليها و ذبحوا لها الذبائح و اعتكفوا عندها خاضعين
عابدين و أول من دان بهذا الدين من العرب قبائل سبأ الحميرية فلما تهدمت
سدودهم و تخربت أراضيهم تفرقوا في بلاد العرب و قبائلها فانتشروا بينهم في القبائل
التي نزلوا بها أو جاوروها و البطون التي سكنوا معها و عاشروها حتى شاع في
بلاد العرب و انتقل منها الى مجاورهم أهل الحبشة و الشام و من قبائل سبأ قوم
بليقيس و قد حكي القرآن حديث الهمدند لسيدنا سليمان عبادتها و قومها في قوله
« و جئتك من سبأ نبأ يقين اني وجدت امرأة تملكهم و اوتيت من كل شيء و لها
عرش عظيم و جدتها و قومها يسجدون للشمس من دون الله و زين لهم الشيطان
أعمالهم فصدحهم عن السبيل فهم لا يهتدون » و عبدت ثمود الشمس و كانوا بين
الحجاز و الشام بأرض الحاجر فدعاهم صالح لمباداة الله تعالى و هدم هياكل الشمس
فآمن به الا قليل . و أخص أنواع عبادتهم للشمس كانت بالسجود لها عند
شروقها و عند غروبها و عند توسطها السماء فلهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن
الصلاة في هذه الاوقات قطعا لمشابهة الكفار ظاهرا و سدا للريعة الشرك
و بعض كنانة كانت تعبد القمر و الدبران و بنو لخم و جرهم كانوا يسجدون .
للمشترى و من العرب من عبد عطار و بنو طي و عبد بعضهم سهيلا و بعضهم
النريا و هي عدة كواكب مجتمعة و بعض قبائل ربيعة عبدوا المرزم كمنبر
(و المرزمان نجمان مع الشعريين يسمى أحدهما كف الكلب و هو يتبع الشعري
المبور و ثانيهما هو الكوكب الاخفى من كوكبي الذراع) و طائفة من تميم
عبدوا الدبران و بعض قبائل لخم و خزاعة و قریش عبدوا الشعري المبور

وهي الشعري اليمانية ذكر بعضهم ان اول من سن لهم ذلك أبو كبشة وجزء ابن غالب جد وهب بن عبد مناف وهو أبو آمنة أم نبيينا عليه السلام فلما بعث الرسول وخالف العرب في عبادتهم الاوثان دعوه بابن أبي كبشة (١) لمخالفته لهم كمخالفة أبي كبشة لقومه في عبادة الشعري

قال ابن قتيبة « وكان قوم في الجاهلية عبدوا الشعري العبور وفتنوا بها وكان أبو كبشة الذي كان المشركون ينسبون اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من عبدها وقال قطعت السماء عرضا ولم يقطع السماء عرضا غيرها وعبدها وخالف قريشا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا الى عبادة الله وترك عبادة الاوثان قالوا هذا ابن أبي كبشة أى شبهه ومثله » وخص الله الشعري بالذكر في قوله : « وانه هو رب الشعري » اما لعبادة كثير منهم لها واما للاشعار بأن النبي عليه السلام ان وافق أبا كبشة في مخالفته دين قومه فانه يخالفه في أن دين أبي كبشة باطل ودين محمد الحق لعبادته الله تعالى أما آثار عبادتهم لاكوا كب فمنها تسميتهم أنفسهم بأبناء مضافة لها بالعبودية كعبد شمس وعبد المشتري فان ذلك دليل على عبادتهم لها ومنها تسميتهم للشمس بالالهة والالاهة قال الشاعر

تروحننا من اللعباء عصرا واعجلنا الالهة أن تزوبا (٢)

قال الفارسي سموها الالهة على نحو تعظيمهم لها وعبادتهم اياها وعلى ذلك نهاهم الله عز وجل عن عبادتها وأمرهم بالتوجه في العبادة اليه دون ما خلقه وأوجده بعد ان لم يكن فقال « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن »

(١) في القاموس وكان المشركون يقولون للنبي ابن أبي كبشة شبهوه بأبي كبشة رجل من خزاعة خالف قريشا في عبادة الاوثان أو هي كنية وهب بن عبد مناف جده صلى الله عليه وسلم من قبل أمه لانه كان نزاع اليه في الشبه أو كنية زوج حليلة السعدية أو كنية عم ولدها (٢) تروحننا سرنا وقت الرواح وهو العشى أو من الزوال الى الليل (اللعباء) اسم مكان و (اعجلنا) سبقنا

ومن آثار عبادة الشمس ما يفعله العلام اذا سقطت سنه وذلك انه كان اذا سقطت له سن أخذها بين السبابة والابهام واستقبل الشمس اذا طلعت وقذف بها وقال : يا شمس أبدلينى بهاسنا أحسن منها ولتجر فى ظلمها أياتك أويقول اياؤك وهما جميعا شعاع الشمس زعموا انه يأمن على اسنانه العوج اذا صنع ذلك . والى هذا أشار شاعرهم

شادن يجلو اذا ما ابتسمت عن اقاح كأقاح الرمل غر
بدلته الشمس من منبته برداً أبيض مصقول الاشر (١)
وقال طرفة بن العبد البكرى يصف ثغر محبوبته
سقطه آية الشمس الا لثاته أسف ولم تكدم عليه بأحمد (٢)
وقال آخر

وأشذب واضح عذب الثنايا كأن رضا به صافى المدام
كسته الشمس لونا من سناها فلاح كأنه برق الغمام
وقال آخر

بذى أشر عذب المذاق تفردت به الشمس حتى عاد أبيض ناصعا
ووجه كون هذه العادة من آثار عبادة الشمس ان الشمس كانت من معبوداتهم فى الجاهلية والعبد يطالب من معبوده سؤاله والاباء يلقنون عقائدهم لابنائهم فالظاهر أن يكون عابد الشمس علم ولده أن يسأل معبوده الشمس أن تبده بسنه التى سقطت سنا أخرى خيرا منها بريئة من الفساد والعوج ويكون الولد قد امثل أمر والده فسمعه غيره من الابناء الذين لم تكن الشمس معبودة لهم ولا لابائهم فقلدوه . وبهذا البيان لا تكون هذه العادة من الاوابد التى (١) أشر الاسنان التحزير الذى يكون فيها خلقة ومستعملا يقال أشرت المرأة أسنانها حزنتها وهذا كان من صنيعهم (٢) أى ثغرها براق الالثاته فانها حواء (أسف) ذر عليه و (الائم) الكحل و (اللاث) اللحم الذى تنبت فيه الاسنان و (آية الشمس) ضوءها و (لم تكدم) لم تعض و (بأحمد) متعلق بأسف أى ذر الائم على اللثة والشفاه وكانت تلك عادتهم التى يستحبونها

لا يفهم معناها ولا يزال الخلف ينقل هذه العادة عن السلف فمن الولدان اليوم من اذا سقطت سنه رعى بها في عين الشمس وقال « ياشمس ياشمسة خذى سنة الحمار وهاتى سنة العروسة »

﴿ المجوسية والزندقة ﴾

المجوس يعتقدون نبوة ابراهيم الخليل وقد بحثوا في كتب الحكماء مقتصرين على مبحثي التسكوين والخير والشر فنظروا في مبحث التسكوين الى انفصال الحرارة التكوينية من ممكن الصادر الاول ثم تدرجها الى الحرارة المركزية بالنسبة لبعض الارض ومحيط سطحها وبها صارت الارض ذات رواب وجبال وصحارى وجزائر ونظروا للانسان من حيث تركيبه وأصل نشأته فجعلوه ابن الارض التي هى بنت الحرارة المقابلة عندهم للقدرة الالهية فاتخذوا النار من حيث هى أثر الاله وفيها صفته التكوينية دالا على معبود ومع تقادم الزمن وكثرة تصرف الرؤساء الدينيين فى هذا الاصل اختلفوا فى الاعتقاد حتى قالت طائفة منهم أن النار معبود قائم بذاته ونظر قدماءهم فى مبحث الخير والشر لقول الحكماء ان البارى بتوحيد ذاته جهة واعتبارا يستحيل صدور التكثير عنه لانه لو صدر الخير والشر عنه لكان عين التكثير فى امكانه وهو باطل فقالوا بوجود فاعلين اذليين يصدر عن أحدهما الخير وعن الثانى الشر فاعتقدوا بوجود الهين أحدهما نور ومبدأ الخير كله ويسمونه أرمزاد أو يزدان والثانى ظلام ومبدأ الشر كله ويسمونه اهرمان او اهرمن يكون الغالب منهما إله الشر متى كثرت الشرور ومنه يطلب الانسان الشر والبلاء لاعدائه ويغلب إله الخير متى كثرت الخيرات واليه يضرع الانسان فى طلب الخير لنفسه ولا حباؤه وهؤلاء هم الثنوية وانتهى الامر بالمتأخرين أن صوروا الههم بصورة على كنفها صورتا الخير والشر ولما نشأ زرادشت بن بيورشت المتوفى سنة ٤٨٧ قبل الميلاد أبطل القول بألهى النور والظلمة وعلمهم أن الاله واحد وانه خلق ملكى النور والظلام وان الشر فى العالم يصدر عن طبيعة المخلوقات وعند انتهاء العالم تبعث

الاموات للجزاء فيسجن ملك الظلام وأتباعه في مكان ظلمة وعذاب أبدي ،
أما ملك النور وأتباعه فيتنعمون خالدين في مكان نور وسـمادة وشرع لهم
شرائع مدونة في مجلدات والمجوس تقرر بنبوته وأتباعه هم الزرادشتية ولم يكن
للمجوس هياكل قبله وكانوا يسجدون للشمس لانهم يزعمون انها مسكن الاله
وللنار لمشايتها للشمس في الحرارة والنور فأمرهم ببناء الهياكل حتى لا يمنعهم
مزاج الفلك عن العبادة في أى وقت وجدد لهم بيوت النيران التي أخذها
منوشهر وأخبرهم انه عرج الى السماء ورأى الله في سحابة لامعة وسمع صوته
ثم هبط منها بقبس من النار اشعلت به النار المقدسة التي في هياكلهم ولا يجيزون
للكهنة تفحصها بأفواههم ومن يفعل ذلك فجزاؤه القتل ولا يقربها الكهنة الا
وعلى وجوههم براقع لثلا يفسدوها بانفاسهم ولا يطفئونها ليلاً ولا نهارا
ووقودها حطب نظيف مقشور وان انطفأت لاتجدد الا من نار هيكل آخر .
وهو الذي شرع لهم عيد النيروز أى اليوم الجديد في الاعتدال الربيعي وعيد
المهرجان أى الخريف في الاعتدال الخريفي ولما ظهر مزدك الخارجي في أيام قباز
ابن فيروز بن يزدرج زعم انه يدعو الى شريعة ابراهيم واستحل المحارم
والمنكرات وسوى بين الناس في الاموال ولا ملك والنساء والعبيد والاماء
حتى لا يكون لاحد على أحد فضل في شئ وكان يأخذ امرأة هذا فيسلمها الى
ذاك وكذا في العبيد والاماء والاموال فكثير أتباعه وعظم شأنه ، وكان مما
شرعه تحريم ذبح الحيوان واكتفاء الاناس في طعامه بما تنبت الارض وما
يتولد من الحيوان كالبيض والابن والسمن والجبن وأتباعهم المزدكية .
وقد دخلت المجوسية بلاد العرب قال ابن قتيبة « وكانت المجوسية في تميم
منهم زرارة بن عدس التميمي وابنه حاجب بن زرارة وكان تزوج ابنته ثم ندم
(١) ومنهم الاقرع بن حابس (٢) كان مجوسيا وأبو سود جد وكيع بن
حسان كان مجوسيا » .

(١) ندم لان زواج البنات كان من الفواحش عند قريش في الجاهلية

(٢) أدرك الاسلام فأسلم وله صحبة

وفي تاريخ ابن الاثير قال بعض العلماء ان المجوسية كان يدين بها بعض العرب بالبحرين فكان زرارعة بن عدس وابناه حاجب ولقيط والاقرع بن حاجب وغيرهم مجوسا وان لقيط تزوج ابنته دختنوس وسماها بهذا الاسم الفارسي وقتل وهي زوج له فقال في ذلك

ياليت شعري عنك دختنوس اذا أتاها الخبر المرموس

أتخلق القرون أو تميس لا بل تميس انها عروس

وقال أبو زيد احمد بن سهل البلخي في كتابه البدء والتاريخ (كانت المزدكية والمجوسية في تميم) ومن آثار هذه الديانة فيهم نار الاستسقاء ونار الحلف وحلفهم بالرماد والدار

وأما الزندقة فكانت عند العرب أيضا : قال ابن قتيبة في كتاب المعارف عند الكلام على أديان العرب في الجاهلية وكانت الزندقة في قريش أخذوها عن الحيرة . وقال البلخي في كتاب البدء والتاريخ كانت الزندقة والتعطيل في قريش وقال ابن الاثير في تاريخه وفي أيام قباذ بن فيروز بن يزدجرد ملك الفرس خرج مزدك فدعا الناس الى الزندقة فأجابه قباذ الي ذلك ودعا قباذ المنذر بن ماء السماء عامله على الحيرة ونواحيها فامتنع فدعا الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار ملك نجد الى ذلك فأجابه فاستعمله على الحيرة وطارد المنذر من مملكته وفي القاموس (الزنديق بالكسر من الثنوية أو القائل بالنور والظلمة أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية أو من يبطن الكفر ويظهر الايمان أو هو معرب زن دين أي دين المرأة) وفي اللسان الزنديق القائل ببقاء الدهر فارسي معرب وهو بالفارسية زندكراى يقول بدوام الدهر والزندقة الضيق وقيل الزنديق منه لانه ضيق على نفسه ورد ابن السكال ماذهب اليه القاموس من انه معرب ذن دين وقال ان زنداسم كتاب أظهره مزدك رئيس الفرقة المزدكية من الفرق الثنوية وتقل بعضهم عن ابن خلدون انه قال ان زرادشت بن بيورشت الحكيم جاء بكتاب ادعاه وحيا وان كيستاسف وضع هذا الكتاب في هيكل باصطخر ووكل به الهرامزة ومنع العامة من تعليمه ويسمى هذا الكتاب تستاه ثم

فسره زرادشت ومعى تفسيره زنديم فسر التفسير ثانيا وسماه زنديه فكانت هذه اللفظة أصلا لكلمة زنديق لان العرب عربتها هكذا واختصت فى عرف الشرع بمن يظهر الاسلام ويبطن الكفر والظاهر ان ابن قتيبة يريد بالزندقة احدى الفرق المجوسية من النثوية أو المرذكية أو الزرادشتية بدليل قوله اخذوها عن الحيرة فان الحيرة وان كانت من بلاد الفرس سكانها وملوكها العرب دينهم دين الفرس أو دين المسيح ولو كان مراده من لا يؤمن بالاخرة وبالربوبية لم يكن لاخذها من الحيرة وجه فان كثيرا من قبائل العرب كانوا كذلك .

﴿الموحدون من العرب﴾

كانت العرب قبل البعثة عدا من كان على دين مملوى أو غير مملوى مشركين يعبدون الاصنام الا من أنار الله بصائرهم وهم أفراد قليلون وحدوا الله وعبدوه بما ارتضته عقولهم او بما أخذوه عن الشرائع السابقة ولا نخلى كتابنا من ذكر بعضهم فمنهم (تبسع الاول) و (خالد بن سنان العبسى) و (حنظلة بن صفوان) وذكرت خبرهم فى المختلف فى نبوتهم من العرب

ومنهم (زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى) وقد خلص هو وورقة بن نوفل ابن أسد وعبيد الله بن جحش بن ذئاب وعثمان بن الحويرث بن أسد يتناجون فيما حكاه ابن اسحاق وقد اجتمعت قريش يوما فى عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه وينحرون له ويعكفون عنده ويدرون به وكان ذلك عيدا لهم فى كل سنة فقال بعضهم لبعض تصادقوا ولا يكتم بعضكم على بعض قالوا أجل قال تملأوا والله ما قومكم على شئ لقد اخطأوا دين أبيهم ابراهيم ما حبر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع يا قوم التمسوا لا تقسم فانكم والله ما أنتم على شئ فتفرقوا فى البلدان يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم فاما ورقة بن نوفل فاستحكم فى النصرانية واتبع الكتب من أهلها حتى علم علما من أهل الكتاب واما عبيد الله بن جحش فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ثم هاجر مع المسلمين الى الحبشة فلما قدما تنصر وفارق

الاسلام حتى هلك هناك نصرانيا واماعثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر وحسنت منزلته عنده وأما زيد بن عمرو بن نفيل فوقف فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية وفارق دين قومه فاعتزل الاوثان والميثة والدّم والذبائح التي تذبح على الاوثان ونهى عن قتل المؤودة وقال اعبد رب ابراهيم ونادى قومه بعيب ما هم عليه . وروى البخارى فى صحيحه بسنده قال حدثنا موسى حدثنا سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح (١) قبل ان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم الوحى فقدمت الى النبي صلى الله عليه وسلم سفره (٢) فأبى « أى زيد » أن يأكل منها ثم قال زيد انى لست آكل مما تذبحون على انصابكم ولا آكل الا ما ذكر اسم الله عليه (٣) وان زيد بن عمرو كان

(١) بلدح مكان فى طريق التنعيم ويقال هو واد (٢) تلك رواية البخارى فى المواقب وروايته فى باب ما ذبح على النصب والاصنام فقدم اليه رسول الله سفره فيها لحم فأبى أن يأكل منها . وجمع ابن المنير بينهما بأن القوم الذين كانوا هناك قدموا السفرة للنبي فقدمها لزيد فقال زيد مخاطبا لاولئك القوم ما قال (٣) قال السهيلي فان قيل فالنبي عليه الصلاة والسلام كان أولى من زيد بهذه الفضيلة فالجواب انه ليس فى الحديث انه عليه السلام أكل منها وعلى تقدير ان يكون أكل فزيد انما كان يفعل ذلك برأى يراه لا بشرع متقدم وانما تقدم شرع ابراهيم بتحريم الميثة لا بتحريم ما ذبح لغير الله وانما نزل تحريم ذلك فى الاسلام واذا كانت الاشياء قبل ورود الشرع حكمها الاباحة كما يقوله بعض الاصوليين فان كان أكل فقد فعل أمرا مباحا وان كان لم يأكل فلا اشكال وان قلنا على ما هو الاصح ان الاشياء قبل ورود الشرع لا توصف بالاباحة ولا بالتحريم فان الذبائح لها أصل فى تحليل الشرع المتقدم ولم يقدح فى هذا التحليل ما ابتدعوه من الذبح على النصب حتى جاء الاسلام وأنزل الله تعالى (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه)

يعيب على قريش ذبائهم ويقول الشاة خلقها الله وأُنزل لها من السماء الماء وانبت لها من الأرض الكلأ ثم تذبجونها على غير اسم الله انكاراً لذلك واعظاماً له . قال موسى حدثني سالم بن عبد الله ولا أعلمه الا تحدث به عن ابن عمر ان زيد ابن عمرو بن نفيل خرج الى الشام يسأل عن الدين ويتبعه فلقى عالماً من اليهود فسأله عن دينهم فقال اني لمي ان ادين دينكم فاخبرني فقال لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله قال زيد لا أفر الا من غضب الله ولا أحمل من غضب الله شيئاً أبداً واني استطيعه فهل تدلني على غيره قال ما أعلمه الا أن يكون حنيفاً قال زيد وما الحنيف قال دين ابراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد الا الله فخرج زيد فلقى عالماً من النصارى فذكر مثله فقال لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله قال ما أفر الا من لعنة الله ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً وانا أستطيع فهل تدلني على غيره قال ما أعلمه الا أن يكون حنيفاً قال وما الحنيف قال دين ابراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد الا الله فلما رأى زيد قولهم في ابراهيم عليه السلام خرج فلما برز رفع يديه فقال اللهم اني أشهد اني على دين ابراهيم وقال الليث كتب الى هشام عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مسنداً ظهره الى الكعبة يقول يا معشر قريش والله ما منكم على دين ابراهيم غيري وكان يحكي المؤودة يقول للرجل اذا أراد أن يقتل ابنته لا تقتلها أنا أكفيكها مؤنتها فيأخذها فاذا ترعرعت قال لا يبها ان شئت دفعتها اليك وان شئت كفيتك مؤنتها وكان زيد بن عمرو بن نفيل يقول اللهم لو اني أعلم أي الوجوه أحب اليك عبدتك به ولكني لا أعلمه ثم يسجد على راحته قال ابن اسحاق وحدثت أن ابنه سعيد وابن عمه عمرو بن الخطاب قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر لزيد بن عمرو قال نعم فانه يبعث يوم القيامة أمة وحده ولم يكن زيد يأكل الميتة ولا الدم وهو القائل
وأسلمت وجهي لمن أسلمت له الأرض تحمل صخرها ثقلاً

دحاها فلما رآها استوت على الماء أرسى عليها الجبالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت له المزن تحمل عذبا أزلالا
إذا هي سيقت الى بلدة أطاعت فصبت عليها سجالا

ولما خرج زيد بن عمرو بن نفيل من مكة يطلب دين ابراهيم سار
يسأل الرهبان والاحبار حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها ثم أقبل لخال الشام
كلها حتى اذا كان بأرض البلقاء أخبره كاهن انتهى اليه علم أهل النصرانية
بأنه قد اظل زمان بنى يبعث من بلاد العرب بدين ابراهيم فرجع سرعيا يريد
مكة حتى اذا توسط بلاد لحم عدوا عليه فقتلوه فقال ورقة بن نوفل يرثيه

رشدت وانعمت ابن عمرو وانما (١) تجنبت تنورا من النار حاميا
بدينك ربا ليس رب كمثلہ وتركك أو ثان الطواغى كاهيا
وادراكك الدين الذى قد طلبته ولم تك عن توحيد ربك ساهيا
فأصبحت فى دار كريم مقامها تعلل فيها بالكرامة لاهيا

ومن شعر زيد بن عمرو بن نفيل فى الالهيات قوله

عبادك يخطئون وأنت رب بكفيك المنايا والحتوم (٢)

(ومنهم قس بن ساعدة الايادى) كان من أقدم من آمن بالبعث من العرب
وعمر طويلا وسمعه النبي عليه السلام قبل البعثة بمكاف يقول فى خطبته
ايها الناس اسمعوا وعوا فان وعيتم فانتفعوا انه من عاش مات ومن مات
فات وكل ما هو آت آت ان فى السماء لخبرا وان فى الارض لعبرا مهام موضوع
وسقف مرفوع ونجوم تمور وبحار لن تغور ليل داج وسماء ذات أبراج
أقسم قس قسما حتما ان لله ديننا هو أحب اليه من دينكم الذى أنتم عليه مالى
أرى الناس يذهبون ولا يرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا فناموا ومنهم
(سحنة بن خلف الجرهمي) وقد منا قوله فى لوم عمرو بن لحي على وضع الاوثان
حول الكعبة وحمله العرب على عبادتها ومنهم « المتلمس بن أمية

(١) رشدت وأنعمت أى رشدت وبالفت فى الرشد كما يقال أمعنت

فى النظر وأنعمته (٢) الحتوم الاقضية

الكنذاني) وكان يخطب بفناء الكعبة ويقول أطيعوني ترشدوا قالوا وما ذاك قال انكم تقردتم بالهة شتى وانى لا اعلم ما الله راض به وان الله رب هذه الالهة وانه ليجب أن يعبد وحده فتفرقت عنه العرب وزعموا أنه على دين بنى تميم ومنهم أجداده عليه السلام كعب بن لؤى وقصى وعبد مناف وهاشم وعبد المطلب فاما (كعب) فقد كانت العرب تجتمع اليه فى كل يوم جمعة فيحشهم على صلة الارحام وحفظ العهد ومراعاة حق القرابة والتصدق على الفقراء والاحسان للايتام ويذكرهم بالموت وأهواله وينبئهم ببعثة رسول من عند الله وأما : قصى « فكان يأمر قومه بتعظيم الحرم وينهاهم عن عبادة الاوثان ويحجر قومه ببعثة نبي ينهى عن عبادة الاصنام (وأما عبد مناف) فكان يبغض الاصنام ويأمر قريشا بتقوى الله وصلة الرحم وأما (هاشم) فكان يؤدى الحقوق ويحمل ابن السبيل وبجانب عبادة الاوثان ويؤمن بالله واما (عبد المطلب بن هاشم) فقد منا ايمانه بالبعث وتوحيده الله ورجوعه اليه فى قصة الفيل ومن الموحدين (وكعب بن سلمة بن زهير بن أباد) وكانت له ولاية أمر البيت بعد جرحه وبني صرحا بأسفل مكة وجعل فيه أمة يقال لها حزورة وبها سميت حزورة مكة وجعل فى الصرح سلما فكان يرقاه ليخلو بنفسه ويتفكر فى ملكوت السموات والارض والعرب يعدونه من الصديقين ومن أقواله مرضعة أوظامة ووادعة أوقاصمة والقطيعة والفجيعة وصلة الرحم وحسن الكلام . ومن كلامه زعم ربكم ليجزين بالخير ثوابا وبالشر عقابا ان من فى الارض عبيد لمن فى السماء هلك جرحم وربلت اباد وكذلك الصلاح والفساد فلما حضرته الوفاة جمع ايدا فقال لهم أسمعوا وصيتى الكلام كلتان والامر بعد البيان من رشد فاتبعوه ومن غوى فافضوه وكل شاة برجلها معلقة . ولما مات نعى على الجبال وفيه يقول بشير بن الحجير الايادى

ونحن أباد عبيد الاله ورهط مناجيه فى سلم

ونحن ولادة حجاب المتيق زمان النخاع على جرحم (١)

(١) هلك من جرحم بدء النخاع ثمانون كهلافى ليلة واحدة سوى الشبان

ومنها (قيس بن نسيبة) قال فيه ابن سيدة في المخصص كان منجما متفلسفا واعد
بيعة الرسول فلما بعث عليه الصلاة والسلام اتاه فقال يا محمد ما كحلة فقال
السماء فقال وما كحلة فقال الارض فآمن به وقال لا يعرف هذا الا نبي
وقال حين آمن

تابعت دين محمد ورضيته كل الرضا لامانتى ولدينى
مازلت آمله وأرغب وقته والله قدر أنه يهدينى
ومنها (عبد الطالبة بن ثعلب بن وبرة بن قضاة) وروى له الشهرستاني في الملل قوله
أدعوك يا ربى بما أنت أهله دعاء غريق قد تشبث بالمصم
لأنك أهل الحمد والخير كله وذو الطول لم تعجل بسخط ولم تلم
وأنت القديم الاول الماجد الذى تبدأت خلق الناس فى أكرم العدم
وأنت الذى أحلمتنى غيب ظلمة الى ظلمة من صلب آدم فى ظلم
ومنها (علان بن شهاب التميمي) القائل فى الايمان بالله ويوم الدين
وعلمت أن الله جاز عبده يوم الحساب باحسن الاعمال
ومنها زهير بن أبى سلمى وقد اعترف بوجود الله واثبت له الحياة والعلم
والقدرة وأقر بالبعث والنشور والثواب والعقاب وكتابة الاعمال مما جاءه
به الحنيفية فى قوله

فلا تكتمن الله ما فى نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم
ومنها (عبد الله بن ثعلب بن وبرة بن قضاة) وكان يهيج فى ديوانته منهج الحنيفية
ومنها عبيد بن الابرس الاسدى القائل

ولتأتين قبلى قرون حجة ترى مخارم أيكمة ولدودا
فالشمس طالعة وليل كاسف والنجم يجرى انحسا وسعودا
وليفنين هذا وذاك كلاهما الا الآله ووجهه المعبودا
ومنها (عامر بن الظرب العدواني) وقد منا قوله فى البعث ومنها (سيف بن ذى يزن)
وقد بشر عبد المطلب بن هاشم ببعثته عليه الصلاة والسلام . ومنها (أبو قيس

صرمة بن أبي أنس) قال ابن قتيبة وهو من بني النجار وكان تهرب ولبس المسوح وقارق الاوثان وهم بالنصرانية ثم أمسك عنها ثم دخل بيتاً له فاتخذ مسجداً لا يدخله طامث ولا جنب وقال أعبد رب ابراهيم فلما بعث رسول الله عليه الصلاة والسلام أسلم وحسن اسلامه وقال في الجاهلية

سبحوا الله شرق كل صباح طلعت شمسهُ وكل هلال

يا بني الارحام لا تقطعوا وصلوها قصيرة من طوال

ومنها (أمية بن أبي الصلت الثقفى) فقد حدث الزبير بن بكار عن حمه ان أمية نظر في الجاهلية الكتب وقرأها ولبس المسوح تعبدًا وذكر ابراهيم واسماعيل والحنيفية وحرم الخمر وتجنب الاوثان وصام والتمس الدين طمعا في النبوة لانه علم ببعثة نبي من العرب وكان يرجو أن يكونه فلما بعث عليه السلام حسده وقال فيه النبي عليه السلام ، آمن شعره وكفر قلبه ، ومنها (الناطقة الجعدى حساذ بن قيس بن عبد الله) شاعر قديم مفلق طويل البقاء في الجاهلية والاسلام ، وأذكر في الجاهلية الخمر وهجر الاوثان والازلام وقال في الجاهلية قصيدته التي أولها :

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما

وكان يذكّر دين ابراهيم والحنيفية ويصوم ويستغفر ويتوقع أشياء لمواقبها ولما جاء الاسلام وفد على النبي وأسلم لحسن اسلامه

﴿ اليهودية ﴾

اليهودية هي الشريعة المنزلة على موسى الكليم عليه السلام نسبة الى يهوذا أحد اسباط اسرائيل الذي تناسل منه أكثر الملوك ونشأت هذه الديانة في مصر ولما لم يؤمن بها فرعون وقومه خرج موسى وبنو اسرائيل من مصر سنة ١٤٩١ قبل الميلاد وضرب بمصاه البحر فانشق فجأوزه موسى وأغرق فرعون وجيشه فوصلوا جبل طور سيناء بعد خمسة وأربعين يوما من خروجهم من مصر ثم انتقلت اليهودية الى الاراضى المقدسة ومنها الى بلاد العرب وكان دخولها

اليها زمن موسى على ما رواه ابن زبالة بسنده عن عروة بن الزبير قال : كانت العماليق قد انتشروا في البلاد فسكنوا مكة والحجاز كله وعتوا عتوا كبيرا فلما أظهر الله موسى عليه السلام على فرعون وطيء الشام أو بعث اليها بعثا فأهلك من بها من الكنعانيين ثم بعث بعثا آخر الى الحجاز للعماليق وأمرهم الا يستبقوا أحدا منهم بل بلغ الحلم فقدموا عليهم فأظهرهم الله فقتلهم حتى انتهوا الى ملكهم الارقم بن أبي الارقم فقتلوه وأصابوا ابناله وكان شابا من أحسن الناس فضنوا به عن القتل وقالوا نستحييه حتى تقدم به على نبي الله موسى عليه السلام فيرى فيه رأيه فأقبلوا وهو معهم فقبض الله موسى قبل قدوم الجيش فلما سمع بهم الناس تلقوهم فسألوهم فأخبروهم بالفتح وقالوا لم نستبق منهم الا هذا الفتى فاننا لم نر شابا أحسن منه فتركناه حتى تقدم به على نبي الله موسى عليه السلام فيرى فيه رأيه فقالت لهم بنو اسرائيل ان هذه لمصيبة منكم لما خالفتم أمر نبيكم لا والله لا تدخلون علينا بلادنا أبدا فقال الجيش ما بلد اذ منعتهم بلادكم بخير من البلد الذي خرجتم منه وكان هذا أول سكنى اليهود الحجاز بعد العماليق . وفي الروض الانف عن أبي الفرج الاصبهاني ان السبب في كون اليهود بالمدينة وهى وسط أرض العرب مع أن اليهود أصلهم من أرض كنعان ان بنى اسرائيل كانت تغير عليهم العماليق من أرض الحجاز وكانت منارهم يثرب والجحفة الى مكة فشكت بنو اسرائيل ذلك الى موسى فوجه اليهم جيشا وذكروا نحو ما تقدم ثم قال ولا أحسب هذا صحيحا لبعده عمر موسى عليه السلام وذكروا الطبري ان نزول بنى اسرائيل بالحجاز كان حين وطيء بختنصر بلادم بالشام وخرب بيت المقدس وذكروا صاحب كتاب وفا الوفا اليهود الذين نزلوا المدينة فمنهم قريظة والنضير والنحام وهذل . وفي خطط المقرئى ان العرب تعلموا كبس الشهور من اليهود الذين نزلوا يثرب من عهد شمویل نبي بنى اسرائيل وهو صمويل المتوفى سنة ١٠٥٧ قبل الميلاد وفي كتاب وفا الوفا باخبار دار المصطفى «وحكى ياقوت عن بعض علماء الحجاز من يهود ان سبب نزولهم الحجاز ان ملك الروم حين ظهر على بنى اسرائيل وملك الشام خطب

الى بنى هرون وفي دينهم ألا يزوجوا النصارى يخافوه وألعموا له وسألوه ان يشرفهم باثيانهم اليهم فأتاهم ففتكوا به وبمن معه ثم هربوا حتى لحقوا بالحجاز فأقاموا بها وزعم بنو قريظة ان الروم لما غلبوا على الشام خرج قريظة والنضير وهذل هارين من الشام يريدون من كان بالحجاز من بنى اسرائيل فوجه ملك الروم في طلبهم فاعجزوا رسله »

أما الذى ادخل اليهودية بلاد اليمن فهو تبع الاصغر أبو كرب تبارك اسمعده وقدمنا خبر ذلك عند الكلام على المختلف في نبوتهم من العرب وقيل سبب تهود العرب غير ذلك . ولما خربت أورشليم على عهد طيطوس في القرن الاول للميلاد نزح كثيرون من اليهود الى بلاد العرب وتوطنوها ونشروا تعاليم دينهم بين العرب واشهر من دان باليهودية من قبائل العرب بنو نعيم وبنو كنانة وبنو الحارث بن كعب وبنو كندة ولعلها سرت اليهم من مجاورة اليهود لهم في ثيابه ويثرب وخيبر

ولم تغلب اليهودية على الوثنية في بلاد العرب لان كثيراً من احكامها مبنى على المشقة وتلك لا يسلس لها قياد العربي ولانها وان أباحت قتال الوثنيين والقتال دين العربي الا انها لا تبسح الانتفاع بفنائهم بل تحرقها والعربي انما يقاتل لينتقم من عدوه في نفسه وينتفع بماله واهله ومن طرق معاشهم الغزو والسلب والنهب وكانت بعض نساء العرب تنذر تهود ابنها في الروض الانف (ان جملة من كان من اليهود بالمدينة وخيبر انما هم قريظة والنضير وبنو قينقاع غير أن في الاوس والخزرج من قد تهود . وكانت من نساءهم من تنذر اذا ولدت ان عاش ولدها أن تهوده لان اليهود عندهم كانوا أهل علم وكتاب) وقد ذكر ليبد بن ربيعة صلاة اليهود من قصيدة له يصف رجلاً غلب عليه النعاس يمس الاحلاس في مثله بيديه كاليهودى المصل (١)

(١) فاعل يمس : ضمير المجهود في البيت قبله وهو (ومجود من صبايات الكرى) والمجهود الذى جاده النعاس وألح عليه حتى أخذ فنام (والاحلاس) جمع حلس بالكسر وهو كساء رقيق يكون على ظهر البعير تحت رحله أى

قال البغدادي في خزانة الادب « وقوله كاليهودى المصل . قال الطوسي في شرحه كانه يهودى يصلى في جانب يسجد على جبينه هذا كلامه واليهودى يسجد على شق وجهه وأصل ذلك انهم لما تتق الجبل فوقهم قيل لهم اما أن تسجدوا واما أن يلتقى عليكم فسجدوا على شق واحد مخافة أن يسقط عليهم الجبل فصار عندهم سنة الى اليوم »

✽ النصرانية ✽

هى دين المسيح بن مريم عليه السلام نسبة للناصرة اول قرية بث فيها عيسى دعوته فقال العرب ناصرى ونصرانى . وكان يقال للمسيح الناصرى ودخلت النصرانية بلاد العرب زمن الحواريين فقد نقل ان القديس توما أول من دعا اليها في بلاد اليمن اثناء مسيره الى الهند وان بولس دعا اليها في الشام فاعتنقها كثير من عرب الشام وفي بعض التواريخ المسيحية ان اوريجانوس في القرن الثالث للميلاد زار أحد حكام العرب فهدى قبيلة للنصرانية وفي القرن الرابع سار موسى الراهب المصرى الى العرب ودعاهم للنصرانية فتنصرت زوجة حاكمهم المسماة موفية . وفي تاريخ القرون الوسطى ان عرب غسان تنصروا في أيام القيصر والنتين وكان تنصرهم على يد عباد الصحراء بالشام ، (يعنى النساك) وقال ابن خلدون كان أهل نجران (هم بنو الحارث بن كعب من مذحج) من بين العرب يدينون بالنصرانية وكان لهم فضل في الدين واستقامة أخذوا هذا الدين عن رجل سقط لهم من ملك التبعية يقال له سيمون من بقية اصحاب الحواريين وكانت العرب تسمى عيسى عليه السلام ابيل الايلين والاييل « الراهب أو الناسك والزاهد في الدنيا » وشاهده قول عمرو بن عبد الجن .

أما والدماء المائرات تخالها على قة العزى وبالنصر عند ما (١)

يطلب الاحلاس بيديه وهو لا يعقل من غلبة النعاس (٢) نصر صنم و« المائرات» المترددات من مار الدم على وجه الارض يعور اذا تردد و(قة العزى) اعلاها و(العندم) البقم ودم الاخوين

وما سبّح الرهبان في كل ليلة أيل الابلين المسيح بن مريم (١)
 لقد هزمني عامر يوم لعلع حساما اذا ماهز بالكف صمما (٢)
 وكان ولدان النصراني يتبركون بالراهب الذي يجي من بيت المقدس ويمسحه
 الذي هو لابس وأخذ خيوط منه حتى يتمزق ثوبه وشاهده قول امرئ القيس
 الكندي يصف أدراك كلاب الصيد لفرسه

فأدركه يأخذ بالساق والنسا كما شبرق الولدان ثوب المقدس (٣)
 وكانت النصرانية تقيم اعيادها في بلاد العرب ففنها يوم السباسب ويسمونه
 يوم السعائين . ويقال شعائين وعيد الفصح وهو ما يتقدم عليه صوم الاربعين
 أنشد سيبيويه لبعض العرب

صدت كما صد عما لا يحمل له ساقى نصارى قبيل الفصح صوام
 وكانوا في الفصح يوقدون المشاعل قال اوس بن حجر يصف رجه ويشبه سنانه
 بمصباح يوقده رئيس النصارى يوم الفصح

عليه كمصباح العزيز يشبه بفصح ويحشوه الذبال المفتلا
 وقال عدى بن زيد يشير الى تعمير قنديل الفصح
 بكرروا على بسحرة فصبحتهم بأناه ذى كرم كقعب الحالب
 بزجاجة ملء اليدين كأنها قنديل فصح في كنيسة راهب
 ومن اعيادهم الدنح ذكره ابن سيده في المخصص عن ابن دريد . وكانت
 الراهبات تلبس في الاعياد الملاء والانسجة الطويلة الاذيال . قال امرؤ القيس
 يصف سربا من بقر الوحش

فأنت سرباً من بعيد كأنه رواهب عيد في ملاء مهذب
 ولم تستطع النصرانية أن تتغلب على الوثنية في بلاد العرب لان
 تعاليمها تبين اخلاقهم الغريزية فمن العرب يرضى اذا ضربته على خده

-
- (١) سبّح أى نزه وسمى الراهب أبيلا لتأبله وبعده عن النساء
 (٢) يريد أن عامراً وجده حساما ذلك اليوم « صمم » . مضى يقال
 صمم الرجل فى الامر اذا جد فيه (٣) شبرق جلده أى قطعه

الايمن ان يدبر لك خده الايسر لتصنعه عليه مرة أخرى بل قلد النصارى العرب
 في كثير من أمورهم الدينية فكانوا يحجون ويعتصرون ألا أنهم كانوا يقفون
 في الحج في بطن محسر . وأنشد عليه السلام لما أفاض من عرفة الى مزدلفة
 وكان في بطن محسر الذي كان موقف النصارى قول شاعر جاهلي
 اليك تعدو قلقاً وضيقاً معترضاً في بطنها جنينها
 مخالفًا دين النصارى دينها

يشير الى الناقة التي كان راكبها في مسيره الى الحرم . وكانوا يعظمون
 الكعبة ووضعوا فيها صورة السيدة مريم وسيدنا عيسى مع ما وضع فيها
 من صور الملائكة والانبياء كوسى و ابراهيم . وكانوا لا يذكرون اسم الله
 على الدييحة يقلدون في ذلك مشركى العرب . وخالفوا تعاليم المسيحية في
 شنهم الغارات وطلبهم الثارات لان العربى جعل رزقه في ظل رحمه ولذلك
 لما قدم عدى بن حاتم الطائى على رسول الله عليه السلام قال له . أو لم تكن
 تسير في قومك بالرباع . فقال عدى . بلى . فقال عليه السلام فان ذلك لم يكن
 يحمل لك في دينك . فقال أجل . ذلك لان الدين الذى يحرم القتال لا يحمل
 غنائم الحرب . وقد بين عقيدة العرب هذه جابر بن حنى التغلبى النصرانى
 في قوله

وقد زعمت بهراء أن رماحنا رماح نصارى لا تخوض الى دم
 وأشهر من تدين بالنصرانية من العرب ربيعة وبعض قضاة وكأنتهم
 تلقوها عن الروم فقد كانوا يكثررون التردد الى بلادهم للتجارة والفساسنة
 بالشام لمجاورتهم نصارى الروم ودان بالنصرانية كثير من بنى تغلب وتنوخ
 وحير وطبيء وشاعت النصرانية في قبائل شتى بالحيرة يقال لهم العباد « بكسر
 العين وتخفيف الباء » منهم عدى بن زيد العبادى . وتنصر ملوك الحيرة على
 عهد امرئ القيس الاول ابن عمرو في أوائل القرن الرابع على قول . وقيل
 ان أول من تنصر منهم النعمان بن المنذر في آخر القرن السادس . وفي سجل
 الكنيسة الشرقية أن الحيرة كان عليها أسقف سنة ٤١٠ ميلادية وأن ملكها

حتى النصرانية سنة (٤٢٠) ميلادية . وقيل أن ملوك الحيرة كانوا في أواسط القرن السادس وثنيين وأن المنذر بن امرئ القيس بن ماء السماء كان يقدم ذبائح من بني آدم الى المزى وكان من بين نسائه امرأة من غسان اسمها هند الكبرى ام عمرو بن هند كانت مسيحية فبثت مبادئ النصرانية في ابنها ففسأ نصرانياً . ويستظهر بعضهم أن النصرانية لم تثبت بعد عمرو المذكور . فلما مات عاد خليفته المنذر الى الوثنية ونشأ ابنه النعمان وثنياً حتى تنصر على يد الجاثليق صبر يشوع او على يد عدى بن زيد العبادى كما يقول مؤرخو العرب . وكان نصارى العرب يقولون بالطبيعة الواحدة للمسيح كاعتقاد اتباع يعقوب البرادعى اسقف اورفا سنة ٩٢٨ وهم اليعقوبيون ونسب هذا المذهب ليعقوب لانه قال به بعد ان كاد يندثر والا فقد سبقه بالقول بالطبيعة الواحدة ديوسقوروس وبرسوماس وزينياس وفلو وغيرهم من القائلين بأن طبيعتى المسيح قد اتحدتا حتى صارتا طبيعة واحدة . وكانت النصرانية شائعة في بعض أمكنة من جزيرة العرب وذكر حاتم الطائي شيوخها بين ناب ودارة في قوله

وانى لمزج لسطى على الوجا وما انا من خلانك ابنة عفرا

ومازلت أسمى بين ناب ودارة بلحيان حتى خفت أن اتنصرا

والمعجب لصاحب شعراء النصرانية كيف عد حاتما من النصارى مع نقله له قوله خفت أن أتنصراى خفت الدخول في دين النصارى وذلك منه كثير فقد عد طرفه بن العبد والمثلث نصرائين مع نقله حلف طرفه بالنصب في قوله فأقسمت عند النصب انى لهالك بمثلثة ليست بغبط ولا خفض

ونقله حلف المثلث بالنصب في قوله في هجاء عمرو بن هند

اطردتنى حذر الهجاء ولا والله والانصاب لا تثل

وعد أعشى قيس في النصارى مع نقله قوله يخاطب نافته من قصيدة يمدح بها سيدنا رسول الله .

وآليت لا أدنى لها من كلاله ولا من حفى حتى تزور محمدا

نبي يرى ما لا ترون وذكره أغار لعمري في البلاد وأنجدا
متى ماتناخي عند باب ابن هاشم تراخي وتلقى من مكارمه يدا

❦ الاسلام ❦

كانت العرب في الجاهلية في شر حال من الاضطراب والفوضى سواء في ذلك نظام الحكومة أو سياسة البيت أو غيرها فكانت النفوس في كل حين عرضة للسفك والاموال في كل وقت معرضة للسلب والنهب لانهم كانوا شعوبا وقبائل تغلى صدورهم بالاحقاد وكل قبيلة اما مقاتلة أو لقتال غيرها على قدم الاستعداد أخذاً بثأر مقتول عمداً أو خطأ او لطفوة لم يتناولها الصنف ولم يغفرها المفهوم وكانوا يورثون ابناءهم الاحقاد وناهيك بحرب داحض والغباء التي لم تضع أوزارها الا بعد اربعين سنة وسببها أهون من أن يرى فيه سهم عن كبد قوس او مجرد فيه حسام من غمد وكان الصعاليك المدلون بقوتهم يؤلفون عصابات للغارة على المراعى لسلب الانعام ورعاتها او على الاحياء اذا علموا أن المخلفين بها من الرجال لا يقدرّون على الدافع عن أنفسهم تهب ما بها من الاموال وأسر النساء والولدان والرجال وكان أسر النساء يجيز الاستمتاع بهن ولو كن ذوات أزواج أما الاسرى من الرجال فكانوا يكبلون بالسلاسل والاغلال وجزاؤهم القتل او القداء وكم قتلوا من رجال وولدان او استذلّوهم او باعوهم أرقاء وكان الفتى المدل بقوته او بمنعة عشيرته يرى الفتاة فيصيبه حسنها فيختطفها من أبيها أو أخيها او غيرها ولو كانت في مدينة أهله بالسكان بلا حياء ولا خجل كأنما يفعل امراً معروفاً غير منكر ومثل هذه الحادثة كان سبباً في حاف الفضول وناهيك بقوم بلغ من اعتدائهم على المرأة انهم كانوا يكرهون فتياتهم على البغاء يبتغون عرض الحياة الدنيا ولم يكن عندهم قانون للقصاص يمنع البنى ويقف في سبيل الظلم بل كان اولياء الدم يقيمون على الخسف ان كانوا ضعفاء انتهزاً لسنوح الفرصة للاخذ بثأرهم غدرًا وان كانوا أقوياء اسرفوا في القتل فرموا بظنة واحد العدد العديد والجماء الغفير قال شاعرهم

فتلنا سبعة بأبي لبني وألحقنا الموالى بالصميم (١)
 حتى قال مهمل بن ربيعة وهو يثأر لاخته كليب لبجير بن الحارث بن
 عباد وهو يقتله وكان غلاماً يؤبشع نمل كليب فقال له بجيران رضىت بذلك
 بنو ضبيعة بن قيس رضىت فلما بلغ الحارث مقتله ولم يكن دخل في حربهم
 قال نعم الغلام غلام اصلىح بين ابني وائل وباء بكليب فأبلغوه قول مهمل
 اذ قتله ففضب وأدخل يده في الحرب وقال

قربا مربط النعامة منى لقت حرب وائل عن حبال (٢)
 لا بجير أغنى قتيل ولا ره ط كليب تزاجروا عن ضلال
 قربا مربط النعامة منى ان قتل الغلام بالشسع غالى
 لم أكن من جناتها علم الا وائى بحرهما اليوم صالى
 أما سياستهم للبيت فكانت أشد خرقاً وألم جرحاً وناهيك بقوم يدفنون
 بناتهم احياء خشية الفقر أو توهم العار ولقد بلغت القسوة بأحدهم أن ولدت
 امرأته في غيبته بنتاً فخبأها عند احد أقاربها لئلا تفتك بها يد القسوة حتى
 اذا ترعرعت واصبح مثلها قرة عين والدها وظنت انها قد أمنت قسوة ابيها
 وعدوانه وان عاطفة الابوة تحول بينه وبين وأدعا احضرتها من مكانها وقد
 زينتها وقدمتها لايها فأسأها عنها فأخبرته خبرها فسكت منتهزاً فرصة غفلة
 أمها حتى اذا سنحت أخذ الفتاة لحفر لها حفرة ودفنها فيها حية وهى تمسح
 التراب عن لحيته وتقول ما الذى تفعله بى يا أبى ذلك صنعم بالبنات وهن
 رد الالكاد ومسرة القواد

ولم يكن صنع بعضهم بالشيوخ والمعجزة بأقل قسوة من ذلك فقد روى عنهم
 انهم كانوا اذا تبرموا بشيخ تركوه وارتحلوا ليموت أو يأكله الذئب أو حملوه
 على بعير تقور يسقطه فيموت فيستريحوا منه وجاء فى امثالهم (أهون هالك

(١) أى قتلنا ساداتهم فصار الموالى سادة (٢) النعامة اسم فرس الشاعر و(لقت) حملت و (الحبال) ان تضرب الناقة فلا تحمل وضربه مثلاً لما تولد عن الحرب
 واتيح منها من الامور التى لم تكن تحتسب بعد ذلك

شيخ يقادبه البعير) وقولهم (أهون هالك عجوز في سنة جدد) نعم لم يكن هذا العمل عاما فيهم

أما حالة العرب الدينية فما قدمناه في هذا الكتاب تعلم ان الدماء منهم قد انغمسوا في عبادة الاوثان واتخذوا آلهة شتى ووصل من انحطاطهم في احكام العقل أن اتخذوا الها من حيمس فلما جاعوا أكلوه وصاروا يتعرفون الخير والشر من أمور دنياهم بالاستقسام بالالزام لا بما فيها من نفع وضرر وكانوا على بقية من دين ابراهيم خلطوها بالوثنية خلطا غير محاسنها وطمس معالمها فأهلوا في الحج للاصنام وأشركوها في التلبية وجعلوا صلاتهم عند البيت الحرام وهي التي شرعها الله في دين ابراهيم خالصة لله وخضوعاً له مكاء وتصديئة (١) ولم تكن اليهودية ولا النصرانية عندهم خيرا من اختهما الحنيفية . أما اليهودية فقد عبث بها أبدي الاحبار بحرفون فيها الكلم عن مواضعه فغيروا كثيراً من الاحكام التي شرعها الله بالحيلى التي استحلوها والاهواء التي ابتدعوها ومالوا للتشبيه وغلت فرقة منهم فيه فقالوا غزير ابن الله وتأولوا التوراة بالرأى والهوى واخبروا ان تأويلهم من عند الله ولقد نعى عليهم القرآن ذلك بقوله (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً) ومنهم من وقف عند الفاظ التوراة دون أن يبين معانيها ويشرح المراد منها وعم الذين وضمهم القرآن بقوله (مثل الذين حملوا النوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين) . أما النصرانية فقد انحطت في بلاد العرب الى درك الوثنية فكانوا يتركون ذكر اسم الله حمداً على

(١) مكاء الرجل يمشى اذا جمع بين يديه وصنفر فيهما (والتصديئة) التصفيق

قال ابن عطية والذي مر بي من اثر العرب في غير ما ديوان ان المكاء والتصديئة كانا من فعل العرب قديما قبل الاسلام على جهة التقرب به وكان مخزومة بن قيس بن عبد مناف يصنفر عند البيت فيسمع من حراء وكانت قريش تطوف بالبيت وهم عراة يصنفون ويصنرون

الذبيحة مجارة للمشركين واتخذوا في كنائسهم الاصنام اما لانهم لم يتجردوا من الوثنية وأما لترغيب الوثنيين في المسيحية كما اتخذوا الصنم كميماً في كنيسة القليس وكانت تعاليم المسيحية لاتناسب اخلاق العربي الطامح بطبيعته الى الفخر والخيلاء والسفك لايعرف القمود على الضيم ولا الصبر على أذى المؤذين وصنع الصافعين فخذوا اسرها اكثرهم حتى لم يبق لهم من المسيحية الا اسمها ولا من النصرانية الا وسمها . نبذوا على اختلاف ادیانهم الاوامر الالهية فاكلوا الربا أضعافا مضاعفة وعدوا شرب الخمر ولعب الميسر من مفاخرهم التي يفاخرون بها

هذا حال العرب أما غيرهم من الامم في ذلك العصر فلم يكونوا أحسن حالا منهم فكان من رحمة الله بالعالم ان يرسل اليه رسولا يخرج الناس من الظلمات الى النور فبعث محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عليه الصلاة والسلام بدين الاسلام . جاء الاسلام بنشر لواء السلام ويضع الدعائم الثابتة لنظام الاجتماع ويزيل الأثرة من النفوس ويفهم كل فرد انه جزء من جماعة لا يصلح الا بصلاحتها ولا تصالح الا بصلاحتها (المسلم للمسلم كالبنيان يشد بمضه بعضا) سوى بين الناس في القصاص ووضع من الحدود ما يكفل سعادة كل انسان ويصونه من غائلة غيره وبين ما يجب على كل فرد ادائه والقيام به من الواجبات التي فيها صلاحه وحياة المجتمع وبث في النفوس روح العطف والرفق والتسامح حتى في أحوال الخلاف في الدين والعقيدة قال تعالى (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) صان الاسلام حقوق المرأة ونهض بها الى أوج لم تصل اليه في أمة من الامم ولا في شريعة من الشرائع فاعاد لها حقها المسلوب وجعل لها وحدها حق التصرف في مالها ونفسها وسوى بينها وبين الرجل في التكليف وغيرها ولم يميز الرجل عنها الا في الاحكام التي لا يقدر عليها اكثر افراد جنسها كالجهاد أو الامر اقتضى تمييزه عنها . والمتصدي لمعرفة ذلك يراه مفصلا في الكتب التي تبين اسرار التشريع . نهى الاسلام عن كراهة البنات وعد وأدهن أمرا إذا فقال (واذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت) وقال واذا بفرا حدم بالانثى

ظل وجهه مسودا وهو كظيم

كثيرا ما وصى النبي الكريم بالمرأة ودعا الرجال للرفق بها والاحسان اليها . احاط الاسلام الرق بسياج يحميه من عبث العابثين وسلب السالبين فلم يضرب الرق الا على الاسير الذى حارب المسلمين للايقاع بهم والاذلال بدينهم ثم طفق الشارع الحكيم يدعو الي عتق الارقاء بمختلف الوسائل حتي جعله قرينة القرب وكفارة تطهر بها النفوس وتفسل بها أدران الذنوب فجعل العتق واجبا في كفارة القتل والظهار واليمين والافطار في رمضان وندب اليه في غير ذلك مرضاة لله تعالى فقال عليه السلام ايا مؤمن اعتق مؤمنا في الدنيا اعتق الله تعالى بكل عضومنه عضوا منه من النار ، سوى الاسلام بين الناس في الحقوق فلم يميز جنسا من الاجناس البشرية على آخر وضرب على أيدي الامراء والرؤساء ليرفعوا عن رهوس العامة عصا الاستبداد وينزعوا من اعناقهم غل الاستعباد وقضى على التعاليم التي ابتدعتها رؤساء الاديان من وجود الوساطة بين العبد وربّه فاحتمت بذلك أصلا من أكبر أصول الوثنية . فلقد كان يتوسل لذلك الوسيط بأنواع التعظيم وبعت له بضروب التكريم مما لا يليق الا بالخالق الحكيم أمر كل واحد بالاجتهاد والعمل بما يصل اليه اجتهاده فيما لم ينزل فيه حكم بين ولا نص صريح فلم يجعل الدين بذلك بعيد التناول علي احد ومقصورا علي طائفة تطاع فيما تدعيه ديننا من غير تبصر ولا تفكير * نبه العقل من نومه واحترمه وامر بالظن والتفكر فزق بذلك حجب الاوهام التي اسد لها رؤساء الدين علي اهل اذ زعموا ان الدين عدو العقل وما يثمره العقل الا ما كان تفسيره لكتاب منزل * جعل الاخلاق مصدرا حياة الامم والسر في بقائها قال تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وقال (ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) نهى عن الكسل والخمول والمسكنة التي زعمها رؤساء الدين من الدين فأمر بالعمل كل قادر عليه وأباح لكل انسان ان يتمتع بما شاء من الطيبات (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) حث على التعليم ورغب فيه ودعا لارشاد العامة

الى الصراط المستقيم والطريق القويم قال الله تعالى (فلولوا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) . أمر الاغنياء ان يحملوا من اموالهم حقا معلوما للفقراء تطعما لنفوسهم وسدا لموزم وعظما على ابناء جنسهم ليستأصل من نفوس الفقراء الحسد والضعينة على الاغنياء . لم يترك الاسلام افضيلة من الفضائل الا أمر بها ولا سنة من سنن الترقى والاصلاح الا قررها ولا رزية يمود وبالهاعلى المجتمع الا نهى عنها وقبحها . اعاد الاسلام للحنيفية شبابها وجدده عهدها وجردها من الوثنية التي أبلت محامنها وغيرت معاملها فالاسلام دين ابراهيم حكي ذلك القرآن في غير ما آية فقال (ان ابراهيم كان قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباؤه وهده الى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين ثم أوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) وقال تعالى (وقالوا كونا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) وقال تعالى (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سبطكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) والآيات في ذلك كثيرة ولذلك قال ابن حزم (وكان الذي ينتحله الصابئون اقدم الاديان على وجه الارض الى ان أحدثوا فيه الحوادث وبدلوا شرائعه فبعث الله عز وجل اليهم ابراهيم خليفه بدين الاسلام الذي نحن عليه الآن ونصبح ما أفسدوه بالحنيفية السمحة التي أتى بها محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى) ومعنى مجيئ الاسلام بالحنيفية دين ابراهيم دون اليهودية أو النصرانية مع ان أصول الشرائع من حيث الآلهيات وتحريم المتحقق ضرره وتقرير أمهات مكارم الاخلاق واحدة أن الاسلام قرر الاحكام والمبادئ التي شرعت في دين ابراهيم بعد أن جردها من الوثنية التي الصقت بها وهذا مرماتراه من موافقة الاسلام للاحكام التي كان العرب عليها وذكرناها مفصلة في هذا الكتاب . لم يقف الاسلام عندما شرع في دين ابراهيم بل زاد كثيرا من الاحكام التي

انتضاها الزمان فانقذ الاحوال الاجتماعية من براثن الفوضى التي فتكت بها
 أيام الجاهلية وأصبح الاسلام بنظامه الدقيق المحكم صالحا لكل زمان ولكل
 أمة لا يزيده رقي العقول في المدنية إلا ثباتا ولا تنمو العلوم الاجتماعية
 والكونية الا لتضم برهاننا بعد برهان على سداده ولطيف حكمته . كيف
 لا يكون كذلك وهو الدين الخالد الثالث الذي أراد الله أن يتعبد به الخلق
 الى قيام الساعة قال تعالى (ما كان محمد أبا احد من رجالكم ولكن رسول
 الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليما)

وكان الفراغ من تأليفه وتهذيبه وترتيبه صباح يوم الجمعة رابع شهر
 رمضان المعظم سنة ثلثمائة وواحد وأربعين بمعد الالف من الهجرة
 الشريفة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية

٢ رمضان احظم ١٣٥١ هـ

﴿ فهرست الكتاب ﴾

٨٩	الصلاة على الميت	٤	مقدمة
٩٠	سرير الميت	٧	ابراهيم واسماعيل
٩١	تشيعم الجمازة	١٣	المختلف في نبوتهم من العرب
٩٢	قولهم للجمازة	١٦	الحرم ومكانته عند العرب
٩٢	مقابرهم	٢١	حلف الفضول
٩٥	حجى القبر	٢٦	بناء الكعبة وكسوتها
٩٥	نضح القبر بالحجر	٣٢	تمظيم المعجم والعرب للكعبة
٩٦	السقيا للقبر	٣٧	الاربعة الاشهر الحرم والبسل
٩٨	العقر على القبر ونضحه بالدماء	٤٣	النفس
١٠٥	العقر للضيافة نيابة عن الميت	٤٧	الحج . احكام الاحرام به . الخمس
١٠٦	اتخاذ البلية	٥٢	التلبية . الطواف بالبيت . السعى
١٠٧	قولهم للميت لا تبع		الوقوف بعرفة
١١٠	معتقداتهم الدينية	٦١	الزول بمزدلفة ومنى وبقية اعمال
١١٢	الانبياء والرسول		الحج من سوق الهدى والنحر
١١٢	البعث والحساب		والحلق ورعي الجمار والطواف
١١٤	الايمان بالقدر	٦٨	العمرة
١١٤	خالق افعال الانسان	٧٠	الطهارة - الصلاة - الزكاة
١١٥	التناسخ		الصوم - الاعتكاف
١١٦	المسخ	٧٥	الاستسقاء بالدعاء والنار
١١٧	احكامهم الدينية	٨١	النذر
١٢١	المختار	٨٤	ذبح الظبي في نذر الشاة
١٢٢	الدين الفتنى	٨٥	ما يفعلونه للموتى
١٢٣	عبادة الحيوان	٨٥	نعى الميت
١٢٤	عبادة الانسان	٨٧	غسل الميت
١٢٥	عبادة الملائكة والجن	٨٧	تحنيط الميت
١٢٧	عبادتهم للاشجار	٨٨	كفن الميت

تتابع الفهرست

الصابئون	١٨٤ ✓	الوثنية في العرب	١٢٨
عبادتهم للكواكب واثار عبادتهم لها	١٨٦ ✓	اسنام العرب وبيوت عبادتها	١٣٢
المجوسية	١٩٠ ✓	كثرة الاصنام	١٥٥
الموحدون من العرب	١٩٣ ✓	عبادة الاصنام وما يتقرب به لها	٢٥٨
اليهودية	١٩٩ ✓	الاستقسام بالازلام	١٦٨
النصرانية	٢٠٢ ✓	الاقسام	١٧٢
الاسلام	٢٠٦ ✓	التعالف	١٨٠
		الدعاء	١٨٤

الخطأ	الصواب	سطر	صحيفة	الخطأ	الصواب	سطر	صحيفة
الجمهرة	الجرة	٢١	١٢٥	وقولى	رقولى	١٠	١١
ملثوا	ملثوا	٣	١٢٩	فاقرئى	فاقرئى	٦	١٢
وكان	ركان	٢١	١٣٠	الانف	الانف	٢٤	١٣
يفقثون	يفقثون	١٧	١٣١	المثقى	المثقى	٢٢	٣٠
فقثوا	ققثوا	١٨	١٣١	يأمروا	يأمروا	٦	٣٧
٢٠٨١	٢٠٨١	٤	١٣٢	طبي	طبي	١٢	٣٧
واسكان	اسكان	٢٥	١٣١	بغناء	بغناء	١١	٣٩
بصيفة	بصفة	٢٣	١٣٩	يجمع	يجمع	١٧	٤٧
الضيزن	الضيزن	١٤	١٤١	الازد	الارد	١	٥٨
ععب	ععب	٢٠	١٤١	بمزداقة	مزلفة	١١	٦١
يعوق	ولا يعوق	١٠	١٤٤	انقرضوا	انقرضوا	١٣	٦٦
حول عوض	حوله	٩	١٤٦	ككتف	ككتف	٢٣	٦٧
سمت	سميت	٢٢	١٥٢	ابن	بن	١٦	٧٠
هاويل	هاويل	١٣	١٥٤	بالقطر	بالقطر	١٠	٧٩
موتدا	موندا	١٦	١٥٥	جناهم	جناهم	١٠	٧٩
ياسم	بأسم	١٦	١٥٦	المختار	المختار	٢٢	٨٩
البطلبوسى	البطلبوسى	٤	١٧٦	الزوج	الزوج	٢٢	٩١
نستحلف	نستحلف	١	١٧٨	موتة	موتة	١١:٧	٩٧
يخاف	تخاف	٤	١٨٣	لاعقرى	لاعقرى	٥	١٠٣
تخالفت	يخالفت	٥	١٨٣	وأخذ	وأخذ	٢٤	١٠٥
العبادة	للعبادة	١٣	١٨٦	وانى	وفى	٤	١١٣
والاملاك	ولاملاك	١٥	١٩١	المسخ	المسخ	١٦	١١٦
زن	ذن	٢٢	١٩٢	وحرمة	وحرم	٢٥	١١٩
وكيع	وكيع	١٣	١٩٧	السود	السود	١٩	١٢٢
التفلى	التفلى	٥١	٢٠٤	حببيهم	حببيهم	١٢	١٢٤

مؤلفات مؤلف هذا الكتاب

- (١) المرأة العربية في الجاهلية - كتاب تتبع فيه مؤلفه حال المرأة عند العرب في الجاهلية من المهد الى اللاحد لجمع عاداتها وجميع أحوالها وهو نحو ثمانمائة صفحة
- (٢) الباب في علم الانساب - كتاب جمع انساب العرب في الجاهلية بأحسن ترتيب
- (٣) كتاب يبحث عن عادات العرب في الجاهلية في الحروب وعدتهم لها
- (٤) الاحوال المدنية والاجتماعية عند العرب في الجاهلية
- (٥) رسالة في الكلام على الحديث الموضوع وبيان القواعد التي يعرف بها وضع الحديث والاسباب الداعية اليه
- (٦) كشف اللثام عن أشعار العوام - رسالة اسهب فيها الكلام على جميع الاوزان التي لم تزد عن العرب من الموشحات والزجل والدوبيت وبحر السلسلة وغيرها وبيان اوزانها
- (٧) رسالة في العلوم الموضوعة لمعرفة الغيب كعلم الرمل والاحكام والزارجة وغيرها وبيان عدم صحة دلالتها
- (٨) علوم العرب في الجاهلية - كتاب جامع لما كان عندهم من علم الاخبار وفن القصص - وعلم الريافة - ومعلمي العروض والقافية - والشعر والخطب والوصايا - وعلم الالفاظ - وعلم الفراسة وعلم فراسة اعضاء الانسان - وعلم الشامات - وعلم الاسارب - وعلم الاختلاج - وعلم قيافة البشر والاثر - وعلم نزول الغيث - وعلم تعبیر الرؤيا - وعلم ايجاد نسل قوى جميل في اخلاقه وتناسب اعضاءه - وعلم الكهانة - والطرق بالحصى - والعرافة - وعلم الرمل وعلم النجوم وعلم الطيرة والفأل - وعلم الطب والجراحة - وفن الولاد والتشريح - وعلم البيطرة - وعلم الرقى - وعلم السحر والطلاسم - وعلم الانواء - وعلم الفلك - وعلم الموسيقى - وعلم الحساب وعلم الانساب - وعلم تقويم البلدان - وعلم الاهتداء في البرارى وعلم الميراث - وعلم ماوراء المادة وعلم ايام العرب - وعلم الرمي - وعلم الفلاحة وعلم الحيوان - وعلم الابل والحميل وهو نحو ثمانمائة صفحة

